

جامعة الأزهر  
كلية اللغة العربية بالقاهرة  
قسم البلاغة والنقد

# عَلَمُ الْمُعَانِي

دراسة بلاغية ونقدية لأسائل المعاني

تأليف  
الدكتور

بسيوني محمد الفخام فيروز  
المدرس بجامعة الأزهر

الجزء الثاني

مكتبة وهيب

١٤ شارع الجمهورية - عابدين  
القاهرة - تليفون ٣٩١٧٤٧٠





جامعة الأزهر  
كلية اللغة العربية بالقاهرة  
قسم البلاغة والنقد

# علم المعاني

دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني

الهيئة العامة لكتبة الإسكندرية	
رقم التصنيف	
18752	General Organization of the Arabic Language Library (GOALL) Alexandria

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المدرس بجامعة الأزهر

الجزء الثاني

مكتبة وهبة

1 شارع الجمهورية، عابدين  
القاهرة - بيمون ٣٩١٧٤٧٠



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين نبينا محمد وعلى  
آله وصحبه ومن سلك سبيله ومضى على نهجه إلى يوم الدين ...

أما بعند :

فهذا هو الجزء الثاني من كتاب : « علم المعاني دراسة بلاغية وتقديرية » ،  
وقد سبقه الجزء الأول الذي تناول دراسة أجزاء الجملة : « المسند والمستند  
إليه ومتعلقات الفعل » ، فكتشف عن دقائقها ، وجلى أسرارها ، وأبرز  
ما يمكن وراء أحوال كل جزء منها من لطائف ومزايا بلاغية ..

أما هذا الجزء فيتناول دراسة الجملة وما يمكن وراء أبنيتها وصيغاتها من  
دقائق وأسرار ، كما يتعرض لعلاقة الجملة وارتباطها بغيرها من الجمل ، فيكشف  
عن الضوابط والملاحظات التي ينبغي مراعاتها عند التقاء الجملة بغيرها ..  
وقد تكون من أربعة فصول :

الفصل الأول : دراسة أساليب القصر .

الفصل الثاني : دراسة أساليب الإنشاء .

الفصل الثالث : دراسة مواضع الفصل ومواضع الوصل .

الفصل الرابع : دراسة الإيجاز والإطناب .

وحتى يؤتي الكتاب ثمرة المرجوة ، ويحقق الغاية المنشودة ، والهدف  
المقصود ، فقد عرضنا في كل فصل من هذه الفصول لكثير من الشواهد

والأمثلة من التعبيرات الجيدة والأساليب الرفيعة ، وأوضحنا ما يمكن وراء  
الأبنية والسياعات فيها من مزايا وأسرار بلاغية . . .

فأنته هو وجل أسأل أن تتحقق الغاية المرجوة من هذا الكتاب ، وأن  
يفتتح به طلبية العلم ومحبو المعرفة ، وأن يجزينا خير الجزاء ، ويهدينا سواء  
السييل ، إنه خير مستول وهو نعم المولى ونعم النصير . . .

المؤلف

د / بسيون عبد الفتاح بسيونى

عنيزة - القصيم - المملكة العربية السعودية

فى ١٧ رمضان سنة ١٤٠٧ هـ

# الفصل الأول

## أساليب القصر

أساليب القصر من الأساليب الغنية بالاعتبارات الدقيقة والملاحظات  
العديدة ، فهو فن دقيق المجرى ، لطيف المغزى ، جليل المقدار ، كثير  
الفوائد ، غزير الأمرار .

انظر إلى قول عبد الله بن قيس الرقيات :

إنما مصعب شهاب من الأ ..... تجلت عن وجهه الظلماء

تجده يفيد المبالغة في وصف مصعب بالشجاعة والإقدام بعبارة مختصرة:  
وأسلوب موجز ، وقد آثر الشاعر التعبير بإنعما ليدل على أن انصاف مصعب  
بصفة الشجاعة أمر ظاهر بين ، فتلك خصوصية من خصوصيات الإنعما ،  
وبهذا يتضح لك أن أسلوب القصر في البيت ، قد حقق ثلاث مزايا : الإيجاز  
والمبالغة والدلالة على شهرة مصعب وذبوع شجاعته .

ويرجع وراء أساليب القصر وكثرة فوائدها إلى تنوع طرقها وما بين  
تلك الطرق من فروق دقيقة ، واعتبارات وملاحظات لطيفة .

هذا والقصر في اللغة معناه : الحبس ، يقال : قصرته أي حبسته ، وهو  
مقصود أي : محبوس ، قال تعالى ( حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ )<sup>(١)</sup> أي :  
محبوسات قد قصرن نظارهن على أزواجهن ، فالمرأة قاصرة الطرف هي التي  
تحبس طرفها على عملها وتخصه به فلا تده إلى غيره .

(١) سورة الرحمن آية ٧٢

وفي اصطلاح البلاغيين : « هو تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص »  
فمنذما نقول : زهير شاعر لا كاتب ، فإننا نخص زهيراً بصفة الشعر بحيث  
لا يتجاوزها إلى صفة الكتابة ، فزهير مقصور ، والشعر مقصور عليه . . .  
وقد قيد البلاغيون التخصيص : بالطريق المخصوص ، ليخرج كل ما أفاد  
القصر به غير تلك الطرق المخصوصة ، فقواننا : زيد مقصور على العلم . . وجاء  
محمد وحده . . وعلى يختص بالشعر . . وخالد ينفرد بالشجاعة . . وقال  
أبو ذؤيب :

وإذا المتبسة أنشبت أظفارها ألفت كل تجمسة لا تنفع

هذه الأتوال وإن أفادت اختصاص شيء بشيء إلا أنها لا تدخل في نطاق  
دراسة البلاغيين وميدان بحثهم لأن التخصيص فيها لم يتم عن الطارق المعهودة  
التي حددوها . . وعند التأمل نجد أن إفادة القصر بغير الطرق التي حددوها  
البلاغيون ، ليس وراءها اعتبارات بلاغية نستدعي الدراسة والبحث ، ولذا  
حصر البلاغيون دراسة القصر في تلك الطرق الفنية بالاعتبارات والملاحظات  
الدقيقة . . وهي : « التقديم » كقوله تعالى : « يَا بَاكَ آتَيْدُ »<sup>(١)</sup> . . « والسطف »  
نحو : محمد كاتب لا شاعر . . و « إغما » كقوله تعالى : « إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ  
مَنْ يَشَاءُ »<sup>(٢)</sup> . . « والتنفى والاستثناء » كقوله عز وجل : « إِنَّ أَنْتَ  
إِلَّا نَذِيرٌ »<sup>(٣)</sup> . . وأضاف بعضهم : « تعريف المسند أو المسند إليه بال  
الجنسية » ، « وتوسط ضمير الفصل بين المبتدأ والخبر » نحو : محمد الجواد . .  
وعلى هو العالم . . . وزاد بعضهم طارفاً أخرى حتى وصلت علق القصر  
عندهم إلى أربعة عشر طريقاً<sup>(٤)</sup> .

(٢) - سورة النازعات آية ٥٤ .

(٤) انظر الاتقان ج ٢ ص ٥٠

(١) سورة النازحة آية ٤ .

(٣) سورة قاطر آية ٢٣ .



ولكن ما عليه جمهور البلاغيين هو الطرق الأربعة الأولى لأن ما هي  
الغنية بالاعتبارات والملاحظات دون غيرها . . .  
والبلاغيون في دراستهم لأسلوب القصر ينظرون إلى فرض المتكلم من  
من الاختصاص . . . وإلى حال المخاطب التي وقف عليها المتكلم فأحدث هذا  
التخصيص . . . وإلى طرف القصر أي المقصور والمقصور عليه . . . ثم إلى  
طرق القصر المشهورة وما بينها من فروق واعتبارات . . . فالقصر كما عرفه :  
« تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص ، الشيء الأول هو المقصور والثاني  
المقصور عليه ، ومعنى اختصاص المقصور بالمقصور عليه : ألا يتجاوز  
ويتعداه إلى غيره . . . فني قولنا : « ما شاعر إلا زهير ، قصر الشعاعية على  
زهير بحيث لا تتعداه إلى غيره . . . وهذا الغير الذي انتفت عنه صفة الشعر  
إن كان عاماً فالقصر حقيقي ، وإن كان معيناً فالقصر إضافي . . . والعالم  
إن كان مطابقاً للواقع الخارجي فالقصر حقيقي تحقيقاً ، وإن كان مبنياً على  
الادعاء والمبالغة فهو حقيقي ادعائي . . . ثم القصر الإضافي ينظر فيه إلى حال  
المخاطب فهو إما أن يكون متردداً في إثبات المقصور للمقصور عليه وتقيه  
عن المنقح عنه . . . وإما أن يكون معقداً الشراكة أي : اشتراك المنقح عنه  
والمقصور عليه في المقصور . . . وإما أن يتفقد العكس أي : إثبات المقصور  
للمنقح عنه وتقيه عن المقصور عليه . . . فالأول قصر التعمين والثاني قصر  
الإفراد والثالث قصر القلب . . .

ثم ينظرون إلى طرفي القصر ، أي : المقصور والمقصور عليه ، لأنه  
لا بد أن يكون أحدهما موصوفاً والآخر صفة ، ولذا فالقصر إما أن يكون  
قصر صفة على موصوف أو قصر موصوف على صفة . . .

هذا وليست طرق القصر سواء في الدلالة عليه ، بل بينها فروق دقيقة  
— كما قلت — تحتاج من الدارس لكي يقف عليها إلى تأمل واسع ونظر دقيق  
ثم إن تحديد المقصور والمقصور عليه ليس بالشىء الطين ، بل يحتاج من الدارس  
أيضاً إلى نظر وتأمل في أسلوب القصر ، فمثلاً قولك : « إنما ضرب محمد ريداً

يقيد قصر الضرب الواقع من محمد على زيد ، وقولك إنما ضرب وبدأ محمد ،  
يقيد قصر الضرب الواقع على زيد ، على فاعله محمد ، وبينهما فرق كبير ...  
هذا إجمال غل لما ذكره البلاغيون في حديثهم عن أساليب القصر ، ولكي  
يتبدد هذا الإخلال نتقت على مزاي القصر وأسرارها ودقائقه ، فإننا سنتبعه  
بالتفصيل والإيضاح والبيان فيما يلي إن شاء الله ..

### القصر الحقيقي والإضافي :

ينقسم القصر باعتبار غرض المتكلم وما يقصد إليه إلى قسمين :  
قصر حقيقي ، وقصر إضافي ...

قال قصر الحقيقي : ما كان غرض المتكلم منه أن يختص المقصود بالمقصود  
عليه بحيث لا يتعداه إلى غيره أصلاً ... وهذا يعني أن المنفى عنه يكون عاماً  
فالمقصود يختص بالمقصود عليه منفي عن كل ما عداه ... كما في قوله تعالى :  
« وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يُبْلِغُهَا إِلَّا اللَّهُ »<sup>(١)</sup> ، في الآية طريقان من  
طرق القصر الأول التقديم ، وعند مفايح الغيب ، ، والثاني : المنفى  
والاستثناء - لا يعلمها إلا هو ، ، فمفاتيح الغيب عنده وليست عند غيره ،  
وهلها مقصور عليه تعالى ، منفي عن كل ما عداه ، وتكرار القصر أفاد تأكيد  
هذه الحقيقة وتقريرها ، وهي أن العلم بالغيب يختص به تعالى ، لا يتعداه إلى  
أحد من خلقه ... ومنه قولنا : « ما خاتم الأنبياء إلا محمد ، ، فالمراد : أن  
ختم النبوة مقصور على محمد - صلى الله عليه وسلم - لا يتعداه إلى غيره من  
الرسل ... وقوله عز وجل : « قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَمَتَّعُوا إِلَى كَلِمَةٍ  
سَوَاءٍ بَيْنِنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا »<sup>(٢)</sup> ،  
فالمراد بقصر العبادة على الله تعالى بحيث لا تتعداه إلى غيره مطلقاً .

(١) سورة الأنعام الآية ٥٩ (٢) سورة آل عمران الآية ٤٤

والقصر الإضافي : أن يختص المقصور بالمقصور عليه بالنسبة إلى شيء معين ، أي بالإضافة إليه ، بحيث لا يتجاوزه إلى ذلك المعين . . . كما في قولنا : زهير شاعر لا كاتب ، فالمراد : قصر زهير على صفة الشعر ، بحيث لا يتجاوزها إلى صفة معينة محددة ، وهي صفة الكتابة . . . وهذا لا ينافي أن يكون لزهير صفات أخرى كالخطابة مثلا ، ففي القصر الإضافي يكون المنفى معيناً محدداً ، والمراد ألا يتجاوز المقصور المقصور عليه إلى هذا المنفى المعين ، وإن أمكن أن يتجاوزه إلى غيره . . . ومنه قولنا : الشاعر ذو الرمة لا زياد ، فصفة الشعر مقصورة على ذي الرمة ، لا تتعداه إلى زياد ، وإن صح أن تتعداه إلى تصيب والسكيت وجريز والفرزدق وغيرهم من الشعراء . . .

هذا وينقسم القصر الحقيقي إلى قسمين : حقيقى حقيقى وحقيقى ادعائى . . .  
فالحقيقى : ما كان المنفى فيه عاما يتناول كل ما عدا المقصور عليه من حيث واقع الحال وحقيقة الأمر ، فالمقصور يختص بالمقصور عليه لا يتعداه إلى غيره في واقع الأمر وحقيقة الحال ، كما في الشواهد التي مرت بنا وكما في قولك : ما أكرمت إلا زياداً ، إذا كان الإكرام لم يقع منك إلا على زيد في واقع الأمر وحقيقته . . . ومنه قولنا : لا يهج إلا مكة إلا المسلمون ، فالواقع يتطابق هنا ، لأن الحج إلى مكة مقصور على المسلمين . ومنه عن كل من عدا من أصحاب الملل الأخرى . . . ومنه قوله تعالى : « تَبَارَكَ الَّذِي يَدْرَأُ الْمَلَائِكَةَ وَالْوَحْشَ كُلَّ شَيْءٍ قَدِيرٌ »<sup>(١)</sup> ، فالملك يختص بالله في الحقيقة والواقع ، ومنه عن كل ما عداه وقوله تعالى : « إِيَّاكَ تَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ »<sup>(٢)</sup> ، فالعبادة وطلب العون يختصان بالله ، ومنه عن كل ما عداه في واقع الأمر وحقيقته . . . وقوله عز وجل : « وَمَنْ يَفْخُرْ بِالذُّؤْبِ إِلَّا اللَّهُ »<sup>(٣)</sup> ، فالفخر إن الذؤوب يختص بالله تعالى ، منفي عما عداه

(١) - سورة المائدة الآية ١

(٢) - سورة آل عمران الآية ١٣٥

في الواقع والحقيقة ... ونلاحظ أن المقصور في التصور في التصور كورة صفة،  
والمقصور عليه موصوف ، فالقصر الحقيقي التحقيقي يقع كثيرا في الكلام  
إذا كان المقصور صفة ، ويقال في قصر الموصوف على الصفة ، لأن الغالب  
في الموصوف أن يتصف بصفة صفة ولا يوقف على صفة واحدة ...  
أما الصفة فيجوز وقفها على موصوف واحد وحصرها في ... وقد غالى  
بعض البلاغيين فقالوا إن قصر الموصوف على الصفة قصر حقيقيا ، تحقيقيا  
لا يتأتى لأنه ما من موصوف إلا وله صفات كثيرة تتعد الإحاطة بها  
أو تنعسر ، فإذا قلنا : ما زهير إلا شاعر ، وما زياد إلا كاتب .. لا يتأتى  
أن يكون زهير مقصورا على صفة الشعر لا يتجاوزها إلى غيرها ... ولا يمكن  
يكون زياد موقوفاً على الكتابة لا يتعداها إلى غيرها ... كيف وما  
ياكلان ويكيمان ويثبان، ويتصقان بالحياة ، وبالرياض أو النواد وبالقصر  
أو الطول وبالإذكاء أو القيام .. إل آخر ما يمكن أن يتصف به الخي ؟ ...  
بل إن البهين خرج بالمسألة عن نطاق الدراسة البلاغية . فقالوا : إن الصفة  
المنفية لها نقيض الية ، وهذا النقيض من الصفات ، فإذا نفيت جميع  
الصفات لزم ارتفاع النقيضين ... واحتدم النقاش واشتد الأخذ والرد ،  
ودخلت المسألة في مما حكايات كلامية ينبغي أن ينزه عنها الدرس البلاغي ،  
لأنها من الشرائب التي تمسك صغوه وتسكر عذبه (١) ... ولو تنبه مؤلف إلى  
قول عبد القاهر : ، واعلم أن قولنا في الخبر إذا أخر نحو ما زيد إلا قائم ،  
أنتك اختصت القيام من بين الأوصاف التي يتوهم كون زيد عليها ، ونفيت  
ما عدا القيام عنه . وإنما نفي أنتك نفيت عنه الأوصاف التي تنافي القيام نحو  
أن يكون جالسا أو مضطجعا أو متكئا أو ما شاكل ذلك ولم ترد أنتك نفيت  
ما ليس من القيام بسبيل ، إذ لسنا ننفي عنه بقولنا ما هو إلا قائم أن يكون  
أسود أو أبيض أو طويلا أو قصيرا أو عالما أو جاهلا ، كما أننا قلنا ما قائم

(١) انظر إن شئت شرح لناخيس والمطول .

إلا زيد لم ترد أنه ليس في الدنيا قائم سواه وإنما نعتي ما قائم حيث نعت  
وبحضرتنا وما أشبه ذلك، (١) لو تنزهوا إلى هذا القول ما خرجوا بالمسألة  
عن نطاق الدرس البلاغي وخاضوا بها الخوض الذي خاضوه ...

وخلاصة القول أن المبنى عنه في القصر الحقيقي التحقيقي، ما هو بسبيل  
من المقصور عليه، وواقع في دائرته، ويتبادر إلى الذهن عند سماع أسلوب  
القصر، فإذا قلت ما شاعر إلا زيد فإنك لا تعني نبي الشعارية من كل من  
ولدته حواء في كل العصور وكل الأمم، وإنما تعني نبي الشعارية في حدود  
ما يشير السياق والقرائن، (٢) وكذا إن قلت ما زهير إلا شاعر، لا يعني  
أنك تنفي عن زهير كل صفة غير الشعر، وإنما يعني أنك تنفي عنه كل ما هو  
بسبيل من صفة الشعر كالتعطاب والكتابة. وكل ما هو في نطاق القول والإبداع  
عما يحده السياق وتشير إليه القرائن ...

أما القصر الحقيقي الادعائي، فهو أن يختص المقصور بالمقصود عليه  
بحيث لا يتعداه إلى غيره، ادعاء ومبالغة، فالمقصود يختص بالمقصود عليه  
وينفي عن كل ما عداه عما هو بسبيل منه نفيًا يقوم على المبالغة والتجاوز،  
ولا يقوم على المطابقة الحقيقية للواقع ... كما في قوله تعالى: «إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ  
مِنْ عِبَادِهِ الْمُلُوكُ» (٣)، فقد نصرت خشية الله على العلماء ونقيت عن كل  
ما عداهم ... ولا يعني هذا أن غير العالم لا يخشى الله تعالى، بل قد يكون غير  
العالم أشد خشية لله من العالم، ولكن سياق الآيات في التنويه بشأن العلماء  
وتعظيم منزلتهم، والحث على النظر والتأمل اقرأ: «أَلَمْ نَرَأَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ  
السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَمْرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ

(٢) دلالات لقرا كريب ص ٤٢ .

(١) دلالات الإعجاز ص ٢٢٥ .

(٣) سورة طه، آية ٢٨ .

وَحَرَّ مُخْتَلِفَ الْوَأْتِهَا وَغَرَّابَيْبُ سُودٍ . وَمِنَ النَّاسِ وَالذُّوَابِ وَالْأَنْعَامِ  
مُخْتَلِفَ الْوَأْتِ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ . هـ ، ولذا  
كانت خشية الله مقصورة على العلماء دون غيرهم ، لأن خشية غيرهم لا يعتد بها  
في هذا المقام . ومن ذلك قوله تعالى : « قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي  
وَأَخِي ... » (١) ، أثبت موسى عليه السلام ، ملكيته لنفسه ولأخيه ونفاهما  
عن كل ما عداهما ، والمراد : لا أملك في سبيل الله والدفاع عن كلمة الحق  
إلا نفسي وأخي ، والسياق يرشد إلى أنه كان هناك رجلان يخافان الله ، قد  
أنعم الله عليهما بالإيمان ، ولكن موسى لم يمتد بإيمانها ، نظرا لتقلب قومه  
وتغير أحوالهم ولذا قال : « فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْفَاسِقِينَ ... » .

ومن ذلك قولنا : ما شاعر إلا زهير ... وما الرثاء إلا رثاء ابن الرومي .  
وما خليل إلا زياد ... فقد بنى القصر على الادعاء والمبالغة وعدم الاعتداد  
بشعر زهير في الشعر : وبغير ابن الرومي في الرثاء الحزن بن المثلم ، وبغير زياد  
في الخطابة وحسن البيان ... ومنه قول الشاعر :

لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي

قالوا أدلِّبنا القوة والمضاء لذى الفقار وهو سيف الإمام علي - كرم الله  
وجاهه - ونفيها عما عداه ، وإثبات الفتوة له - رضي الله عنه - ونفيها عن  
غيره ، ادعاء ومبالغة في قوته وشجاعته ، فهناك سيف ، كثيرة ماضية نفاذة  
وهناك ألوان من الفتوة والبطولة لا تقل عن بطولته - كرم الله وجهه - ،  
ولذا كان القصر في البيت من قبيل الادعاء والمبالغة . . . ودنه قوله صلى الله  
عليه وسلم : « لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فإسقطه على ماله  
في الحق ، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها ... » ، فقد قصر الحسد

بمعنى تَبَطَّنَ على هاتين الصفتين ، ونفى عما عداهما ادعاء ومبالغة ؛ لأن العبارة تكبرية ، في غير الاثنتين المذكورتين ولكنه نزل غيرهما متولة العدم على سبيل الادعاء . . . هذا والقصر الادعائي كثير في كلام العرب ، ويرد في مقامات المبالغة والمدح والتعظيم نحو قولهم : ما مؤذِب إلا فلان . . . ما عالم إلا فلان . . . ما شاعر إلا امرؤ القيس . . ما خطيب إلا صحار العبدى . . ما كاتب إلا فلان . . . يبنون الكلام في ذلك على المبالغة وعدم الاعتداد بغير المذكور في تلك الصفات . .

### قصر الأفراد والقلب والتعمين :

تقدم أن القصر الإضافي ، ما يكون المنفى فيه معيناً ومحدداً ، فالقصر يختص بالمقصود حليته لا يتجاوزهُ إلى ذلك المعين كما في قوله تعالى : « وَمَا أَنْتَ بِمُشِيرٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ إِنْ أَنْتَ إِلَّا تَذِيرٌ »<sup>(١)</sup> ، حيث قصر الرسول صلى الله عليه وسلم على صفة الإنذار ، دون أن يملك تحويل الغلوب عما هي عليه من العناد والمكابرة . . وكما في قول الشاعر :

إلى الله أشكو لا إلى الناس أنى  
أرى الأرض تبقى والأخلاء تذهب

فقد قصر الشكوى على « الله » عز وجل بحيث لا تعداه إلى شيء معين وهو « الناس » . . . وهذا القصر الإضافي ينقسم باعتبار حال المخاطب ، واعتقاده الذي وقف عليه المتكلم ، إلى ثلاثة أقسام : قلب . . . وإفراد . . . وتعمين .

قصر القلب : هو تخصيص أمر بأمر مكان آخر . . . ومخاطب به من يعتقد العكس ، كقولك : جاني زيد لا عمرو ، مخاطباً من يعتقد أن عمراً هو الذي

جارك دون زيد ، فانت تمكس وتقلب ما يعتقدونه ولذا سمى قصر قلب ،  
ثومنه قوله تعالى : « وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا : أَنُؤْمِنُ  
كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ » (١) ، لأن  
المناققين يعتقدون أن المؤمنين هم السفهاء دونهم ، فقلب الله عن وجل اعتقادهم  
وبين أن المناققين هم السفهاء ولكن لا يعلمون .. وقوله تعالى : « مَا لِلْيَحْيَىٰ  
بِئْنَ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا  
بِأَكْلَانِ الْعُلَمَاءِ انظُرْ كَيْفَ كُتِبَ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى  
يُؤْفَكُونَ .. » (٢) فالنصارى يعتقدون أن الله ثالث ثلاثة « لقد كفر  
الذين قالوا : إن الله ثالث ثلاثة .. » ، فقلب الله تعالى اعتقادهم :  
« ما للمسيح بن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل .. » فالمسيح مقصور  
على كونه رسولا يخلو كما خلت الرسل من قبله ، ولا يتجاوز ذلك إلى كونه  
إلهاً كما اعتقد الكفرة ، ولذا فالقصر في الآية الكريمة نصر قلب .. وتأمل  
قول أبي تمام :

والعلم في شهب الأرماع لامة بين الخبيثين لا في السبعة الشهب

تجده تد قصر العلم على كونه في قوة الجيش والعتاد ، ونفاه عن كونه  
في علم المنجمين الذين نصحوا المعتصم بالأقبال على الجهاد في ذلك الوقت ،  
لأن النجوم تنبئ بأن يترتب ولا يتعجل ، ولكن المعتصم لم يعبأ بما قالوا ، وأقبل  
إلى الجهاد ، فانتصر وفتح عمورية ، وأنشد أبو تمام هذه القصيدة مشيداً  
بنصره ، ومشيراً إلى قصر علم المنجمين .. . فالقصر في البيت المذكور  
نصر قلب ، لأنهم اعتقدوا أن العلم في السبعة الشهب لا في قوة الرماح والجيش ،  
فتنى أبو تمام هذا وأثبت عكسه كما ترى .



وقصر الإفراد : هو تخصيص أمر بأمر دون آخر ، ويخاطب به من يعتقد الشركة ، كقولك : محمد الجواد لا على لمن اعتقد أنهما يشتركان في صفة الحود ومثله قوله تعالى : « نَزَّلْنَا كَثِيرًا مِّنَ الَّذِينَ قَالُوا : إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ . . . » (١) ، فهم يعتقدون الشركة وأن الله ثالث ثلاثة ، وأفاد أسلوب القصر أن الإله واحد ، وما من إله إلا إله واحد ، فهو قصر إفراد . . . وتأمل قوله تعالى ( وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ) (٢) ، فالصحابية رضوان الله عليهم لشدة تعلقهم وحبهم للنبي صلى الله عليه وسلم ، نزلوا بمزلة من يعتقد أن محمداً عليه الصلاة والسلام يجمع بين صفتي الرسالة والخلد ، فجاء أسلوب القصر مفيداً أنه عليه الصلاة والسلام مقصور على صفة الرسالة ، فهو رسول ينخلو كما خلعت الرسل من قبله ، لا يتجاوز صفة الرسالة إلى التخلد في الدنيا . وخذ قوله تعالى : ( وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ . إِنَّ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ) (٣) ، فلما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتمنى هداية قومه ، حرباً بل شديد الحرص على قبولهم الهداية ، نزل عليه الصلاة والسلام ، منزلة من يعتقد أنه يجمع بين صفتي الإنذار والقدرة على خلق الهداية في النفوس التي أصرت على الضلال والمكابرة ، فجاء أسلوب القصر : « إِنَّ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ » محمداً مهمة النبي صلى الله عليه وسلم وقاصراً له على صفة الإنذار ، لا يتمداها إلى القدرة على إسماع من في القبور . . .

ويشترط في قصر الموصوف على الصفة إفراداً ، عدم تنافي الوصفين حتى يتصور اجتماعهما لموصوف واحد في ذهن المخاطب ، فلا يقال في قولك : محمد أبيض لا أسود ، إنه قصر إفراد ، إذ لا يتصور أن يعتقد معتقد أن

(٢) سورة آل عمران آية ١٤٤

(١) سورة المائدة آية ٧٣

(٣) سورة طه آيات ٢٤ ، ٢٣

عمدا يتصف بالبياض والسواد معا . . . كما اشترط الخاطيب انقروني في قصر  
الموصوف على الصفة قلباً ، تنافي الصفتين حتى يكون إثبات إحداهما مشعراً  
باتتفاء الأخرى كقولك محدطوب لا قصير ، زيد ذكي لا غبي ، عمرو شجاع  
لا جبان ، حاتم كريم لا بخول . . . ورد عليه بأن قصر اقاب يرد كثيراً  
في الصفات غير المتنافية - كما مر بك - فلا وجه لهذا الاشتراط . . .

قصر التعمين : وهو تخصيص أمر بأمر دون آخر ، ويخاطب به المتردد  
بين شيئين : كقولك لمن يتردد شاكا في الناجح عمرو أم بكر ، إنما الناجح  
عمرو ، وقولك لمن يشك في أمر زيد أم مقيم أم مسافر ، زيد مقيم لا مسافر ،  
وتأمل قول الشاعر :

فإن كان في لبس الفتى شرف له      فما السيف إلا غمده والحمائل

تجده قصراً إضافياً صالحاً لأن يكون قصر قلب أو أفراد أو تعمين ،  
وذلك حسب تصورك لحال المخاطب ، فإن كان يعتقد أن الشرف في اللبس  
والزينة دون الفضائل النفسية ، فهو قصر قلب ، وإن اعتقد أن الشرف فيهما  
معاً فهو قصر أفراد ، وإن تردد وشك في مرجع الشرف ، إلى اللبس والزينة  
يرجع أم إلى الفضائل النفسية فهو قصر تعمين ، والأرجح أن يكون قصر  
تعمين ، لأن الشاعر يريد أن يقرر أن مرد الشرف إلى ما يتصف به الإنسان  
من الفضائل لا إلى الشكل والزينة ، فهذا من الأمور الواضحة الجلية ،  
ولا يرتاب فيها إلا من ارتاب في الأمور البديهية ، كن يرتاب مثلاً في هوية  
السيف وجودته إلى حدته وشدة قطعه ترجع أم إلى غمده والحمائل ، فن  
ارتاب في هذا الأمر البين ، فقل له مرتاباً ، ومعيراً إلى ضمف عقله ، وقلة  
تفكيره ، وشدة غبائه : ما السيف إلا غمده والحمائل . . .

هذا ومراد البلاغيين بحال المخاطب : ما وقف القارئ للتعبيرات الجيدة  
عليه من قرأتين الأحوال وسياقات الكلام ، فالسياق وما به من قرأتين

هو الذي يبرز لك حال المخاطب . . تأمل قوله تعالى : ( وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ .. )<sup>(١)</sup> ، وقوله عز وجل : ( مَا الْمَسِيحُ بْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ . . . )<sup>(٢)</sup> ، فالمبارات واحدة والبناء هو البناء ، وعلى الرغم من ذلك نقول : إن النصر في الآية الأولى قصر أفراد ، وفي الثانية قصر قلب ، والذي جعلنا نقول هذا القول الوتوف على أحوال المخاطبين من خلال تأمل سياق الآيتين . . اقرأ سياق الآية الأولى : ( أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا ابْنَةً رَبَّنَا بِسَلَامٍ اللَّهُ الَّذِينَ جَاءَدُوا مِنْكُمْ وَيَنْتَظِرُ الصَّابِرِينَ . . . وَأَتَدَّ كُفَّتُمْ تَنْتَوُونَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْفُكُوهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ . . . وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْتَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْتَلِبْ عَلَى هَتَيْتِهِ فَإِنْ يَخُذْهُ اللَّهُ شَيْئًا وَسَوْجَزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ . . . ) فهو يبينك مدى حب الصحابة رضي الله عنهم للرسول عليه الصلاة والسلام ، وتغلغل هذا الحب في نفوسهم ، إلى درجة أنهم قد غفلوا عن أمر موته ، ولم يخطر ببالهم ، وما هو ذا عبد الله ابن عباس - رضي الله عنهما - يقول : ، فراقه لكان الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها عليهم أبو بكر ، فتلاها منه الناس كلهم ، فما أسمع بشرا من الناس إلا يتلوها ، . . . وهذا هو عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يقول : ، والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها ، فعرفت حتى ما تقاني رجلاي ، وحتى هويت إلى الأرض . . .

فائدة حب الصحابة لرسول الله وتعلقهم به نزولوا منزلة من يستقبل موته ، وكانهم يستعدون أنه يجمع بين الرسالة والتبلي من الملاك ، ولذا كان القصر قصر أفراد . . ثم اقرأ سياق الآية الثانية ( أَتَدَّ كُفَّرَ الَّذِينَ قَالُوا : إِنَّ اللَّهَ

(١) سورة آل عمران الآية ١٤٤ (٢) - سورة المائدة الآية ٧٥  
(٢) علم للناي

قَالَتْ ثَلَاثَةٌ وَمَا مِنْ آلَهِ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ ، وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ . أُنثَى يَتَوَبُّونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ . مَا الْمَسِيحُ بِنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدْقَةٌ . كَانَا بَنَى كَلَانَ لِلْعَالَمِ أَنْظَرَهُ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ نَمْ أَنْظَرُ أَنَّى يُؤْتَكُونَ ) ، فستقف منه على حاله هؤلاء ، فهم اعتقدوا أن عيسى - عليه السلام - إلهها ، وأن الله ثلاث ثلاثة ، ولذا كان القصر هنا قصر قلب ، حيث قلب اعتقادهم وأفاد أن المسيح مقصور على كونه رسولا يخلو كما خلت لرسول من قبله ، لا يتجاوز ذلك إلى مرتبة الألوهية التي اعتقدوها .

وتتكون حال المخاطب لدى المتكلم وترسم في ذهنه من خلال خبرته ووسرته بشؤون مخاطبه ، فعند التأمل نجد أن حال المخاطب تحول إلى المتكلم وما قد عليه ووعاه عن مخاطبه . . . وفي كثير من الشواهد لا نستطيع أن نحدد مخاطبا أو نعين حاله ، بل نجد القصر منظورا فيه ، إلى حال المتكلم وما يحكيه عن نفسه . . . تأمل قول الشاعر :

وَكُنْتُ أَسْرَأَ أَلْفِ الزَّمَانِ مَسَالِمًا      فَآلَيْتُ لَا أَلْقَاهُ إِلَّا مَحَارِبًا

نجد القصر فيه قصر قلب ، فالشاعر قد تغير وتبدل وانقلب من امرئ يلقى الزمان مسالما إلى امرئ لا يلقاه إلا محاربا ، وأنت إن ذهبت تفحص عن حال هنا لا تجد إلا حال المتكلم وحديثه عن نفسه .

وقد انشغل كثير من البلاغيين ودارسين بمسألة المخاطب هذه ، وخاصروا فيها خوصنا ، وقالوا أقوالا كثيرة ، ولا نرى داعيا لإلارة مثل هذه الأمور أو الانشغال بها ؛ لأنها لا تعود على الدارس بفائدة ، والأمر ما له . كما نلت لك - إلى المتكلم وما يرسم في ذهنه ويملئه عن مخاطبه . . . ونحن عندما

فندرس مسائل البلاغة في التعبيرات الجديدة ، والأساليب الرفيعة ، إنما نتأمل السياق لنقف على قرائن الأحوال فيه ، وعندئذ نعرف الغرض من الكلام وما تهدف إليه التراكيب ، وعلى ضوء هذا يتحدد المراد من القصر وغيره من فنون البلاغة .

قصر الصفة على الموصوف ، والموصوف على الصفة : وينقسم القصر باعتبار طرفيه : المقصور والمقصور عليه إلى قصر صفة على موصوف ، وقصر موصوف على صفة ، والمراد بالصفة هنا الصفة المعتبرة التي هي معنى قائم بالغير سواء كان فعلا أو مصدرا أو مشتقا أو ظرفا أو جاريا ومجرورا أو غير ذلك ، وليس المراد بها التعت النحوي ؛ لأنه لا يقع قصر بين نعت ومنعوتة ، كقولك : جاء رجل فاضل ، فنفاضل نعت نحوي للرجل ، لا يفصل بينهما ولا يتصور بينهما قصر . . . كما أن المراد بالموصوف هنا كل ما قام به غيره ، وإن كان هو في نفسه صفة ، تقول في قصر الصفة على الموصوف : ماشاعر إلا زهير ، ما كتب فلان إلا الشعر ، ما أكرمت إلا زيدا . . . وفي قصر الموصوف على الصفة : ماشوق إلا شاعر إنما أنت والذي . . . محمد فارس لا عالم ، ما حاتم بخيلا بل جواد .

قصر الصفة على الموصوف معناه : ألا تتجاوز الصفة ذلك الموصوف إلى موصوف آخر أصلا . إذا كان القصر حقيقيا . أو إلى موصوف آخر إذ كان القصر إضافيا ، ولا يمنع هذا أن يتصف الموصوف المقصور عليه بصفات أخرى غير تلك الصفة المقصورة تقول : الخالق هو الله ، فتقصر هذه الخالق على الله سبحانه وتعالى قصرا حقيقيا تحقيقيا ، ومنه قوله تعالى : ( إِنَّا نَعْبُدُكَ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ )<sup>(١)</sup> حيث نصرت صفة العبادة وكذلك صفة الاستعانة على الله تعالى قصرا حقيقيا تحقيقيا ، ومنه قوله تعالى : ( وَعِندَهُ مَنَاجِبُ النَّجْمِ

لَا يَمْلِكُهَا إِلَّا هُوَ... (١) حيث قصر العلم بمفاتيح الغيب على الله تعالى  
قصرا حقيقيا تحقيقيا فهو قصر صفة على موصوف .

ومنه قول أن تمام :

لا يطرد الهم إلا الهم من رجل مقلقل لبنات القفرة النعب (٢)

فقد قصر الشاعر طرد الهم وهو صفة على الهم من رجل مقلقل لبنات  
القفرة وهو موصوف قصره حقيقيا ادعائيا ، لأن الناس يطردون همومهم  
بأمور كثيرة ، ولكن الشاعر لم يعتمد بشيء منها إلا بالرحلة التي غيرته وأضنته  
والتي كانت سببا في حزن صاحبته وانسكاب عيونها ، فأراد أن يبين لها أن  
تلك الرحلة هي الوسيلة الوحيدة لطرد الهموم والأحزان ... تأمل :

رأت تشنسه فاحتاج هاتجها

وقال لأعجبها لليرة انهكبي

لا تنكري منه تنديدا نجله

فالسيف لا يزدري إن كان ذا شطب

لا يطرد الهم إلا الهم من رجل

مقلقل لبنات القفرة النعب

فهو لم يعتمد بغير الرحلة في طرد همومه وأحزانه ، على الرغم من وجود  
وسائل كثيرة لطرد الهموم - كما قلت - ولذا كان القصر - حقيقيا ادعائيا ..  
ومنه قول الآخر :

---

(١) سورة الأنعام آية ٥١ .

(٢) المراد بالهم الأول : ما يجده الرجل في صدره من أحزان ، والمراد بالهم الثاني :  
الهمة والمزينة ، ومقلقل : من التناقل وهو الحركة العنيفة ، ولبنات القفرة : الإبل التي  
تقطع القفار ، ولانعب : ترددها نموب ، ولانهبان : تحريك الناقة رأسها في الجير وهذا  
دليل النشاط والقوة .

إلى الله اشتكوا لا إلى الناس اثني

أرى الأرض تبق والأخلاق تذهب

قصرت صفة الشكوى على الله تعالى بحيث لا تتجاوزها إلى الناس فهو  
قصر إضافي ... وقول المتنبي في رثاء جدته :

ولم يسلمها إلا المنايا وإنما أشد من السقم الذي أذهب السقم

مقد قصرت سالوما على المنايا قصر صفة على موصوف قصر حقيقة  
تحقيقيا ، لأن جدته كانت قد اشتاقت إليه في غيبته فلما وصلها كتابه قبضه  
وفرحت ثم أخبرت كذبا أنه قد مات لحمت وماتت ، فرثاها بتلك القصيدة ..  
أما قوله : وإنما أشد من السقم الذي أذهب السقم ، ذلك أن يجعل قصر صفة  
على موصوف ، أي : قصر «أشد من السقم» على «الذي أذهب السقم» ، والمزاد  
بأشد من السقم : صفات الكآبة والألم والفقدان والوجع التي تناب السقم  
وتقرره وتجلوه ؛ لأنه لا يقهر الشيء إلا ما هو أشد منه وأقوى ، فهو يتخيل  
صفات كآبة أقوى من السقم ، ويقصرها على ما أذهب السقم ، وهذا إغراب  
في الخيال ... (١)

ولأن أن يجعله من قصر الموصوف على الصفة ، أي : قصر الذي أذهب  
السقم وهو المنايا على كونه أشد من السقم ، ويكون طريق القصر عندئذ  
هو التقديم ، وإنما «منايا» كما في قوله :

أساميا لم تزد معرفة وإنما لذت ذكرناها ..

وسياتي تفصيل القول في هذا ، وهو ما أراه وأرجح ؛ لأن في الأول  
تدقيقا وإغرابا في الخيال ما أظن أن المتنبي قد قصد إليه .

(١) انظر دلائل التراكيب ص : ٧

وقصر المرصوف على الصفة معناه : ألا يتجاوز المرصوف تلك الصفة إلى صفة أخرى أصلاً ، إذا كان القصر حقيقياً . أو إلى صفة أخرى معينة إذا كان القصر إضافياً ، وهذا لا يمنع أن تكون تلك الصفة المقصور عليها وصفاً للمرصوف آخر غير المقصور . فقولك ما عمرو إلا شجاع ، قصر عمرو على صفة الشجاعة بحيث لا يتعداها إلى صفة أخرى ، أما الشجاعة ، فليس هنالك ما يمنع من أن يتصف بها غير عمرو ، وتقول : زيد كاتب لا شاعر ، فتقصر زيدا على صفة الكتابة بحيث لا يتجاوزها إلى صفة الشعر ، ثم قصر إضافي وتقول : ما شوق إلا شاعر ، فتقصر شوقاً على صفة الشعر بحيث لا يتجاوزها إلى صفة أخرى ، فهو قصر حقيقي ، ولا يقال : كيف يرتف المرصوف على صفة واحدة ؟ مسداً محال ولا يتأتى ؟ . . . لأننا نقول : المراد بالصفات المنفية ، تلك الصفات التي تتصل بالمعنى المذكور ، فالصفة المقصور عليها في المثال ، صفة الشعر ، ومعنى قصر شوق عليها قصر حقيقياً ، أنك نفيت عنه كل ما يتصل به ، ويدور في فلكها أو كما يقول عبد القاهر ، كل ما هو بسبيل منها ، كالكتابة والخطابة والفقه والحديث والتدو وما إلى ذلك ، فهو ليس بارعاً في فرع من فروع المعرفة إلا في الشعر الذي قصر عليه ، وليس المراد أنك نفيت عنه كل صفة يمكن أن يوصف بها ، ككونه مصرياً أو فقيراً أو أو مليحاً معافاً أو أبيض أو كريماً أو شجاعاً . ليس هذا مراداً بل المراد - كما قلت - ما هو بسبيل من صفة الشعر المقصور عليها .

ومن شواهد قصر المرصوف على الصفة قوله تعالى : ( إِنَّ اللَّهَ يَسْتَعِزُّ مِنْ بَشَرٍ وَمَا أَنْتَ بِمُسْتَعِزٌّ مِنْ فِي الْقُبُورِ إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ )<sup>(١)</sup> . حيث قصر الرسول صلى الله عليه وسلم على صفة الإنذار ، لا يتجاوزها إلى أن يملك تحويل القلوب المشركة ، عما هي عليه من العناد والمكابرة . . . وقوله عليه



الصلاة والسلام : « من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ، وإنما أنا قادم والله عز وجل يعطى . . . »

فقد قالوا في معناه : كان بعض الصحابة يسمع الحديث ولا يفهم منه إلا الظاهر الجلي ، ويسمعه آخرون منهم فيستنبطون منه المماثل الكثيرة ، فالرسول صلى الله عليه وسلم حين يحدثهم يكون كلامه مقسوما بينهم ، شركة بين الجميع ، أما لهم والاستنباط فهو من عطاء الرحمن ، ففي الحديث قصر للرسول عليه الصلاة والسلام على كونه ناسما لا يتجاوز تلك الصفة إلى الإعطاء فالإعطاء وتحقق المهم من الله تعالى ، وكأن الصحابة رضوان الله عليهم لفرط اعتقادهم في هدايته عليه الصلاة والسلام - وأوا أنه يهتم ويعطى ، ولذا بين لهم - صلى الله عليه وسلم - أنه لا يملك إلا القسم ، وأما الإعطاء فمن الله تعالى ، فالقصر قصر موصوف على صفة قصر إيشافيا إفراديا .

ومنه قول دريد بن الصمة :

دهل أنا إلامن غزبة إن غرت .

غريت وإن ترشد غزبة أرشد

حيث قصر الشاعر نفسه على كونه من تلك القبيلة لا يتعداها إلى غيرها من القبائل ، فهو قصر حقيقي محقق . . . وقول شوقي :

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت

إن هو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

انقد قصر الأمم على الأخلاق قصر موصوف على صفة قصر احتيقيا ادعائيا ، فهناك أمور كثيرة تكون بها الأمم كالثقوة والميل والرق والحضارة وغير ذلك ، وليكن الشاعر لم يعتمد بها وجعل الأمم مقهورة على صفة الأخلاق لا تتعداها إلى غيرها ، فإذا وجدت الأخلاق وسادت كانت الأمم وإن هو ذهبت أخلاقهم ذهبوا .

ومثله قول الآخر :

هل الجود إلا أن تجود بأنفس

على كل ماضى الشفرتين صقيل

حيث قصر الجود على الجود بالأنفس قصر موصوف على صفة قصرها  
حقيقية ادعائيا ، فالشاعر لم يعتد بما عدا الأنفس مما يمكن أن يبذل كالمال  
والرأى والجهد وغير ذلك من ضروب البذل. وجعل الجود ، مقصورا على كونه  
بالأنفس فقط ، إذ الجود بالأنفس أسنى غاية الجود .

ولا يخفى عليك أن قصر الموصوف على الصفة يفيد بلوغ الموصوف  
الغاية ، ووصوله حد النهاية في تلك الصفة ، فقوله : ما زهير إلا شاعر ، يفيد  
كمال المبالغة في شاعريته ، وأنه قد بلغ العاية في الشعر . ووصل إلى حد جعلنا  
لا نعتمد بالصفات الأخرى التي يمكن أن يتصف بها ، وذلك لقصور تلك الصفات  
عن صفة الشعر التي تفوق فيها ووصل إلى حد النهاية . . . ولذا كان قولنا :  
« ما زهير إلا شاعر » ، أبلغ في وصفه بالشاعرية من قولنا « ما شاعر إلا زهير » ،  
أو بمعنى آخر : يكون قصر الموصوف على الصفة أبلغ وأكمل وأقرب في اتصاف  
الموصوف بتلك الصفة من قصر الصفة على الموصوف ، لاحتمال كون  
هذه الصفة التي قصرت على الموصوف دون المستوى الأمثل إذ لم تصل إلى  
حد السكال كل ما هنالك أنها وجدت في زهير دون غيره من الناس . . .

هذا والمراد بالصفة - كما قلت - الصفة الممتوية التي هي « في قائم  
بغيره كما أن المراد بالموصوف ما قام به غيره وإن كان هو في نفسه صفة ،  
وقد نظر البلاغيون في جملة القهر ، وشذوا لك ضوابطهم على تحديد كل  
من الصفة والموصوف ، حيث ذكروا أن القهر إذا وقع بين ركني الجملة  
الاسمية ، فإن قصر المبتدأ على الخبر يكون من قهر الموصوف على الصفة  
كقولك : ما زيد إلا أخوك وإنما محمد كاتب ، وقوله تعالى : ( وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا

إلا متعاضاً (الفرور) (١) وقولك : إنما زيد في الدار ، وما الجود إلا أن تجود بالنفس ، إلا إذا كان الخبر اسماً جامداً وللمبتدأ مشتقاً ، فإن القصر يكون من قصر الصفة على الموصوف كقولك : ما السائب إلا زيد ، وما القائم إلا عمرو ، لأنك أردت الحكم على السائب بأنه زيد ، وعلى القائم بأنه عمرو ، فالسائب مبتدأ خبره زيد والقائم مبتدأ خبره عمرو ، والقصر قصر صفة على موصوف .

وقصر الخبر على المبتدأ من قصر الصفة على الموصوف كقوله تعالى : ( مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ ) (٢) ، وقوله عز وجل : ( إِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَاقِبَاتُ الْحِسَابِ ) (٣) فقد قصرت ، هم ، الرسول على البلاغ قصر صفة على موصوف ، أما قوله : د وعالينا الحساب فهو قصر للمبتدأ الحساب ، على الخبر د عالينا ، قصر موصوف على صفة قصر احذية تحذية .

وإذا وقع التصرف بين أجزاء الجملة الفعلية ، فإن قصر الفعل على الفاعل يكون من قصر الصفة على الموصوف كقولك : ما كتب إلا محمد ، لا يزال الملا إلا محمد ، ومنه قول القائل : لا يطارد الهم إلا الهم من رجل . وقوله جل وعلا : ( لَا يَسْتَلِمُهُمْ إِلَّا هُوَ ) (٤) وقوله تعالى : ( قُلْ يَهْدِيكُمْ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ) (٥) وقوله : ( وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ نَجِّنْهُ مِنَ الذُّنُوبِ إِلَّا اللَّهُ ) (٦) ، وقوله تعالى : ( إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْمُلُكَةُ ) (٧) .

وقصر الفعل على المفعول كقولك : ما ضرب محمد إلا زيدا ، وإنما أكرم

- 
- |                           |                             |
|---------------------------|-----------------------------|
| (١) - سورة الحديد آية ٢٠  | (٢) - سورة المائدة آية ٩٩   |
| (٣) - سورة الرعد آية ٤٠   | (٤) - سورة الأنعام آية ٥٩ . |
| (٥) - سورة الأنعام آية ٤٧ | (٦) - سورة آل عمران آية ١٣٥ |
| (٧) - سورة فاطر آية ٢٨ .  |                             |

زيد عمراً وكما في الآيات الكريمة : « مَا كُنْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ » . . .  
 « إِنْ يُبْلِغُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ » . . . « إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ » ، وكقولهم :  
 إنما يأكل الذئب من الغنم القاصية ، يجوز أن يعد من قبيل قصر الصفة على  
 الموصوف أى : قصر الفعل الواقع من الفاعل على المفعول فيكون المعنى  
 متدث : ما مضروب محمد إلا زيد ، ما مكرم زيد إلا عمرو ، ما مقول إلا  
 ما أمرتني به ، ما مهلككم إلا أنفسهم ، ما تهيمم إلا الظن ، ما ما كول الذئب  
 إلا الغنم القاصية ، فتزول الصفة المقصورة اسم مفعول . لأن الحدث لم يقع  
 من المفعول المقصور عليه وإنما وقع عليه . . . ويجوز أن يعد من قبيل قصر  
 الموصوف على الصفة ، أى : قصر الفاعل على الفعل الواقع على المفعول ، فنى  
 الأمثلة المذكورة قصر محمد على ضرب زيد ، وزيد على إكرام عمرو ، وعيسى  
 عليه السلام على قول ما أمره الله به . . . إلى آخر تلك الشواهد . . . وتلاحظ  
 مدى التسكف في الوجه الأول ، وأن الوجه الثانى غير ممكن إذا كان طريق  
 القصر إنما ، لأنه يؤدي إلى أن المقصور عليه قد ولى إنما ، ومعلوم أن  
 المقصور عليه إنما هو المؤخر . . . والأولى من هذين الوجهين أن يجعل  
 الفعل مقصوراً على تعلقه بالمفعول ، تقول فى الشواهد المذكورة ، قصر  
 ضرب محمد على تعلقه بزيد ، وإكرام زيد على تعلقه بعمرو ، وقول عيسى  
 على تعلقه بما أمره الله به ، وأكل الذئب على تعلقه بالغنم القاصية ، وهكذا  
 فى بقية الشواهد المذكورة .

وقصر الفاعل على الظرف نحو : ما سافر خالد إلا يوم الخميس ، أو على  
 المفعول لأجله نحو : ما زرتك إلا محبة ، وقوله عز وجل : ( مَا تَعْبُدُهُمْ  
 إِلَّا لِيُغْنُوا عَنْكَ إِلَى اللَّهِ زُلْفَى )<sup>(١)</sup> ، أو على المفعول المطلق نحو : ما قلت إلا قول  
 المخلصين ، ما حججت إلا حجتين ، وقوله تعالى : ( إِنْ تَنْظُرْ إِلَّا ظَنًّا )<sup>(٢)</sup>  
 أى : ظناً ضيقاً ، أو على التمييز كقولك : ما طاب محمد إلا نقساء ، أو على الجار

والمجرور نحو : ما عملت إلا في بيتك ، وما دافعت إلا عنك ، أو على غير ذلك من المتعلقات التي يقع فيها القصر ، فإن القصر فيما يكون إما من قصر الموصوف على الصفة ، أو من قصر الصفة على الموصوف بالاعتبارات الموضحة في قصر الفاعل على المفعول .

وقصر صاحب الحال على الحال من قصر الموصوف على الصفة نحو ما جاء على إلا راكبا ، وما القيتة إلا ضاحكا ... ما انتصر المسنون إلا وهم متحدون .

وقصر الحال على صاحبها من قصر الصفة على الموصوف نحو ما جاء راكبا إلا خالد ، ما القيتي من حبا إلا عمرو ، ما انتصرف غاضبا إلا زيد .

وأما المفعول المطابق المؤكد لعامله ، والمنعول معه فلا يتأني فيهما القصر إذ لا يقال . . . اضربت إلا ضربا ، ولا ، ما سبرت إلا والنيل ، أم قوله تعالى : ( إِذْ تَنْظُنُّهُ إِلَّا تَنْظُنَّا ) ، فمعناه : إن نظن إلا ظننا ضعيفا . فهو مصدر مبين للنوع .

ما الفرق بين القصر الحقيقي الادعائي والقصر الإضافي : وكما مر بك في أنواع لقصر ، فإن القصر الحقيقي الادعائي المنقح فيه عام . إذ يشمل كل ما عدا المقصور عليه ادعاء ومبالغة ، تقولك : ما شاعر إلا زهير ، قصر لصفة الشعر على زهير بحيث لا تتمدها إلى غيره من الشعراء على سبيل المبالغة ، وكذا تقولك : ما زهير إلا شاعر ، قصر لزهير على صفة الشعر لا تتمدها إلى غيره أصلا ، وهذا يعني أنه قد تفوق في هذه الصفة وبلغ فيها الغاية ، إلى درجة جعلتك لا تنتد بأي صفة أخرى غيرها . أما لقصر الإضافي فالمنقح فيه محدود وليس طامعا ، تقول : زهير شاعر لا كاتب ، فتقصر زهيراً على الشعر وتنتفي عنه الكتابة ، إفراداً أو قلباً أو تعييناً حسب اعتقاد المخاطب وتقول حاتم جواد لا على فتقصر صفة الجود على حاتم وتنتفيها عن علي .

هذا وعند التحقيق والتأمل تجد أن القصر الإضافي بأشواحه الثلاثة إما أن يكون تحقيقيا وإما أن يكون ادعائيا ، لأن قولك : حاتم جواد لا على ، إذا كان مطابقا للواقع بمعنى إن يكون حاتم هو الكريم فعلا ، وعلى هو البخل ، كان القصر تحقيقيا ، وإن كان على بكره وإمكانك لم تعدد بكره لأمر ما ، بل ذلك حاشا هو الجسود دونه كان القصر ادعائيا مبنيا على المبالغة . . . وكذا القول في قصر المرصوف على الصفة ، فقولك : زهير شاعر لا كاتب ، إن كان فعلا لا يجيد الكتابة ولا يعرف طريقها وفنونها ، كان القصر تحقيقيا ، وإن كان يعرف أول كتابك لم تعدد بتلك المعرفة لسكونه في الشعر أخص وأبلغ كان القصر مبنيا على الادعاء بالمبالغة .  
طرق القصر :

عزمت فيما سبق أن طرق القصر التي اختلج عليها البلاغيون أربعة ، العطف والنق والاستثناء وإعلاء والتقديم وأصناف بعضهم طريقتين آخرين وهما : توسط ضمير الفصل وتزييف أحد رمزي الإسناد بال ، وقد اشتهرت هذه الطرق عند البلاغيين ، ولكن إفادة القصر ليست مقصورة عليها ، فهناك طرق كثيرة غيرها ، وقد ذكر السيرطلي أن طرق القصر بلغت أربعة عشر طريقا ، كما أن القصر يفاد بغير تلك الطرق الممهودة على نحو ما سبق ، ولكن ليس وراء إفادة القصر بغير طرقه الممهودة اعتبارات تذكر ، ولذا لم يلتفت البلاغيون لغير هذه الطرق المشهورة ، الغنية بالاعتبارات والملاحظات البلاغية . . . وذلك بيان تلك الطرق وما يمكن وراء دلالاتها على القصر من مزايها وأسرار بلاغية .

١ - العطف بلا ويل وانكس : تقول : زيد كريم لا عمرو ، وإن كان جواد لا بخيل ، وهو يدعوك إلى الخير لا إلى الشر ، ونحوه ينصحك مخلصا لأمر أتيا ، وجام جالد لا عمرو ، وليس حاتم بخيلا بل جواد ، ولم ينصحني عمرو ولكن حديثه . . . فتجد أن القصر قد أفيد بأحد الحروف المذكورة

وواضح أن طريق المعطف يصرح فيه بكل من المثبت والمنق، أي : المتصور عليه والمنق عنه ، ولذا كان أقوى طرق القصر وأكثرها ، لأن غيره من الطرق لا يصرح فيها بالمنق بل يقوم ضمنا كما سترى .

وعلى الرغم من أن فائدة التأكيد أقوى في هذا الطريق ، فإن مزية الإيجاز فيه تتضاد للتصريح فيه بالإثبات والمنق كما قلت .

وإلا ، مسالحة لكل أنواع القصر ، والمتصور عليه بها هو المقابل لما بعدها ويشترط لدلالتهما على القصر أن يكون المعطف بها مفردا ولا يتقدمها نفي أو نهي وألا يكون ما بعدها داخلا في عموم ما قبلها ، تقول : زيد شاعر لاغير فتفيد قصر زيد على صفة الشعر قصرا حقيقيا . . . وتقول : زيد شاعر لا كاتب فتفيد قصره على الشعر قصرا إضافيا .

وتأمل قول أبي تمام :

بيض الصفائح لا سود الصحائف في

متونين جلاء الشك والريب (١)

تجده قد قصر السيوف التي حقت النصر وفتحت عمورية على كونها بيض الصفائح ، مشرقة لامعة ، وتناها عن كونها سود الصحائف ؛ سوداء مظلمة ، فالمتصور عليه - كما ترى - هو المقابل لما بعدها لا ، ثم قصره جلاء الشك والريب ، على كونه في متون هذه السيوف أي : جوائبهن ، وتفاء عن كتب المنجمين ، وطريق هذا القصر هو التقديم الآتي بيانه . . . ولا يخفى عليك

---

(١) يبيض الصفائح : كناية عن السيوف وسود الصحائف : كناية عن كتب

المنجمين ، متونين : جوائبهن ، جلاء : كناية عن إزالة ، الريب : الخنزير ، بقول : إن السيوف البيضاء هي التي تزيل الشك وتظهر الحقيقة ، أما صحائف المنجمين السوداء فلأنها تضيق الخاطر وتذهب الألباب ، ولبيت من تصبده له في فتح عمورية .

ما وراء أسوار القصر في البيت من أو يبيع وتحفر لؤلؤ المنجمين وما تخبره  
همهم .. ومثله قوله في هذه القصيدة أيضا ، محقرا كتب المنجمين :

والعلم في شوب الأرماع لامة  
بين الخبسين لا في السبعة الشهب

حيث قصر العلم على كونه في شوب الأرماع ونفاه عن الهجوم التي  
يستهدفها المنجمون ، السبعة الشوب ، .

وانظر إلى قول الآخر :

عمر النبي ذكره لا طول مدته  
ومرته خزبه لا يومسه الداني

وقد نعر عمر أمي وحياته على ما يخلفه من أثر طيب وذكى حسن ونفاه عن  
طول مدته وامتداد أجله في الدنيا كما قصر الموت على ما يرضى به بعض الأحياء من  
خزي وهوان ونفاه عن اليوم الداني ومفارقة الحياة ، واعلمك تشعب بما  
وراء القصر من حث على الأعمال الصالحة التي تنفع الإنسان وتبقى بعد  
حياته ، ومن تنفير من الذل والهوان والخزي ، فلا يقبل مثل هذا ويرضخ له  
إلا فاقد الحياة ..

و ، لا ، صالحة لسكل أنواع القصر - كما ذكرت - تقول في نعر الصفة  
على الموصوف زهير شاعر لا عمرو ، وفي نعر الموصوف على الصفة زهير  
شاعر لا كاتب وفي القصر الحقيقي : زهير شاعر لا غيره . . . وفي القصر  
الإضافي : خالد جواد لا عمرو ، فيكون قصر قلب أو أفراد أو تعيين حسب  
اعتقاد المخاطب على نحو ما مر بك . . . فإذا سبقت ، لا ، بتي نحو : ما جاء  
زيد ولا عمرو أو نهي نحو : لا تفعل هذا ولا ذلك ، أو كان المعطوف بها



جملة نحو : زيد مقدم لا أبوه كريم ، والفقير يعطى من الصدقة لا أحد  
يشكر هذا ، أو كان ما بعدها داخلًا في عموم ما قبلها نحو : عاد الحجاج  
لا إبراهيم ، ونجح الطلاب لا خالد ، فمؤنث لا تدل على القصر ، لأنها  
لا تفيد إثبات أمر لآخر وثيقه بين غيره ، كما هو واضح في الأمثلة .

و د بل ، تفيد القصر إذا واها مفرد ، وتقدها نفي أو نهي ؛ لأنها في  
هذه الحال تقرر حكم ما قبلها وتثبت ضده لما بعدها فتتضمن النفي  
والإثبات وذلك عماد القصر ، تقولك : ما جاء زيد بل عمرو ، يفيد نفي الجيء  
عن زيد وإثباته لعمرو ، فالقصور عليه بل هو ما بعدها . ويرى البلاغيون  
أنها صالح للقصر الإضافي إن أرادوا قلبًا وتعيينًا ، ولا تصلح للقصر الحقيقي ،  
لأن المنفي معها يكون أمرًا محددًا دائمًا . فإن جاء عامًا لا يكون منفيًا بل  
يكون مسكوتًا عنه نحو : ما جاءني أحد بل زيد فلا تفيد هذه الجملة سوى إثبات  
الجيء لزيد ، أما ما قبله بل ، وهو أحد مسكوت عنه والمسكوت عنه لا يوصف  
بنفي ولا إثبات ، بل يرى الجمهور أن ما قبله بل ، مسكوت عنه حتى ولو كان  
محددًا نحو : ما جاءني زيد بل عمرو ، ما زيد قائمًا بل قاعد .

ولذا فهي لا تفيد قصرًا ، ويرى البعض أن التثنية لما قبله بل ، ولما بعدها ،  
تقولك : ما جاء زيد بل عمرو ، يفيد نفي الجيء عنهما معًا ولذا فهي لا تفيد القصر ،  
لأن النفي والإثبات غير محققين (١) .

والذي أراه أن د بل ، تفيد القصر بأنواعه ، الإضافي : قلبًا وإفرادًا  
وتعيينًا ، والحقيقي : تحقيقيًا وإدعائيًا ، فهذا ما يفهم من الأساليب والتعيرات  
ولا يمكن دفعه ولا إنكاره . تقول : ما جاء زيد بل عمرو ، فيكون قصر  
صفة على موصوف قصرًا إضافيًا ، وتقول : ما زيد قائمًا بل قاعد (٢) ، فيكون

(١) ارجع إلى شروح التناخيص ج ٢ ص ١٩٠ .

(٢) قاعد : لا تجرب نصبًا علينا على لفظ قائمًا ، لأن ما لا تدل على =

قصر موصوف على صفة قصر إضافيا ، وتفول : ما جاني أحد بل عمرو ،  
فيكون قصر حقيقيا ولا أرى معنى لكون ما قبلها مسكوتا عنه ، ولا توجه  
الثني لما بعدها . . . أما إذا وقعت د بل ، بعد الإثبات نحو جاء زيد بل عمرو ،  
فلا تنفيذ القصر ، لأن المعنى على أنك نقلت المجرى إلى التابع ، عمرو ،  
وجعلت المثبوع زيد ، في حكم المسكوب عنه ، فالجملة لا تنفيذ سوى  
بجود إثبات المجرى عمرو وعندئذ فلا قصر ، لأن القصر بني وإثبات  
كما علت .

ومن شواهد القصر بل قول الشاعر :

ليس اليتيم الذي قدم مات والده

بل اليتيم اليتيم المسلم والأدب

أخذ قصر الشاعر اليتيم على صفة المرءان من العلم والأدب ونناء عن  
فقدان الوالد قبل بلوغ مبلغ الرجال ، فهو قصر موصوف على صفة قصر  
إضافيا ، وأراه قصر قلب ، لأنه قلب ما هو راسخ في الأذهان من أن اليتيم  
هو الذي قدم مات والده بل بلوغ من الرجال ، وفيه حث على التزود بالعلم  
والتحلي بالأخلاق والآداب الرقيقة ، ففائدتها هو اليتيم . . .  
ومنه قول عبد الله بن المعتز :

ليس التعجب من مرأب مساله

بل من سلامتها إلى أوقاتها

حيث قصر التعجب على سلامة الأموال إلى أوقات الاحتياج ونقاء عن  
المواهب والمطايا ، لأن هباته وعطاياه ثابتة وواقعة فهي لا تستحق التعجب ،

---

== المأثبات وإنما تعمل في الثني ، وتغرب ربما عطفًا على عمل و نداء عند إبه ريبين  
وعليه أفاد الأسلوب القصر ، فإن أعربت خبرًا ابتدأ محذوف بلا قصر ، لأن ما بعد بل  
عندئذ يكون جملة .

ولنما التعجب من إصابة المحر وبلوغ الهدف المنشود حيث تبذل الأموال إلى مستحقيها وفي أوقاتها وتسلم لهذا .

و لكن ، تفيد القصر إذا سبقها نفي أو نهي ووليها مفرد ، « كبل »  
مثل : ما أكرمني زيد لكن عمرو ، فقد قصر الإكرام على عمرو ونفي عن  
زيد ، فالقصور عليه بلسكن هو الواقع بعدما مثل « بل » تماماً وهي صالحة  
للقصر الإضافي قلباً وإفراداً وتعييننا حسب اعتقاد المخاطب وللقصر الحقيقي  
بنوعيه ، ويرى بعض البلاغيين أنها لا تصلح للقصر الحقيقي ، لأن المنفي معها  
دائماً يكون أمراً خاصاً ، ويشترط البعض للقصر بلسكن بالإضافة إلى ما ذكر  
الآن تقترن بالوار ، وهذا ليس بشيء لأننا نراها في الأساليب الجيدة والتراكيب  
الامتازة قد اقترنت بالوار وأفادت القصر ، انظر إلى قوله تعالى : ( مَا كَانَ  
مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ )<sup>(١)</sup> ،  
فقد قصر النبي عليه الصلاة والسلام على الرسالة والختم لا يتجاوزهما إلى أبوة زيد ،  
قصر موصوف على صفة قصر أضافياً ، ولكن مقرونة بالوار كما ترى .  
ومنه قول الشاعر :

إن الجديدين في طول اختلافهما لا يفسدان ولكن يفسد الناس  
فقد قصر الإفساد على الناس ونفاه عن الجديدين وهما الليل والنهار .  
وقول عروة بن الورد :

وما شاب رأسي من سنين تنامت على ولكن شيبني الوقائع  
حيث قصر الشيب على الوقائع ونفاه عن تابع السنين (٢) . . . ومن  
يجب . لكن مفيدة للقصر وهي غير مقرونة بالوار قول الشاعر :

(١) سورة الأحزاب الآية ٤٠ .

(٢) لا يعني عليك أن ما بعد لكن في البيتين جملة تدل على القصر لهما ،

بناء على رأي بعض البلاغيين كما ستري .

ما زال في دنياه وأن بغية لكن أخو حزم يمد ويمد  
فقد قصر نيل البغية على أخو حزم ، ونفاهما عن المتراحي الكسول  
وليه حث على الجد والاجتهاد ، فالدينيا كفاح وميدان تسابق والنبي  
يصل إلى هدفه ويحقق غايته هو الجاد الذي يكدر ويكدرح ويسابق ويغالب .  
وهذا الذي ذكرته لك هو أرجح الآراء وأولها بالقبول في دلالة  
تلك الحروف على القصر ، وهناك خلاقات كثيرة حول هذه الدلالة ، فمن  
البلاغيين من يرى أن « لكن » لا تفيد القصر ، ومنهم من يرى أن « بل »  
مسكوت عما قبلها سواء سبقت بنفي أم لم تسبق ، - كما ذكرت لك - ومنهم من  
يرى أن « بل » لا ترد في فصيح الكلام ، ومنهم من يرى أن لكن لقصر  
القلب دون الأفراد ، ومن يرى أنها للإيراد دون القلب ، ومنهم من يرى  
أن لكن وبل تدلان على القصر ولو كانت معطوفها جملة كما في قول  
الشاعر :

ما افترينا في وصفه بل وصفنا بعض أخلاقه وذلك يكفى

وكما مر بك في قول عمرو :

وما شاب رأسي من سنين تتابعت

عسى ولكن شيتني الوقائع

وقول الآخر :

إن الجديدين في طول اختلافهما لا يفسدان ولكن يفسد الناس

فمنهم من يرى أن « بل ولكن » في الآيات تدلان على القصر ، ومنهم من  
يرى أنها ما يفيدان معنى القصر ، وليس ما في الآيات نصرا ، أي : ليس طريقا  
من طريقه ، لأنه مفاد من جملتين ومثله قولك : جاء عمرو ولكن ريدا لم يأت ،  
وقلت لك هذا لكن ذلك لم أقله . . . وحتى « لا » التي هي رأس هذا الطريق

لم تسلّم من تلك الخلفات ، فقد ذكر عبد القاهر أنها تفيد عكس ما يعتقد المخاطب ولا يؤتى بها إلا لذلك ، فهي عنده لقصر القلب دون غيره ، وقد رأيت أنها صالحة لكل أنواع القصر . . . إلى غير ذلك من الخلفات فهي كثيرة ، وقد أعرضنا عن مناقشتها لعدم الجدوى من تلك المناقشة .

٣ - التنقي والامتناء : تقول : ما القادم إلا زيد ، وما أنت إلا مصيب ، فتفيد قصر الصفة على الموصوف في الأول ، والموصوف على الصفة في الثاني ، ويستخدم هذا الطريق فيما ينسكركه المخاطب ويدفعه أو فيها يشك فيه ويرتاب . . . يقول عبد القاهر : « وأما الخبر بالتنقي والإثبات نحو : ما هذا إلا كذا ، وإن هو إلا كذا فيكون للأمر ينسكركه المخاطب ويشك فيه ، فإذا قلت : ما هو إلا مصيب أو ما هو إلا مخطف . قلته لمن يدفع أن يكون الأمر على ما قلت ، وإذا رأيت شخصاً من بعيد فقلت : ما هو إلا زيد لم تقبله إلا وصاحبك يتوهم أنه ليس بزيد وأنه إنسان آخر ، ويجد في الإنكار أن يكون كذلك . . . (١) .

تأمل قوله تعالى : ( قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ آفْرِ . وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي تِلْكَ . إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ . قُلْ بِسْمِ اللَّهِ الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرِ ) (٢) ، تجده قد قصر الاتباع على الوحي لا يتجاوزهُ إلى غيره ، فهو قصر حقيقي ، وقد أثر التعبير بالتنقي والامتناء ، إذ المخاطبون ينسكرون ذلك ويدفعونه ، فهم يستفدون أنه شاعر أو ساحر أو كاهن ، لا يقرون بالوحي ، بل يقولون : أساطير الأولين اكتتبتها فهي تحمل عليه بكرة وأسيلا فلما كان المشركون منسكرين أن يكون الرسول - عليه الصلاة والسلام - متبعاً لوحي يوحى إليه ويجحدون ذلك ويدفعونه ، جاء القصر ، بأن وإلا ، ليعرّد هذا الإنكار ويدفع ذلك الجحد . . . ومثله قوله تعالى :

(٢) - سورة الأنعام آية ٥٠ .

(١) دلائل الإعجاز ١٢٧ .

( إِنَّ هَذَا لَمَوْ التَّعَصُّبِ الْمُنَى وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ )<sup>(١)</sup> ، وقوله عز وجل :  
( حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا : إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ  
الْأَوَّلِينَ )<sup>(٢)</sup> فقد جاء القصر بالنفي والاستثناء في الآيتين ، لأن المخاطب  
يشكر الحكم ويدفعه ، إذ الكفرة لا يقرون بالوحدانية ، والرسول - صلى  
الله عليه وسلم - يذنب وينكر كون ما جاء به أساطير الأولين ، ويوقن إيقانا  
راسخا أنه حق من عند الله .

فهذا الطريق - النفي والاستثناء - يستخدم عندما ينكر المخاطب ويحدد  
الحكم أو عندما ينزل تلك المنزلة ، وسيوضح لك هذا عند الحديث عن أرجه  
الاختلاف بين طرق القصر .

ومثل النفي في إفادة القصر ، النهي والاستفهام ، كما في قوله تعالى :  
وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا  
لِلذُّنُوبِ وَمَنْ يُنْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَآلَمْ بُعِثُوا قَلْبًا مَا فَعَلُوا وَهُمْ  
يَعْلَمُونَ )<sup>(٣)</sup> ، فقد قصر غفران الذنوب على الله سبحانه وتعالى قصر صفة  
على موصوف قصر حقيقيا بحقيقيا ، وطريقه هو النفي والاستثناء ، لأن  
الاستفهام في الآية الكريمة مراد به النفي ، إذ المعنى : لا يغفر الذنوب إلا  
الله ، مثله قوله تعالى : ( هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ )<sup>(٤)</sup> ، حيث  
قصر جزاء الإحسان على الإحسان قصر موصوف على صفة ، وطريقه هو  
النفي والاستثناء ، لأن الاستفهام بمعنى النفي . . . . . وتقول : لا تفعل إلا الخير . .  
لا تصاحب إلا الوفي . . . . . لا تعتمد إلا على الله ، فتعصر الفعل على الخير  
والمصاحبة على الوفي والاعتماد على الله ، وطريق القصر - كما ترى - هو  
النهي والاستثناء .

(١) - سورة النساء آية ٢٥ .

(٢) - سورة آل عمران آية ٦٢ .

(٣) - سورة الرحمن آية ٦٠ .

(٤) - سورة آل عمران آية ١٣٥ .

والمقصود عليه في طريق النبي والاستثناء هو المستثنى أى : الواقع بعد أداة الاستثناء ، سواء تقدم أو تأخر تقول : ما جاء إلا زيد فتعصير الجيء على زيد ، ويقول زهير بن أبى سلمى :

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم وما هو عنها بالحديث المرحوم

فقد قصر الحرب على الذى علموه وذاقوه من ويلاتها ، قصر موصوف على صفة . . . ويقول المتنبي :

لا يدرك المجد إلا سيد فغان لما يشق على السادات فعال

قصر إدراك المجد على السيد الفغان الذى يستطيع إدراك ما يشق على السادة الكرام . . . وتقول : لا أختار الوفى إلا منكم . . . ولا أختار منكم إلا الوفى ، فتفيد بالأول : قصر اختيارك الوفى على كونه منهم ، ففيه مدح لهم وتثنيهم بشأنهم ، وأن من أراد الوفى فعليه بالانجاء إليهم فهم جميعا أوفياء ، وتفيد بالثانى : قصر اختيارك منهم على الوفى ، وهذا يعنى أن فيهم الوفى وخير الوفى ، فأنت تختار الوفى وتترك غيره ، ولا يعنى عليك بعد ما بين القولين . . . وتأمل قول الشاعر يمدح بنى هاشم :

لو خسر المنبر فرسانه ما أختار إلا منكم فارسا

تجده قد قصر اختيار الفارس على كونه منهم ، وهذا يعنى أنهم جميعا فرسان وأن المنبر لا يتجه إلا إليهم حين يتاح له أن يختار فارسه ، ولو قال الشاعر : ما أختار منكم إلا فارسا ، لتغير المعنى ، إذ يصنبح المراد : قصر اختيار المنبر منهم على الفارس دون غيره ، فهم ليسوا جميعا فرسانا . . . وتلاحظ في البيت تقديم إلا وما وإيها على المفعول ، فارسا ، وهو جزء من المقصود . كما عرفت . إذ المراد قصر اختيار المنبر فارسه عليهم دون غيرهم ، وهذا التقديم قد منعه بهض البلاغيين وقالوا : إنه يؤدى إلى قصر الفعل قبل تمامه ، وذهب البعض إلى أنه كلامان وليس كلاما واحدا ، فالمفعول المؤخر ،

منقول لفعل محذوف دل عليه المذكور، والمعنى: ما اختار إلا منكم.. اختار فارساً، وتقول: ما أعطيت إلا زيداً درهماً، والمعنى: ما أعطيت إلا زيداً.. أعطيت درهماً، وكذلك ما نصرت الإعطاء على زيد، شمرت بحاجة السامع إلى نوع العطاء، فأردت أن تبينه فقلت: درهماً وحذفت الفعل والفاعل لدلالة ما تقدم عليهما... وبعضهم أجازوه إذ صرح بالمستثنى منه، كأن يقال: ما ضرب أحد أحدًا إلا زيداً وعمراً، فزيد مستثنى من أحد الأول وعمرو مستثنى من أحد الثاني (١) ... ومنهم من أجاز ذلك التقديم مطلقاً من غير تصريح بالمستثنى منه، وإن كان هذا التقديم قليلاً في التعبيرات الجيدة، وحيثهم أن أداة الاستثناء لا يخرج بها إلا شيء واحد وهو ما يليها، فلا يقع لبس فيها بعدها، فإذا قلت: ما ضرب إلا محمد زيداً، لا يتوهم أن محمداً هو المستثنى وهو المقصور عليه وكذلك قولك: ما شرب إلا اللبن محمد، لا يتوهم أن اللبن هو المقصور عليه المستثنى... وهذا هو الأولى بالقبول لوروده في التعبيرات الجيدة، وطالما قد عرف موضع المقصور عليه وحدده، إذ هو دائماً الواقع بعد أداة الاستثناء، فلا ضير بعدئذ أن تقدم به الأداة أو تتأخر، وليس نعمة مانع من أن يتأخر جزء من المقصور عن المقصور عليه، لأن الأخير قد حدد وعين موطنه، والمهم ألا تتخلى أداة الاستثناء عن المستثنى وألا تزحزح عنه، لأن زحزحته وتقدمها أو تأخيرها بدونه يغير المعنى... وعد إلى الأمثلة المذكورة: ما اختار إلا منكم فارساً ما أعطيت إلا زيداً درهماً.. ما ضرب إلا محمد زيداً.. ما شرب إلا اللبن محمد.. ثم زحزح هـ إلا، وحدهما قول: ما اختار منكم إلا فارساً.. ما أعطيت زيداً إلا درهماً.. ما ضرب محمد إلا زيداً... ما شرب اللبن إلا محمد... تجد أن المعنى قد تغير وتبدل بتلك الزحزحة.

وختلاصة الأمر أن المقصور عليه هو ما يلى أداة الاستثناء سواء تقدمت به الأداة أو تأخرت، فالزجاج أنه لا مانع من هذا التقديم لوضوح

(١) انظر شروح التلخيص ٢/٢٢٧.



المراد وزوال اللبس بمعرفة موضع المقصور عليه . . . وتأمل قول المتنبي  
يتحدث عن نفسه في قصيدته التي رثى فيها جدته :

تغرب لا مستعظما غير نفسه ولا قابلا إلا لخالفه حكا  
ولا سالكا إلا فزاد عجاجة ولا واجدا إلا بكرمة طعما

فقد قصر الاستعظام على نفسه ، والسلوك على فزاد العجاجة وقبول  
الحكم على خالفه ، ووجود الطعم على المبكرة ، وواضح تقديم إلا بالمقصور  
عليه . في القصيرين الأخيرين - على المفعول ( حكا وطعما ) وهو جزء من  
المقصور ، ولم يؤد هذا التقديم إلى خفاء ولا لبس لوضوح كل من المقصور  
والمقصور عليه ومثله قول الآخر :

الناس إل علينا فليس لنا إلا السيوف وأطراف القنا ورد  
والأصل : فليس لنا ورد إلا السيوف وأطراف القنا .

وجه دلالة النفي والاستثناء على القصر : النفي والاستثناء هو رأس باب  
القصر ، وهو الطريق الأم بين طرقه ، إذ تراهم يقيسون عليه غيره فيقولون  
مثلا . قولك : إنما زهير شاعر ، معناه : ما زهير إلا شاعر . وقولك : لك  
هذا ، معناه : ما هذا إلا لك فلانارة في أن النفي والاستثناء يدل على القصر ،  
ولم يذهب أحد من البلاغيين إلى خلاف ذلك ؛ لأن دلالة الطريق على القصر  
دلالة واضحة وضوحا تاما وظاهرة ظاهرة اقربا ، وعلى الرغم من ذلك ترى  
البلاغيين يتحدثون عن وجه هذه الدلالة ، فيقولون : إن وجه دلالة النفي  
والاستثناء ، على القصر هو أن النفي في الاستثناء المقرغ وهو الذي ترك فيه  
المستثنى منه فقرغ الفعل الذي قبل إلا وشغل عنه بالمستثنى المذكور بعدها  
نحو : ما ضرب إلا زيد وما فعل زيد إلا هذا وما كسوته إلا جبة ، يقولون  
النفي في هذا الاستثناء متوجه إلى مقدر عام وهو المستثنى منه ، لأن إلا  
للإخراج ، والإخراج يقتضى مخرجا ، ولا بد أن يكون عاما ليتناول  
المستثنى وغيره ، فيتحقق الإخراج ، وأن يكون مناسباً للمستثنى في جنسه

وصفته فيقال في الأمثلة المذكورة : ما ضرب أحد، إلا زيد . . ما فعل زيد شيئا من الأشياء إلا هذا . . ما كسوته من اللباس إلا جبة ، وإذا كان النقي متوجها إلى هذا المقدر العام المناسب للنقي في نفسه وصفته فعندما توجب من ذلك المقدر شيئا بإلا أو غيرها من أدوات الاستثناء يكون القصر ، لأن ما عدا هذا المثبت يظل باقيا على صفة الانتفاء ، وكل قصر يفيد إثباتا ونقيا ، أي : إثبات المقصور للمقصور عليه وتقيه عما سواه ، على الإحلاق في القصر الحقيقي ، أو عن معين في القصر الإضافي . . .

ويذكر السيوطي أن قولك : ما قام إلا زيد ، صريح في نفي القيام عن غير زيد وبقتضى إثبات القيام لزيد ، قيل بالمنطوق ، وقيل بالمفهوم وهو الصحيح ، ولكنه أقوى المفاهيم (١) . . .

أما جمهور البلاغيين فيرون أن النقي والاستثناء ، مثل التقديم ، إعا ، الدلالة في ثلاثتها نص على المثبت دون المنفي ، والخطاب في ذلك يسير ، لأن البلاغيين نظروا إلى الجملة بعد تمامها ، والسيوطي نظر إلى ما يتبادر إلى الذهن أولا ، فالذي يتبادر إلى ذهنك عند سماعك : ما قام إلا زيد ، هو نقي القيام عن غير زيد ، ثم يأتي بعد ذلك إثباته لزيد ، وكأنه تحقيق له وتحديد ، وذلك دقيقة جيدة في تحايل دلالة العبارة . . .

هذا وعندما تقول : ما زيد إلا شاعر ، فتدخل النقي على الذات ، لا يكون القصد إلى نفي الذات ، لأن أنفس الذات لا تنفي ، وإعما يتجه النقي إلى أوصافها وأحوالها التي يحددها السياق ، وفي المثال المذكور ، حيث لا نزاع في طول زيد وقصره ، ولا في كرمه وشجاعته وما شاكل ذلك ، وإعما النزاع في كونه شاعرا أو كاتباً أو خطيباً تناول النقي هذه الصفات التي هي موضع النزاع فإذا قيل إلا شاعر ، جاء القصر (٢) . . .

(٢) انظر الإيضاح ج ٢ ص ١٢ .

(١) انظر الإيضاح ج ٢ ص ٥٢ .

هل يفيد الاستثناء التام القصر ؟ . لا خلاف بين البلاغيين في أن  
الاستثناء التام المنقح نحو قولك : ما جاني أحد إلا زيد ، وما أكرمت أحداً  
إلا عمراً ، وقول المتنبي :  
كان لم يمت حي سواك ولم يقم  
على أحيد إلا عليك الفوايح

لا خلاف بينهم في أنه يفيد القصر ، ولكن الخلاف في جملة من طرق  
القصر الاصطلاحية ، فالبعض يرى أنه ليس نصراً اصطلاحياً بل هو قيد  
يصحح المحكم المنقح ، فإذا قلت : ما جاني أحد إلا زيد ، كان استثناء زيد  
قيداً مصححاً للحكم ، لأن قولك : ما جاني أحد ، حصل به الحكم المنقح ،  
لكن لما كان هذا الحكم شاملاً لزيد وهو لم يأت قيد المجيء . بغير زيد  
ليصحح الحكم المنقح ، وحجتهم أن ما قبل الأداة كلام تام بحسن السكوت  
عليه ، فمناط الفائدة وهو الحكم قد حصل قبل الأداة ، وعندئذ يكون  
ما بعدها كأنه قيد مصحح . . . ويرى آخرون أنه قصر اصطلاحياً كالاستثناء  
المفرغ ، ولكنه جاء على خلاف الأصل ، حيث صرح فيه بالمشية له والمنقح  
عنه معاً ، والجمهور على أن الأصل في طريق المنقح والاستثناء النص على المشية  
له فقط (١) . .

أما الاستثناء التام الموجب كقولك : جاء القوم إلا زيد ، وأكرمت  
الطلاب إلا المهمل ، فالصواب أنه ليس نصراً ، بل هو قيد مصحح للحكم  
لا غير ، وكأنك قلت : جاء القوم المغايبون إلا زيد ، وأكرمت الطلاب  
المغايبين للمهمل ، كما تقول : جاء القوم الصالحون . . . وقيل : إنه نصر  
لأن المعنى على قصر عدم المجيء . على زيد ، وعدم الإكراه على المهمل ، وهذا  
ليس بقول ، والصواب هو الأول وهو أن الاستثناء التام الموجب يفيد القصر  
أي : الإثبات والمنقح ولكنه ليس شريطةاً من طريقه . . .

وختلصة القول أن الاستثناء المفرغ كقولك : ما جاء إلا زيد ، نصر

(١) انظر شرح التلخيص ٢٠٧ / ٢

اصطلاحى باتفاق البلاغيين ، والاستثناء التام المنفى كقولك : ما جاء أحد إلا زيد ، قصر اصطلاحى على الراجع ، والاستثناء التام الموجب كقولك : قام القوم إلا زيد يفيد القصر وليس قصراً على الراجع من أقوالهم ..

هل يجوز اجتماع المنفى والاستثناء ، والمعنف بلا ٢ . . . طريق المنفى  
والاستثناء لا يجتمع والدطف بلا ، فلا يجوز أن تقول : ما جاء إلا زيد لا عمرو ، وذلك لأن المنفى فى قولك : ما جاء إلا زيد ، عام وهو يشمل ما عدا زيدا : وعمرو داخل فى دائرة المنفى ، و لا ، العاطفة وضعها القوم لأن ينفى بها الشيء ابتداء ، لا لأن ينفى بها شيء قد نفى بغيرها ، يقول شيخ البلاغة : « ليس من كلام الناس أن يقولوا : ما زيد إلا قائم لا قاعد ، فإن ذلك إنما لم يخرج من حيث إنك إذا قلت : ما زيد إلا قائم فقد نفيت عنه كل صفة تنافى القيام ، وصرت كأنك قلت : ليس هو بقاعد ولا مضطجع ولا متكى . » وهكذا حتى لا تدع صفة يخرج بها من القيام ، وإذا قلت من بعد ذلك : لا قاعد كنت قد نفيت بلا العاطفة شيئا قد بدأت تنفيه ، وهى موضوعه لأن تنفى بها ما بدأت فأوجبه ، لا لأن تفيد بها المنفى فى شيء قد نفيت . . . (١) . . . ولذا عيب قول القائل :

لعمرك ما الإنسان إلا ابن يرمه على ما تجلئ يومه لا ابن أمسه  
وينبغى أن تفرق بين « لا ، العاطفة و ، لا ، الداخلة على الجملة » ، فإن الأخيرة يجوز أن تجتمع ، والمنفى والاستثناء ، نحو : ما زهير إلا شاعر ، لا يقول أحد غير ذلك ، ما هذا إلا لك ، لا يشاركك فيه أحد ، ليس السكوت عن العيوب إلا جبنا ، لا يرى أحد غير ذلك ، وإنما كان هذا جائزا ، لأنك لم تنف « بلا » شيئا قد نفى قبل ، بل نفيت بها جملة مستقلة وأدت بها جملة القصر السابقة ..

٣ - [٤] : ودلالة إنما على التفسير دلالة وضعية وعلى الرغم من ذلك

لم يفت البلاغيون أن يتحدثوا عن وجه دلالتها على القصر ، فقد ذكروا أنها تدل على القصر لتضمنها معنى ، ما وإلا ، ، واستدلوا على ذلك بوجوه ، منها : قوله تعالى : ( إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ )<sup>(١)</sup> بالنصب ، حيث ذكر المنسرون الذين يحتاج بهم في اللغة كابن عباس ومجاهد ونحوهما من الصحابة والتابعين ، أن المعنى : ما حرم عليكم إلا الميتة وهو المطابق لقراءة الرفع حيث يفاد القصر في هذه القراءة بتعريف الطرفين ، فالآية فيها ثلاث قراءات وكلها تفيد القصر ، القراءة الأولى : « إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ » ، بنسبها وحرم ، للعلوم ورفع ، الميتة ، ، وعلى هذه القراءة تكون ، ما ، اسم موصول وعائده محذوف والمعنى : إن الذي حرمه عليكم هو الميتة ، وهو قصر للتحريم على الميتة وما بعدها وطريق القصر تعريف الطرفين ، والقراءة الثانية : « إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ » ، بنسبها ، حرم ، للموصول ورفع الميتة ، وعلى هذه القراءة ، فما إما اسم موصول والمعنى : إن الذي حرم عليكم هو الميتة ، وإما كافة لإن والمعنى : ما حرم عليكم إلا الميتة ، وهذا نص أيضا للتحريم على الميتة وما تلاها وطريقه تعريف الطرفين في الأول وإنما في الثاني ، والقراءة الثالثة : « إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ » ، بنسبها ، حرم ، للفاعل ونصب ، الميتة ، ، فما كافة لإن ، والمعنى : ما حرم عليكم إلا الميتة ، فهو نص طريقه إنما ، وهذا يتضح لك تطابق القراءات الثلاث في إفادة القصر ، سواء كانت « ما » كافة لإن أو مرسولة .

ومنها : قول من يحتاج بقولهم من النجاة وهم من أخذوا الثقة من كلام العرب مشافهة : إن إنما لإثبات ما ينكر بعدها ونفي ما سواه ، أو : لإثبات الحكم المتضمن لما بعدها ونفي ما سوى ذلك الحكم ، وهذا القول من النجاة يقتضى تضمينها الإثبات والنفي كما وإلا ، إما في قصر الموصوف على الصفة كقولك :

(١) سورة النحل آية ١١٥ .

إنما زيد قائم ، فهو لإثبات قيام زيد ونفي ما عداه من القعود ونحوه ، وإما في قصر الصفة على الموصوف كقولك : إنما يقوم زيد ، فهو لإثبات قيام زيد ونفي ما سواه من قيام عمرو وخالد وبكر وغيرهم ، وهذا هو القصر الذي يدل عليه النفي والاستثناء . . .

ومنها : صحة انفصال الضمير معها كقولك : إنما يقوم أنا ، وإنما يكرم أنت ، وإنما يعطى نحن ، وذلك لأنه متى أمكن انفصال الضمير فلا يعدل إلى انفصاله إلا لغرض ، فلا يجوز أن تقول : يكرم أنت ولا يقوم أنا ولا يعطى نحن ، لإمكانك أن تقول : تكرم وأقوم وتكرم وتعطى ، فلما صح انفصال الضمير مع «إنما» دل ذلك على أنها بمعنى «ما وإلا» ، لأن «إلا» لا يليها سوى الضمير المنفصل كقولك : ما يقوم إلا أنا ، وما يكرم إلا نحن ، وكقول عمرو بن معد يكرب :

قد علمت سلبى وجاراتها ماطر الفارس إلا أنا (١)

ومن ورود الضمير منفصلاً بعد «إنما» قول الفرزدق وهو من الذين يستشهد بشعرهم على صحة التراكيب وبلاغتها :

أنا الذائد لحامى الذمار وإنما يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلى (٢)

فقد قصر الدفاع عن أحسابهم عليه هو أو مثله ، قصر صفة على موصوف قصرأ حقيقياً ادعائياً ، ولو قال ، إنما أدافع عن أحسابهم أنا أو مثلى لكان قصرأ لدفاعه على كونه عن أحسابهم لا عن أحساب غيرهم قصر موصوف على صفة ، ويكون قوله : «أنا أو مثلى» ، تأكيداً لا مقصوراً عليه ، وليس

(١) قطر بمعنى صرعه صرعة شديدة .

(٢) الذائد : من الذود وهو الدفاع ، والذمار : ما يلزم الشخص حمايته من أهل زمال ونحوها مأخوذة من الذمر وهو الخث .

هذا مراد الشاعر ، لأنه قصد إلى الفخر والاعتداد بنفسه وأنه هو المدافع عن  
أحسابهم دون غيره ، ولم يقصد أنه يدافع عن أحساب قومهم دون أحساب غيرهم ،  
لأن هذا يتنافى ومقام المدح والفخر ، تقول : إنما يفهم البلاغة المتذوق ، فتجده  
أبلغ من قولك : إنما يفهم المتذوق البلاغة ، لأن الأول أفاد قصر فهم البلاغة  
على الذواقة دون غيره ، والثاني أفاد قصر فهم المتذوق على البلاغة دون غيرها  
من العلوم ، فالأول هو المناسب لمقام المدح والتعظيم كما ترى ، ولا يقال : إن  
القصر في البيت طريقته تفرق الطرفين وأن دما ، موصولة وليست كافة  
لإن ، والمعنى إن الذي يدافع عن أحسابهم هو أنا أو مثلي ، فيسكون الداعي  
لفصل الضمير وقومه خيراً وليس وقومه بعد ، إنما ، التي بمعنى دما وإلا ،  
وذلك لأن المقام مقام شرف كما قلنا فهو يقتضى دمن ، الموصولة التي للعائل ،  
وليس هنالك سر بلاغي ولا ضرورة شعرية تقتضى المدول عن دمن ، إلى  
دما ، ولذا فليست دأما ، إلا مركبة من دإن ، وما السكافة . . .

وأضاف السكاكي وجها لطيفا لإفادة دإنما ، القصر ، يستند إلى علي بن  
عيسى الرعي وهو أنه لما كانت كلمة دإن ، لتأكيد إسناد المسند إلى المسند  
إليه ثم اتصلت بها دما ، المؤكدة ، وليست ما النافية كما يظنه ، من لا وفوف له  
على علم النحو ، فاسب أن يضمن معنى القصر ، لأن القصر ليس إلا تأكيداً  
على تأكيد ، وعلى الرغم من لطافة هذا الوجه فإنه لا يصح دليلاً لإفادة  
إنما القصر ، لعدم اطراد في كل الأساليب التي يجتمع فيها مؤكداً نحو :  
إن ربنا لقائم (١) . . .

وأضاف بهاء الدين السبكي أن من الأدلة على إفادة دإنما ، القصر قوله  
تعالى : ( إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ ) ، وقوله عز وجل : ( إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِبُرْءِ اللَّهِ  
إِنْ شَاءَ . . . ) ، وقوله جل وعلا : ( قُلْ إِنَّمَا عِشْيَا بَيْنِي وَبَيْنَ رَبِّي . . . ) ،  
فإنه إنما يحصل مطابقة الجواب إذا كانت إنما للحصر ليكون معناه لا آتوكم

به إنما يأتي به الله ، ولا أعلمها إنما يعلمها الله (١) ..

وتلك إضافة جيدة ، فقد نظر ابن السبكي إلى استعمالات إنما في الذرا كريب ولم ينظر إلى . اقاله العلماء وأهل صناعة الكلام في شأنها ، وعندما تتأمل سياق الآيات الكريمة التي أشار إليها تجد أن : إنما ، يتحتم أن تكون بالاحقاف ، تأمل سياق الآية الأولى : ( وَإِذْ كُنَّا نَمُوتُ وَإِنَّا لَنَاقِفُونَ ) (٢) ، وقد خلت الذر من بين يديه ومن خلفه ألا تعبدوا إلا الله إني أخاف عذبكم عذاب يوم عقابهم . قالوا ، اجئتنا لئلا نفيكنا من آياتنا فتمدنا بما تمدنا إن كنت من الصادقين . قال : إنما العلم عند الله وأبلاغكم ما أزييت به ولست أراكم قوماً تعجبون (٣) ، تجد أن القرع قد طلبوا العذاب الذي أنذرهم به هرد - عليه السلام - واستمعوا وقرع ، فأجابهم بأن مهمته إنما هي تبليغ ما أرسس به وأن العلم برقوع العذاب عند الله وحده ، لا يتعداه إلى هرد فما هرد إلا مبلغ ، وهذا يتضح لك أن قوله تعالى : إنما العلم عند الله ، يدل على القصر لا محالة ... وتأمل سياق الآية الثانية : ( قالوا . يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتينا بما تمدنا إن كنت من الصادقين . قال : إنما يأتيكم به الله إن شاء ) (٤) فالمراد يأتيكم به الله إن شاء لا أنا ، لأن مهمته - عليه السلام - تقف عند حد التبليغ . وانظر في سياق الآية الثالثة : ( يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل : إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو ) (٥) ، أريد : علمها عند ربي وليس عندي ، فالسياق - كما رأيت - يقتضي أن تكون إنما ، للقصر لإفادتها النبي والإنبات معا ..

(١) انظر شرح التلخيص ١٠٣/٢

(٢) سورة الأحقاف آية ٢١ - ٢٣

(٣) سورة هود آية ٢٢ - ٣٣

(٤) سورة الأعراف آية ١٨٧



هذا والمقصود عليه ، وإنما ، هو المأخوذ دائماً ، تقول في تصرف العلم على محمد ، وإنما العالم محمد ، وفي تصرفه على العلم ، وإنما محمد عالم ، وثاني ، إنما ، لإفادة كل أنواع القصر ، فهي تفيد القصر الحقيقي بقسميه التحقيقي والادعائي كما تفيد القصر الإضافي بأنواعه الثلاثة : القلب والإفراد والتعيين . اقر قوله تعالى :

( إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْمَدَاوِمَةَ وَالْبِهْضَاءَ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ وَيَعُودَ كُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ )<sup>(١)</sup> ،

فجد إرادة الشيطان قد قصرت ، وإنما ، على إيقاع المداومة والبعضاء بين المسلمين في الخير والميسر وعدم عن الذكر والصلاة ، فهو قصر صفة على موصوف قصرها حقيقياً غير تحقيقي ، لأنه مبني على المباغاة ، إذ الشيطان يسلك كل طريق لكي يبعد العبد عن طاعة ربه ، ولكن لما كانت هذه الأمور وهي الخير والميسر والصلاة والذكر من الخطورة بمكان فقد قصرت إرادة الشيطان عليهما وكان ماعداها لا يمتد به إذا ما قدرن بها . ولما كانت ، إنما ، تستعمل في الأمور المعلومه التي لا تشكر ولا تدفع - كما سيأتي - فقد أدرت بالتعبير هنا لتنبه بأن هذا الأمر من الأمور المعلومه التي لا يشكرها أحد ولا يدانها مدافع . ، ومثله قوله تعالى : ( إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَدْرُونَ )<sup>(٢)</sup> ، حيث تصرف ما يأمر به الشيطان على السوء والفحشاء والقول على الله بلا علم قصرها حقيقياً وقوله تعالى : ( إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ )<sup>(٣)</sup> ، حيث تصرف خشية الله على العلماء قصرها حقيقياً غير تحقيقي ، لأن غير العلماء يخشون الله تعالى ، بل قد يكون غير العالم أشد خشية لله من العالم ، والسكنه لم يمتد بذلك ، لأن المقام مقام حث على العلم والنظر والتأمل في عجيب صنع الله ، وقد مرت بك هذه الآية الكريمة ، فارجع إلى ما قلناه فيها . . وقوله تعالى : ( فَمَنْ بَدَّلَهُ بَدَلًا سَمِيحًا إِنَّمَا يَأْمُرُ

(٢) سورة البقرة آية ١٦٩

(١) سورة البقرة آية ٩١

(٣) سورة قاطر آية ٢٨

عَلَى الَّذِينَ يُهْتَدُونَ إِنَّ اللَّهَ تَمِيمٌ عَلِيمٌ<sup>(١)</sup> إذ المراد أن من بدل الوصية وحرفها وغير حكمها ، فالإثم واقع عليه وحده ، والله سبحانه وتعالى مطلع عليه وكاشف أمره ، وواضح أن القصر في الآية قصر صفة الإثم أو العقاب على الذين يبدلون . قصر صفة على موصوف قصر حقيقيا تحقيقيا . .  
وانظر إلى قول شوقي :

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت      فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

تجده قد قصر الأمم على الأخلاق قصر موصوف على صفة قصر حقيقيا ادعائيا ، وهذا القصر يذم بقيمة الأخلاق وأهميتها في بناء الأمم والشعوب حيث لم يعتد الشاعر بما سواها مما يمكن أن يساهم في بناء المجتمعات . . . وتقول :  
إنما زهير شاعر ، فتفيد قصر زهير على صفة الشعر لا يتعداها إلى صفة الكتابة ، فيسكون قصر إضافيا إما قصر نلب أو أفراد أو تعيين ، حسب اعتقاد المخاطب - كما مر بك - وتأمل قوله تعالى : ( وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَاسْكُلُ الْوَمِ الْهَادِ<sup>(٢)</sup> )  
تجد قصر الرسول - صلى الله عليه وسلم - على صفة الإنذار لا يتعداها إلى الإتيان بالآيات ، فهو قصر إفراد ، إذ يعتقد الكافرون أنه - عليه الصلاة والسلام - يجمع بين صفتي الإنذار والإتيان . . . وقد ذكر عبد القاهر<sup>(٣)</sup> أن :  
« إنما لا تستعمل إلا في قصر القلب ، والصواب ما ذكرناه وهو أنها تستعمل في كل أنواع القصر كما رأيت في الشواهد وهو ما عليه جمهور البلاغيين . »

هل تفيد « إنما » القصر ؟ : يرى بعض العلماء كالزحشري والبيضاوي والتلوخي ، أن « إنما » من طرق القصر ، فمن كإثما بالكسر في الدلالة على

(١) - سورة البقرة آية ١٨١

(٢) - سورة الرعد آية ٧

(٣) ارجع إلى دلائل الإيجاز ٢٢٠ .

القصر ، لأنها فرع عنها ، وما ثبت للأصل يثبت للفرع . ، ومن ذلك قوله تعالى (قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ) (١) ، وقوله عز وجل : (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ) (٢) والذي أراه - واقع أعلم - أن هما في ، إنما ، زائدة للتأكيد وأن المراد في الآية الأولى : قصر . يوحى إلي ، على ، إنما إلهكم إله واحد ، والمعنى ما يوحى إلي في أمر الإله إلا وحدانيته ، والمراد في الآية الثانية قصر الرسول - عليه الصلاة والسلام - ، أنا ، على بقية الجملة ، أي على كونه بشراً مثلهم يوحى إليه أن إلههم إله واحد ..

٢ - التقديم : ومن طرق القصر ، التقديم ، وهو باب واسع من أبواب البلاغة ، تكمن وراءه العديد من المزايا والأسرار البلاغية ، وعد إلى تقديم المسند إليه والمسند ومتعلقات الفعل في الجزء الأول فقد تكفل بيان هذه المزايا وتلك الأسرار ، ومرادنا هنا أن نبرز دلالة التقديم على القصر . . . تأمل قولك : ما أنا قلت هذا الشعر ، فقد دل تقديم المسند إليه وإبلاؤه أداة النفي على القصر ، أي : نفي قول الشعر عن المسند إليه المقدم وإثباته لغيره . ومن ذلك قول المتنبي :

وما أنا أسقمت جسمي به ولا أنا أضربت في القلب ناراً  
وقوله أيضاً :

وما أنا وحدى قلت ذا الشعر كله

ولم يكن لشعري فيك من نفسه شعر

فتقديم المسند إليه على الخبر الفعلي بمسند أداة النفي ، يفيد - غالباً - الاختصاص ، ولذا كان من الخطأ أن نقول : ما أنا قلت هذا ولا قاله أحد

(٢) - سورة المسكم آية ١١٠

(١) - سورة الأنبياء آية ١٠٨

(٤ - علم البيان ج ٢)

غيري ، أو تقول : ما أنا قلت شعراً ، أو ما أنا أكرمت إلا زيدا (١) ..  
وكذا تقديم المسند إليه في الإثبات كقولك : أنا سميت في حاجتك ،  
ومحمد يقرئ الضيف ، فإنه يفيد القصر أو التقوية وتأكيد الحكم ، حسبما  
يقتضيه السياق وقرائن الأحوال ، والنسبة في هذا كالمعرفة تقول : ما رجل  
جاءني ، يفيد تقديم النسبة : تقصر أي : نقي الجيء عن جنس الرجال وقصره  
على جنس النساء ، والمعنى : ما رجل جاءني بل امرأة ، أو نفيه عن الواحد وإثباته  
لغيره ، والمعنى : ما رجل جاءني بل أكثر .. وتقول : رجل جاءني ، يفيد  
تقديمها تقوية الحكم وتأكيد أو القصر ، أي قصر الجيء على جنس الرجال  
ونفيه عن جنس النساء ، والمعنى : رجل جاءني لا امرأة ، أو قصره على العدد ،  
والمعنى : رجل جاءني لا رجلان ..

ومن تقديم المسند الذي أفاد تقديمه . القصر قوله جل وعلا : ( لَكُمْ  
وَيُسْكَمُ وَلِي دِينَ ) (٢) ، وقوله تعالى : ( لَآ فِيهَا غَوْلٌ وَلَا نُمْ عَنْهَا  
مُنْزَلُونَ ) (٣) وقوله عز وجل : ( يَلٰهُهُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ ) (٤) ..  
ومنه قول عمرو بن كلثوم :

أنا الدنيا ومن أضحى عليها      ونبطش حين نبطش قادرينا  
وقول الآخر :

رضينا نسمة الجباريتنا      لنا علم وللأعداء مال  
وقوله :

لنا القلم الأعلى الذي بشباته      يصاب من الأمر الكلي والمفاصل (٥)

(١) ارجع إلى الجزء الأول لتعرف وجه المسحة والمواب لتلك الأقوال ..

(٢) سورة الكافرون آية ٦

(٣) سورة الصافات آية ٤٧

(٤) سورة آل عمران آية ١٨٩

(٥) شبة كل شيء حسنة طرفة وجمعها شبات بفتح الشين في اللزوم والجمع ،

والمراد أنهم يسبون المرء بما يسكتون ويقولون فالبيت كناية عن اللصاحة وإجادة

القول ، والسكان : جمع كناية بضم الكاف .

ومن تقديم أحد المتعلقات على الفعل قوله تعالى : ( إِيَّاكَ تَعْبُدُ وَإِيَّاكَ  
تَسْتَعِينُ )<sup>(١)</sup> وقوله جل وعلا : ( وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ  
مُوجِبُ الْأَمْرِ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ )<sup>(٢)</sup> ... ومنه قول شوقي في مدح  
الرسول صلى الله عليه وسلم :

بك يا ابن عبد الله قامت سبعة بالحق من ملل الهدى غراء

وقول الآخر :

إلى الله أشكو لا إلى الناس أنى

ارى الأرض تبقى والأخلاق تذهب

وتقول : ما بهذا أمرتك .. ما زيدا أكرمت ، فيكون كلاما مستقيا ،  
لأنك قصرت الأمر والإكرام المنفيين على المقدم أى : نفيت الأمر عن الجار  
والجور المقدم وأثبتته لغيره ، ونفيت الإكرام عن زيد وأثبتته لغير زيد ،  
فإن قلت : ما بهذا أمرتك ولا بغيره .. ، ما زيدا أكرمت ولا أحدا من الناس  
قلت ما ليس بقول<sup>(٣)</sup> .

هذا والمقصود عليه بهذا الطريق هو المقدم دائما ، وهو صالح لكل أنواع  
القصر ، فقوله تعالى : ( إِيَّاكَ تَعْبُدُ ، قصر للعبادة على الله قصر صفة على  
موصوف قصر حقيقة بتحقيقها ، وقول عمرو : ( لنا الدنيا ومن أضحى عليها  
قصر للدنيا ومن عليها على كونها لم تصر موصوف على صفة قصر حقيقة  
ادعائها ، وقول الآخر : ( إلى الله أشكو لا إلى الناس ، قصر إضافي صالح  
لأن يكون قلبا أو إفرادا أو تعيينا حسب اعتقاد المخاطب . .

(١) سورة المائدة الآية ٥

(٢) سورة هود الآية ١٢٣

(٣) ارجع إلى الجزء الأول من هذا الكتاب

٥ - ضمير الفصل : ومن طرق القصر التي أقرها بعض البلاغيين ضمير  
الفصل وهو أن يعفب المسند إليه بضمير الفصل لتخصيصه بالمسند بمعنى جعل  
المسند مقصورا على المسند إليه ، كقولك : زهير هو الشاعر ، فقيه قصر  
لصفة الشعر على زهير ، لا تمتداه إلى غيره ، وطريق القصر هو الفصل  
بالضمير ، وهذا الضمير حرف باتفاق جمهور النحاة وليس اسما ، والقائلون  
بأنه اسم أكثرهم على أنه لا عمل له من الإعراب ، وهو يقع كإحدى بين المتدا  
والخير كما في المثال المذكور أو بين ما أصلهما المتدا والخير كقولك : صار  
أمرق القيس هو الشاعر وعدت أن حانما هو الكريم ، والمقصود عليه بهذا  
الطريق هو المتدا والمقصود بالخير ، ونلاحظ في الأمثلة المذكورة أن ضمير  
الفصل قد أفاد بالإضافة إلى القصر : تأكيد نسبة الخير إلى المتدا ، وتلك  
الإفادة تراها وراء كل أسلوب من أساليب القصر . كما أفاد أيضا الدلالة على  
أن ما بعد المتدا خير له وأيسر منه . لأن قولك : زهير الشاعر ، فيه إيهام  
أن الشاعر صفة لزهير ، فإذا قلت : زهير هو الشاعر ، يدفع هذا التوهم ،  
وأصبحت الجملة دالة دلالة بيّنة على أن الشاعر خير ازهير لا صفة . .

ومن شواهد القصر بضمير الفصل قوله تعالى : ( فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كَدَّتْ  
أَنْتَ الرَّتِيبَ عَلَيَّ )<sup>(١)</sup> . التوفية في الآية بمعنى الرفع ، فقد جاءت التوفية  
في كتاب الله على ثلاثة أوجه : بمعنى الموت كما في قوله عز وجل : ( اللَّهُ يَتَوَفَّى  
الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَعْنَى عَلَيْهَا  
الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى )<sup>(٢)</sup> ، ومعنى النوم كما في قوله  
تعالى : ( هُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيُمْسِكُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ )<sup>(٣)</sup>  
ومعنى الرفع كما في قوله جل وعلا : ( فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي . . )<sup>(٤)</sup>

(٢) - سورة الزمر آية ٤٢  
(٤) انظر فتح القدير ١٥/٢

(١) سورة المائدة آية ١١٧  
(٣) سورة الأنعام آية ٦٠

وفي الآية الكريمة قصر صفة المراقبة بمعنى : المراعاة والاحتفاظ والعلم على  
موصوف وهو الله تعالى ، وطريق القصر هو ضمير الفصل : « أنت ، ولو  
لم يكن ضمير الفصل في الآية الكريمة للدلالة على القصر لما عطف ، لأن الله  
لم يزل رقيباً عليهم في جميع الأحوال ، وإنما الذي حصل بتوفيقه عيسى بن علي  
السلام - وقد كان شهيداً عليهم يرأفهم ويأمرهم بعبادة الله ، أنه لم يبق لهم رقيب  
غير الله تعالى ، ولذا ينبغي أن يتعين إعرابه فصلاً دالاً على القصر (١) . . .

ومن ذلك قوله تعالى : ( لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ  
أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ) (٢) ، فقد نصرت صفة الفوز على أصحاب الجنة  
قصرًا إضافيًا ، وهي لا تتعداهم إلى أصحاب النار ، وطريق القصر هو ضمير  
الفصل . وذلك لأن الآية الكريمة تقرّر عدم الاستواء بين أهل الجنة وأهل  
النار ، فأهل الجنة هم الفائزون بكل مطالب ، الناجون من كل مكروه ، وهذا  
لا يحسن إلا بأن يكون ضمير الفصل ، للاختصاص ، ولا يتأتى إعرابه  
مبتدأ ثانياً ولا تأكيداً للجملة . . . ومثله قوله تعالى : ( إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ  
هُوَ الْقَوِيُّ الرَّحِيمُ ) (٣) ، حيث نصرت صفة الرزق على الله تعالى قصرًا حقيقيًا .  
وقوله تعالى : ( إِنَّ شَأْنِيكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ) (٤) نصرت صفة الأبر ، على  
« شأنيك ، والمعنى : إن عدد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هو المحروم  
من رحمة الله ، المقطوع عن كل خير . . . ويمكن أن يكون طريق القصر في  
الآيات الكريمة تعريف المسند بأل الجنسية وعندئذ يكون ضمير الفصل  
لتأكيد القصر . . . وتأمل قوله عز وجل : ( أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَاءَ  
فَالَهُ هُوَ الْوَالِيُّ وَهُوَ يَحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ) (٥) تجد أن

(١) انظر شرويح للتأليف ٢ / ٣٨٧

(٢) سورة الحشر آية ٥٨

(٣) سورة الحشر آية ٢٠

(٤) سورة القصص آية ٩

(٥) سورة الكوثر آية ٣

صفة الولاية بعد نصرت على الله تعالى لا تتعداه إلى تلك المعبودات التي  
أعجزوها من دونه ، فهو سبحانه وتعالى الخالق الرازق ، الضار النافع ، المحي  
المميت ، القياد على كل شيء ، الحقيق أن يتخذ وليا . . . وحريق القصر : لك  
بأن تجعله من الفصل . هو ، ، وذلك أن جملة تعريف المسند بالجنسية ،  
ويكون الخبر تأكيداً للقصر . . .

١٠٠ تعريف المسند أو المسند إليه ، بال ، الجنسية : إذا كان المبتدأ  
والخبر معرفتين فالراجع أن السابق منهما هو المبتدأ ، واللاحق هو الخبر ،  
تقول : محمد الشجاع ، فتخبر عن محمد بالشجاعة ، وتقول : للشجاع محمد  
فتخبر عن الشجاع بمحمد ، وتقول : زيد أخوك ، وأخوك زيد ، فالأول  
إخبار عن زيد بأنه أخوه ، والثاني إخبار عن أخيه بأن اسمه زيد . . . وعندما  
يكون أحد طرفي الإسناد مرفأ ، بال ، التي الجنس ، فإن هذا التعريف يدل  
على القصر ، إذ هو طريق من طرقه عند بعض البلاغيين ، - كما عرفت - تقول :  
محمد الكريم ، والكريم محمد ، فتفيد بهذا قصر الكرم على محمد في الموضعين ،  
فالمقصود هو المرف ، بال ، الجنسية سواء تقدم أو تأخر ، والمقصود عليه  
هو الآخر . . . وتقول : خالد الأمير ، والأمير خالد ، فتفيد قصر الإمارة  
على خالد ، فحقيقاً حقيقياً إذا لم يكن ثمة أمير سواه . . . وتقول : محمد  
الشجاع ، والشجاع محمد فتفيد قصر الشجاعة على محمد قصر حقيقياً ادعائياً ،  
لأنك تتعمد الكامل في الشجاعة ، ولا تمتد بشجاعة غيره لقصورها عن  
وتبين السكالم وتقول محمد القوي ، والقوي محمد ، فتفيد قصر القوة على محمد  
قصر إختصاصاً ، إذا أريد أنه القوي ذر زيد أو عمرو مثلاً ، وتقول أنت المقدم ،  
وهو المتأخر ، ونحن الإبطال ، فتفيد قصر الصفات المذكورة على موضوعها ،  
قصر حقيقياً أو إضافياً حسب مرادك بتلك الأقوال . . . فإن كان طرفا  
الإسناد معرفين ، بال ، الجنسية كقولك : العالم المنطلق ، فإن السياق هو الذي  
يحدد المقصود والمقصود عليه . . . إذ هو صالح لقصر العلم على المنطلق ولقصر  
الانطلاق على العالم ، والسياق هو الذي يحدد وبين المراد منه ، والمقصود



بهسذا الطريق وهو المعروف بأل ، أو الذي يحدده السياق إذا كان الطرفان  
مصرفين معا بها ، قد يكون على إطلاقه كما في الأمثلة السابقة ، وقد يقيد بقيد ،  
كقولك : محمد المطاع في قومه ، وأنت القائد الجريء ، حيث قصرت العبارة  
المقيدة بالجاء والمجرور على محدود قصرت القيادة المقيدة بالجرأة على الخطاب .  
ومن ذلك قولهم : هو الوفي حين لا تظن نفس بنفس خيرا . وهو الجواب  
حين يبخل الناس ... ومنه قول الأعمش :

هو الواهب المائة المصطفاة إما مخاضا وإما عثارا

فالمخاض : الحوامل من النوق ، والعشار جمع عشاء ، وهي التي  
مضى لحلمها عشرة أشهر . . والشاعر قد قهر الهبة على المدوح ، ليس مطلقا ،  
ولاعا مقيدة بكونها من النوق وبكونها مائة وبكونها مصطفاة ، وبكونها إما  
مخاضا وإما عثارا ، وهسذا أبلغ في مقام المدح من قصر الهبة المطلقة ،  
كما لا يخفى . . .

هذا وقد يأتي التعريف بلام الجنس لإفادة التأكيد وتقرير الحكم ، دون  
الدلالة من القصر ، كما في قول الخنساء :

إذا قبح البكاء على قنيل رأيت بكاءك الحسن الجميلا

وليس المعنى على إرادة القصر ، وإنما مرادها أن تقرير الحسن والجمال  
لبكائها صغرا ، وأن تدل على أن حسنه حسن ظاهر وجماله جمال بين ، ولا  
أحد يستطيع أن ينكره أو يشك فيه ، وإذا استقبح البكاء على قنيل ، ظل  
بكاؤك الحسن الجميل الذي لا يستقبحه أحد ، فالتناس لا يترددون في حسن  
بكاء ، وقبح آخر ، حتى يكون المعنى على القصر ، وإنما هم يستقبحون البكاء  
على القتلى ، ويستحسنون بكاءها صغرا . وهذا يتضح لك أن المازد  
بتعريف المسند في البيت ، بأل ، الجنسية ، الحسن الجميل ، هو تقرير الحسن  
والجمال وتأكيدهما ، وإبراز بكائها صغرا حسنا دائما وجميلا أبدا ، وليس  
المراد به الدلالة القصر

أوجه الاختلاف بين طرق القصر : ومن أهم ما ينبغي أن نتجه إليه  
عناية الدارس لأسلوب القصر ، أن يقف على ما بين طرقيه من فروق وأوجه  
اختلاف ، فإن هذه الطرق على الرغم من اشتراكها في الدلالة على معنى القصر  
فإنها ، تختلف من عدة أوجه ، ويوجد بينها فروق دقيقة ينبغي على الدارس  
أن يلم بها . . . وأهم هذه الأوجه :

١ - أن دلالة التقديم ، وضمير الفصل ، وتعريف الطرفين أو أحدهما  
بإل ، الجنسية ، على القصر ليست دلالة وضعية ، وإنما هي دلالة تدوقية  
تفهم من فعوى الكلام وسياقاته وقرائن أحواله ، فصاحب الذوق السليم ،  
والطبع العربي الأصيل يستطيع إذا تأمل التقديم بين أجزاء الكلام أن يدرك  
ما يمكن وراءه من أسرار ودقائق ، وأن يميز بين تقديم تصد به الدلالة على  
القصر وتقديم الغاية منه مزبة أخرى ، فليس كل تقديم يدل على القصر ،  
وإنما يقع التقديم بين أجزاء الكلام لإفادة أغراض شتى وهزايا  
صديقة (١) . . .

وكذا توسط الضمير بين مرفى الإسناد ، قد يكون لنا كبد مضمون  
الكلام ويعرب مبتدأ ثانياً ، فليس دائماً لإفادة الاختصاص . . . وتعريف الطرفين  
أو أحدهما ، بإل الجنسية قد يكون للتقرير وتأکید نسبة المسند إلى المسند  
إليه ، كما مر بك في بيت الخنساء :

إذا قيسح البسكاء على قتيل رأيت بكاءك الحسن الجميلا

وبهذا يتضح لك أن دلالة هذه الطرق الثلاثة على القصر ترجعها إلى السياق  
ومعرفة قرائن الأحوال ، والتأمل الواعي ، ذو الذوق السليم ، الخبير  
بدلالات الكلام وخصائص التراكيب ، هو الذي يميز بين ما يدل على القصر  
منها وبين ما يقصد به إلى غاية أخرى . . . أما ، التني والاستثناء ، وإنشاء

(١) ارجع إلى أغراض التقديم في الجزء الأول من هذا الكتاب . . .

وه المطف بلا وبلا وسكن ، فدلالتهما على القصر دلالة وضعية ، وعلى الرغم من ذلك خاض البلاغيون في بيان وجه تلك الدلالة ، وقد مر بك وجه دلالة كل منها على القصر ، ولا تتناهى الدلالة الوضعية لهذه الطرق الثلاثة مع دراستها ، والبحث عنها في علم المعاني ، لأنه لا يبحث فيه عن دلالتها على القصر وإنما يبحث فيه أصلاً عن موايا القصر وأحواله وعن المقامات التي تدعو إلى التعبير بأساليب القصر وما من شك في أن هذا من صميم علم المعاني ..

٣ - أن الأصل في طريق ، المطف بلا وبلا وسكن ، النص على المثبت والمنق معاً ، تقول : زهير شاعر لا كاتب ، ماشوق كاتب بل شاعر ما عمرو جوادا لكن حاتم ، ولا يترك النص على المثبت والمنق في هذا الطريق إلا كراهة الإطناب في مقام الإيجاز ، كما إذا قال لك قائل : زيد يعلم البلاغة والنحو والصرف والمروض والآداب . أو زيد يعلم البلاغة ونحوه وعمرو وبكر وحاتم ، فتقول له : زيد يعلم البلاغة لا غير ، والمعنى في الأول : قصر زيد على علم البلاغة ، أي : زيد يعلم البلاغة لا غير ما ، وفي الثاني : قصر عام البلاغة على زيد أي : زيد يعلم البلاغة لا غير . . ومثله قول الشاعر :

جواباً به تنجو اعتمد فوربتنا      لمن عمل أسلفت لا غير تسأل

فقد نص في القصرين : ، زيد يعلم البلاغة لا غير . . . عن عمل أسلفت لا غير تسأل ، على المثبت فقط دون المنق خشية الإطناب ؛ إذ المقام مقام إيجاز واختصار . .

أما بقيه الطرق فالأصل فيها أن ينص على المثبت فقط دون المنق ، تقول : ما شاعر إلا زهير في قصر صفة الشعر على زهير ، فقد صرح بالمثبت وهو زهير دون المنق وهو من عداد وكذا القول في : ما زهير إلا شاعر ، إنما أنت أب ، إياك أكرمت ، محمد الشجاع ، خالد هو الوفي ، ففي هذه الطرق قد نص على المثبت فقط ، أما المنق فهو ، م من القصر بمعرفة سياقات الكلام

وقرائن أحواله . . وقد بصرح في بعض هذه الطرق بالمنفى دون المثبت  
كقولك في التقديم : ما أنا قلت هذا ، ففيه نفي لقول عن المسند إليه المقدم  
وإثباته لغيره ، فالمقصر عليه الذي صرح به هو المنفى عنه دون المثبت له  
كما ترى ، وقد ينص على المثبت والمنفى ما يكفي لك في الاستثناء التام : ما قام  
القوم إلا زيد ، وقد مر بك أن الاستثناء المقترع هو الأصل في الدلالة  
على القصر ..

٣- اجتماع طريقين من طرق القصر : لا يجوز أن يجتمع طريق النفي  
بلا ، العاطفة وطريق النفي والاستثناء - كما مر بك - لأن ولا ، موضوعة لأن  
ينفي بها ما أوجب التسبوع كقولك : زيد كريم لا شجاع فهي موضوعة للنفي  
ابتداء ، لا لأن تعيد بها النفي في شيء قد نفيت . وهذا الشرط مفقود في النفي  
والاستثناء ، لأن قولك : ما زيد إلا قائم ، يفيد نفي كل صفة وقع فيها التنازع  
عن زيد وإثبات صفة القيام له ، فلو قلت : لا قاعد ، فقد نفيت بلا ،  
العاطفة شيئا هو منفي قبلها بما النافية ، ولذا عيب قول الحريري :

لعمرك ما الإنسان إلا ابن يومه على ما نبلي يومه لا ابن أمه

هذا إذا كانت بلا ، العاطفة داخلة على المفرد ، فإن دخلت على الجملة  
كقولك : ما هذا إلا لك لا يشاركك فيه أحد ، فهو جائز ، لأنك عندئذ  
لا تنفي بلا ، شيئا قد نفي أولا ، وإنما تنفي بها جملة مؤكدة بجملة القصر  
المتقدمة عليها ..

أما بقية الطرق فتجتمع والنفي بلا ، تقول في اجتهاده وإنما : وإنما  
زيد كريم لا شجاع ، وفي اجتهاده والتقديم : إلى الله أشكرو لا إلى الناس ،  
وفي اجتهاده والتعريف بال : زيد الكريم لا عمرو ، وذلك لأن النفي في هذه  
الطرق ليس نفيا صريحا ، فأنت لم تنف بلا ، ما قد نفي من قبل نفيا صريحا  
بأداة من أدوات النفي المرشحة له ، بل نفيت به ما قد فهم نفية في الجملة

المتقدمة بشير أداة ، والقصر عندئذ طريقه ، وإنما ، و التقديم ، و التعريف  
بال ، ، أما العطف ، بلا ، فتأكيده للقصر ، وينبغي مراعاة ذلك عند بناء الجمل  
وصياغتها ، فلا تبني بناء تناقض فيه أجزاءها . . لا تقول : وإنما هذا لك  
لا ذلك ، ، لأن المقصور عليه يأتي هو المؤخر ، والمقصور عليه بلا هو المقابل  
لما بعدها . . وإنما ، تقتضي أن يكون المقصور عليه هو ذلك ، و لا ، تقتضي  
أن يكون المقصور عليه ، هذا ، و إذا تدافع وتناقض في القول ، فالصواب أن  
يقال : ، وإنما هذا لك لا غيرك ، . . وإنما أخذ زيد لعمرو ، ، وإنما زيد يأخذ  
لا يعطى ، ، وإنما أكرمتم عجمي الأريدياء ، . . و تقول : زيد الكريم لعمرو ،  
و حاتم هو الثرى لا خالد ، و هذا تشغل لا بذلك ، و بهذا تأمر لا بغيره ،  
فتراه كلاما مستقيما ، إذ لا تدافع بين التعريف ، و بال ، أو ، التقييد ، و بين  
العطف ، بلا ، ، فإن قلت زيد الكريم لا البخيل ، و عمرو هو الكجاع لا الجواد  
و بهذا تأمر لا تنهى ، تناقض قولك و تدافع ، فإن سألت : ألا يجوز أن يكون  
التقديم في المثال الأخير لثباته و تقوية الحكم ، و عندئذ يكون طريق القصر  
ولا ، و المقصور عليه : ، تأمر ، . . قلت : لا غبار على ذلك حيث لا تدافع في  
الدلالة عندئذ ، و لا تناقض في القول ، فالتأني ينبغي مراعاته هو التشبه لما بين  
طريق القصر من فرق دقيقة حتى لا تبني الجمل بناء تناقض فيه أجزاءها ،  
فقد تجتمع . . مثلا . . ، وإنما ، و ضمير الفصل أو التعريف ، يقال ، فيقول : وإنما الجواد  
أنت ، وإنما العالم هو محمد ، و تجده كلاما مستقيما ، إذ المقصور عليه بالتعريف ،  
أو ضمير الفصل هو الخالي من ، ال ، ، و المقصود عليه يأتي هو المؤخر ، فلا  
تناقض في بناء العبارة ، كما ترى بل إن طريق القصر يؤكد كل منهما الآخر ،  
فإن قلت : وإنما أنت الجواد ، وإنما محمد هو العالم ، تدافع الطريقتان ، ولو جعلت  
ضمير الفصل أو التعريف للتأكيد و تقوية الحكم و تقريره فلا تدافع ،  
إذ يكون القصر مدلولاً عليه ، وإنما ، و التعريف و ضمير الفصل مؤكداً له . . .  
و قد يجتمع طريق ، وإنما ، و طريق ، التقديم ، كقولك : وإنما زيداً أكرمتم  
و وإنما بهذا أمرتك . . و وإنما عليك الممول . . . فعدت إذ يتحتم إلغاء دلالة أحد

اللاتي يقين على التصور ويبقى الآخر، وذلك لأنه لا يمكن أن تلام بين طريق  
إلحاق وطريق التقديم، إذ التصور عليه بدء إلتما، هو المؤخر، والتصور  
عليه هي التقديم هو المقدم، والذي عند ذلك هو السبق وقراء الاحوال  
وهذا يقتضيه اللغوي... تامل قول اللغوي :

الاجور انما اتحدث شعرا لانا... يشعري انك المالك حونه مرردا

تجد اللغوي يقتضى ان يكون التصور عليه هو الجار والجرور به شعريه  
لان لو ان الشعره قد الحوى كل غزوة اللغوي واشتمل على كل الخصال  
واللتكافؤ التي يمكن ان تكون حولها الخيلة الشعراء ولما كان الشعراء اذا  
التوا بالمدح، فالتوا بمدحون شعراء ذو كبريون قره، فالتوا يقتضى ان  
يكونه على طريق التصور هو التقديم، وان تكون إلتما، طاعة... وخفة  
قول الآخر :

الا قلنت من تاه بيديك إلتما... عليك من الاقمار كان حناريا

تجد اللغوي يقتضى ان يكون حناريا الشعر مقصورا على حقيقته : عليك  
لا يتسبب اليه شعريه، فالتصوير : الاقمار من الاقمار والتصوير عليه الجار  
والجار هو عليك، وهذا مستلزم ان يكون طريق التصور هو التقديم...  
وهذا قول اللغوي : ... وولدتك بيكت... بئس للبعثيدم لو خوجتك انما  
فقدت التوازم هو اللتا الالك... <sup>(٥١)</sup> ... يقتضى ان يكون الشعر والجرور :  
... عليك مقصورا الى اللتاخ... مقصورا عليه، لان للراد : قصر مهمة  
الرسول المنحلي لغة عليه ويطلب على التليخ الاستعانة الى التسلب وتحموه...  
والتي من انما قصر اللتاخ على الرسوال... وهذا مستلزم ان طريق التصور هو  
... والتمتالة التقديم على التصور ملطقتهم التاكيد وقوية الحكم...  
لما قول : ... ولينا اللسايب... فهو قصر الحساب على لغة تعالذ لا يتجاوز الى

غيره وطريقه : التقديم ، ومعنى الآية الكريمة : فإما ترينك بعض الذي تقدم  
من الإهلاك والعذاب أو تتوفينك قبل تعذيبهم ، فإن الذي عليك هو الإنذار  
وتبليغهم الرسالة ، وعلينا نحن الحساب والجزاء لا عليك . . وهذا المعنى قد  
اقتضى أن يكون طريق القصر في الجملة الأولى - كما وضعنا - هو ، وإنما ،  
وفي الجملة الثانية هو التقديم . . وقرأ قول المتنبي في مدح عضد الدولة :

وقد رأيت الملوك قاطبه      وسرت حتى رأيت مرلاها  
ومن مناميام براحتة      يأمرها فيهم وينهاها  
أبا شجاع بنارس عضد الدر      ففنا خسرو شهرشاهها  
أساميا لم تزده معرفة      وإنما لذة ذكرناها

فقد عدد أسماء آباء الممدوح ، ولما كانت العادة قد جرت على أنه لا تعدد  
أسماء الآباء إلا عند إرادة التعريف بشخص قاصر الذكر ، قليل الشهرة ،  
تدارك الشاعر ذلك فقال :

أساميا لم تزده معرفة      وإنما لذة ذكرناها

أى : ما ذكرناها إلا من أجل اللذة . . فلذة ، مقصور عليه مقسوم ،  
و«إنما» ملغاة . . وقد يحتمل المعنى أن يكون القصر بأى من الطريقتين ، على  
نحو ما ترى في قول العباس بن الأحنف :

كان لي قلب أعيش به      فاصطلي بالنار فاحرقها  
أنا لم أرزق مودتك      إنما للعبد ما رزقا

بخلاف أن يكون ما للعبد مقصورا على رزقه ، لا يتمناه إلى رزق غيره ،  
وجائز أن يكون : « ما رزقا ، مقصورا على رزقه لأنه للعبد لا يتمناه إلى رزقه  
لغيره . ففى الأول يكون طريق القصر ، وإنما ، ودلالة التقديم ملغاة ، وعلى  
الثانى يكون طريق القصر ، التقديم ، ودلالة ، وإنما ، ملغاة ، فالبيت كما ترى  
يحتمل المعنيين . .

هذا ويرى البعض أنه إذا أدى اجتماع أى طريقين من طرق القصر إلى تدافع أجزاء الكلام التى أحدهما حسبها يقتضى السياق وتحدد القرائن ، ولا يحكم على الكلام بالتناقض والتدافع ، فلو قلت : إنما هذا لك لاذك ووجدت : إنما ، لا تستقيم مع ، لا ، فعليك أن تلقى أحد للطريقين حسبها على عليك السياق ، ولو قلت : إنما لك هذا لا لغيرك ، فوجدت : إنما ، متدافعة مع ، التقديم ، و لا ، ، فلما أن تلقىها وإنما ان تلقى التقديم و لا ، (١) .

واسأل هذا البعض قسدا نظر إلى اجتماع : إنما والتقديم ، ، وإلى إلغاء أحدهما حسبها يقتضى السياق ، فرأى أن ما يجرى على : إنما والتقديم ، عند اجتماعهما يمكن أن يجرى على أى طريقين ، فليس هنالك ما يدعو إلى التفرقة بين اجتماع : إنما والتقديم ، واجتماع غيرهما . .

والذى أراه أنه لا يمكن التعويل على مثل هذه الأمثلة المصطنعة في إصدار هذه الأحكام ، بل ينبغي أن يعتمد فيها على التعبيرات الجيدة والأساليب الرفيعة من أقوال البلاغاء ، وأن ينظر إلى اجتماع طرق القصر في تلك التعبيرات الجيدة ، ويقر عندئذ ما يقتضى به سياقها ، على نحو ما رأيت في اجتماع : إنما والتقديم في النظم الكريم وفيما سر بك من شراهد . .

٤ - أن الأصل في طريق ، الثنى والاستثناء ، أن يستعمل فيما شأنه أن يجهله المخاطب ، ينكره ، والأصل في : إنما ، أن تستعمل فيما شأنه أن يعده المخاطب ولا ينكره . . يقول عبد القاهر : ، وأما الخبر بالنفي والإثبات نحو ما هذا إلا كذا وإن هو إلا كذا ، فيكون للأمر ينكره المخاطب ويشك فيه ، فإذا قلت : ما هو إلا مصيب أو ما هو إلا غطى . ، قلته لمن يدفع أن يكون الأمر على ما قلته ، وإذا رأيت شخصا من بعيد قلت : ما هو إلا زيد لم تقله إلا وصاحبك يتوهم أنه ليس بزيد ، وأنه إنسان آخر ، ويجد في الإنكار أن يكون كذلك ، (٢) .

(١) انظر بنية الإيضاح : ٢٨ ص ٢٨ . (٢) دلال الإعجاز ص ١٢٧ .



ومن ذلك قوله تعالى: «إِنْ هَذَا لَمْ يَكُنْ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُو الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» (١) ، فالخطاب في الآية لمن يحاجون في عيسى ويرفعونه إلى مرتبة الإله ، ويجدون في ذلك ، ولذا دعوا إلى الإبتهاال : «فَمَنْ حَاجَّكَ مِنْ بِنْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ» (٢) ، ثم أكد الخبر بأن واللام : «إِنْ هَذَا لَمْ يَكُنْ الْقَصَصُ الْحَقُّ» ثم جاء القصر بالنفي والاستثناء ، وما من إله إلا الله ، ثم أكد الخبر مرة ثانية : «وَإِنَّ اللَّهَ لَهُو الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» ، وفي هذا ما يدفع إنكار المنكرين ويبدد جهودهم إلى ترك المحاجة في عيسى بعد وضوح الأمر وجرى العلم . . . واقرا قوله تعالى : «حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُخَادِلُونَكَ يَتَّبِعُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ وَهُمْ يَبْهَتُونَ عَنَّا وَيُنَادُونَ عَنَّا قَاتِ يُهَيِّكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ» (٣) . . . فالرسول عليه الصلاة والسلام - ينكر أشد الإنكار أن يكون ما يدعوم إليه أساطير الأولين ، وهم يعتقدون أنهم يهلكون بعنادهم وجدالهم الرسالة وصاحبها ، وينكرون أنهم يهلكون أنفسهم ولذا جاء القصر في الموضعين بالنفي والاستثناء . . . وخذ قوله تبارك وتعالى : «قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَتُولِي الْأُمُورَ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ» (٤) فالخطابيون وهم الكفرة ينمكرون أشد الإنكار أن يكون الرسول متبعا لروحى يوحى ويردون أن ما يقوله أساطير ، ولذا جاء

(١) - سورة آل عمران آية ٦٣ .

(٢) - سورة آل عمران آية ٦١ .

(٣) - سورة الأنعام آية ٢٥ - ٢٦ .

(٤) - سورة الأنعام آية ٥٠ .

القصر بالنفي والاستثناء : « إن أتبع إلا ما يوحى إلي . . . ومن أشعارهم قول المتنبي في ذكر سيف الدولة ووصف جيوشه وما يتبعها من طير :

له عسكرا خيل وطير إذا رمى بها عسكرا لم يبق إلا جاجه

فذكرن الجيش على هذه الصورة من القوة وشدة الفتك وأنه لا يبق من الأعداء حيا ولا جسدا ميتا ، وإنما يبق جاجم ليس إلا ، أمر غريب تتوقف النفوس في قبوله ، ويكون منها إنكار له ودفع ، ولذا كانت القصر بالنفي والاستثناء : « لم يبق إلا جاجه . . . »

ومنه قول الآخر :

فا زادني الشيب إلا ندى إذا استروح المرضعات القطار (١)  
لأن ما ذكره من شأنه أن يذكر ويدفع وأن تتوقف النفوس في قبوله والتدليم به ، فقد ذكر أن الشيب زاده ندى ، ومن شأن من بلغ الشيب أن يكون حريصاً ، ثم ذكر أن الوقت وقت شدة وحاجة فهو وقت استروح فيه المرضعة القطار ، فإذا كانت المرضعة وهي التي يعتال لها ويعتنى بها قد وصل بها الحال إلى أن تشم رائحة الشراء ولا تطعمه ، فما بالك بغيرها . . . إن ازدياد من بلغ الشيب ندى في هذه الحال أمر يدفع ويشكر ، ولذا كان القصر بالنفي والاستثناء : « ما زادني الشيب إلا ندى » ، دفعا لهذا الإنكار ..

قلت : إن الأصل في النفي والاستثناء أن يستعمل فيما شأنه أن يدفعه المخاطب وينكره ويجهله ، وقد يخرج النفي والاستثناء عن هذا الأصل فيستعمل في الأمر المعلوم الذي لا ينكر . تنزيلا له منزلة المجهول المنكر لاعتبارات بلاغية مناسبة . . . من ذلك قوله تعالى : « وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ » (٢) في الآية قصر الرسول صلى الله عليه وسلم

(١) استروح : اشم . والقطار بضم الظاء اربح للشراء . . .

(٢) سورة آل عمران آية ١٤٤ .

على صفة الرسالة لا يتعداها إلى التبري من الهلاك ، فهو رسول يموت ويخلو  
كما خلت الرسل من قبله ، والمخاطبون وهم الصحابة رضوا الله عنهم ، يعلمون  
يقينا أنه صلى الله عليه وسلم ، تصور على الرسالة لا يتجاوزها إلى المآلذ ، فهو  
غير جامع بين الرسالة والتخليد في الدنيا ، وانكتمهم لما كانوا متمتعين به  
- عليه الصلاة والسلام - ويستعظمون موته ، ويعدونه أمرا خطيرا وحدثا  
جليلا ، نزلوا منزلة من ينكر موته ، ويعتقد أنه يجمع بين الرسالة والحلف  
أو التبري من الهلاك ، فخرطبوا خطاب المنكر ، والسر البلاغى ذو تصوير  
سال الصحابة والإشعار بعظيم ذلك الأمر في نفوسهم وشدة حرصهم على بقائه  
صلى الله عليه وسلم بينهم ، كما لا يخلو الأمر من عتاب عنيف لهم لعدم مضيقهم  
على وفق ما يعلمون ، وما هو راسخ في نفوسهم ، ولا يخفى عليك هذا المعنى  
عندما تقرأ سياق الآية الكريمة : « وَتَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ  
قَبْلِهِ الرَّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ  
عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ » فأتت تشتر  
بنعمة العتاب والتحذير من الانقلاب على الأعقاب وعدم المضي على ما ثبتت  
في النفوس ورسخ من إيمان واعتقاد ، ولو استعملت دائما ، هنا ، لكونها  
للأمر المعلوم غير المنكر فليل : إنما محمد رسول يخلو كما خلت الرسل من قبله  
لما كان هذا المعنى ولما تحققت تلك المزية وهي إبراز حال الصحابة ، وتصوير  
شدة المرقف وما أصابهم من هول . . .

واقرا قوله تعالى : « قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَأُمِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ  
يَدْعُوكُمْ لِيُقَفِّيَنَّكُمْ مِنْ دُونِكُمْ وَبِؤْسُكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا :  
إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا  
بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ . قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ  
يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ... » (١)

(١) سورة إبراهيم آية ١٠ ، ١١

قال رسل عليهم السلام لا يشكرون أنهم بشر ولا يجهلون ذلك ، ولسكنهم نزولوا  
منزلة من يشكر ذلك ويدفعه ، فجاء القصر بالنقي والاستثناء : « إن أنتم إلا  
بشر مثلنا . . . » ، لا اعتقاد الكفرة أن الرسول لا يكون بشراً ، وإصرار  
الرسل - عليهم السلام - على دعوى الرسالة ، فهم بهذا الإصرار قد أنكروا  
بشرية - في اعتقاد المتكلمين وهم الكفرة - واعتقدوا أنهم ليسوا بشراً ،  
فكان القصر : « إن أنتم إلا بشر ، قصر قلب أي : أنتم بشر لا رسل ، بناء  
على اعتقاد الكفرة الفاسد ، التناقض بين الرسالة والبشرية وعدم اجتماعهما . .  
وإيثار التعبير بالنقي والاستثناء في هذا الأمر المعلوم الذي لا ينكره الرسل  
بتزويجهم منزلة المنكر ، يصور حال الكفرة وما يخيم عليهم من جهول واعتقادات  
قاسدة أعنتهم عن الحق وحالت بينهم وبين قبول الهداية . . أما قول الرسل  
لهم : « إن نحن إلا بشر مثلكم ، فن مجازاة الخصم ، للتبكيك والإلزام  
والإلحاح ، لأن من عادة من ادعى عليه خصمه الخلاف في أمر لا يخالف  
فيه ولا ينكر ، أن يعيد كلامه على وجهه ، كما إذا قال لك من يناظرك : أنت  
من شأنك كذا . فتقول : نعم أنا من شأنك كذا ولكن لا يلزمي من أجله  
ما ظننت أنه يلزم ، فكان الرسل - عليهم السلام - قالوا : إن ما قلتم من أننا  
بشر مثلكم هو ما قلتم لا تنكروه ، ولكن ذلك لا يمنع أن يكون الله قد من  
علينا بالرسالة فاقه بمن على من يشاء من عباده . فقد سلم الرسل بتلك المقدمة :  
« إن نحن إلا بشر مثلكم ، بالفاظها ومعناها وفي هذا ما يؤنس نفوس الكفرة  
ويستميلهم نحو الحق والهدى ، وإنكته لا يستلزم مقصودهم وهو أن الإنسان  
لا يرقى إلى أهلية الرسالة ، إذ لا منافاة عند الرسل والمؤمنين بين الرسالة  
والبشرية ، فليس هنالك ما يمنع من أن يرقى الإنسان ويسمونه ، ويصير أهلاً  
للرسالة وتلقى الوحي . . . » وخذ قوله تعالى ( وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَلَا  
الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ وَلَا الْحَرُورُ وَمَا يَسْتَوِي الْأَخْيَارُ وَلَا  
الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يُشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ إِنْ

أَنْتَ إِلَّا تَذِيرٌ<sup>(١)</sup> فقد قصر - صلى الله عليه وسلم - على صفة الإنذار قصر  
 لإفراد فهو لا يتجاوز تلك الصفة إلى الجمع بينها وبين صفة الهداية ، والرسول  
 عليه الصلاة والسلام يعلم ذلك لا يشكره ولا يحمله ، ولكن لما كان عليه  
 الصلاة والسلام شديد الحرص على هداية قومه ، ملحا في توجيه الدعوة إليهم  
 حتى شق على نفسه ، نزل منزلة من يعتقد أنه يجمع بين الإنذار والهداية فجاء  
 القصر بالنوم ، الاستثناء : « إن أنت إلا تذير » ، ومر بلاغته نسبية الرسول  
 - صلى الله عليه وسلم - وتصوير حاله وإبراز حرصه على هداية قومه ، وإلحاحه  
 في دعوتهم وتبليغهم الرسالة ، فقد بلغ في ذلك مبلغا نزل فيه منزلة من اعتقد  
 أنه يستطيع حمل الناس على الهداية قسرا ، وسياق الآيات الكريمة يرشد  
 إلى هذا المغزى ، فقد بين أنه لا يمكن أن تسترى تلك الأعداء : الظل والحرور  
 - الأعمى والبصير - الظلمات والنور - الأحياء والأموات - ثم صرح بأن الله  
 - سبحانه وتعالى - يسمع من يشاء ، وأنه عليه الصلاة والسلام - لا يستطيع  
 إسماع من في القبور ، فهؤلاء الكفرة قد صاروا في عداد المواتي ، والرسول  
 في إجهاد نفسه وبذل كل مافي وسعه وإلحاحه في إسماعهم وهدايتهم كمن يسوي  
 بين الأعداء - الأحياء والأموات - وهي ليست سواء ، ولكن يحاول إسماع  
 من في القبور ، ولا جدوى في إسماعهم ، فاعليك ، يا محمد ، إذا لم يقبلوا  
 الهدى ، فقد بلغت ونصحت ، وأرشدت ووضعت ، وما عليك بعد ذلك إذا  
 لم يهتدوا : « إن أنت إلا تذير . . . »

هذا وقد يرد النقي والاستثناء فيما لا يتصور فيه إنكار مخاطب أو تنزيهه  
 منزلة منكر . . . تأمل قوله تعالى : ( وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ  
 لَنْ نَنْقُذَهُ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ  
 مِنَ الظَّالِمِينَ )<sup>(٢)</sup> نجد أن صفة الألوهية قد قصرت على الله سبحانه وتعالى

قصراً حقيقياً تحقيقياً ، وطريق القصر هو النفي والاستثناء ، ولا نستطيع  
للقول بأن المخاطب هنا منكر أو منزل ، نزلة المنكر ، كيف ويونس - عليه  
السلام - يضرع إلى الله عز وجل بهذا الدعاء ، فلا يتأني ولا يعقل فيه مراعاة  
حال المخاطب - جل وعلا - وإنما التأكيد هنا مرده إلى حال المتكلم وهو  
يونس - عليه السلام - ومدى انغماله بالخير ، فقد ألقى الخير مؤكداً كما أحسن ،  
وكما امتلأت به نفسه ، وقاض به ضميره ، دون نظر إلى حال مخاطب ،  
وتأمل قوله : «إني كنت من الظالمين» ، وماذا لو قيل : لا إله إلا أنت سبحانك  
فأنا من الظالمين ، إنه يكون كلاماً ساقطاً ، فإنت تضر عندئذ بمخلصة في السياق ،  
وعدم تناسق ، مرده إلى التخلي عن التأكيد الذي يبرز قوة الخير واستقراره  
في نفس المتكلم .

وانظر إلى قول دريد بن الصمة :

وما أنا إلا من غزيرة إن غوت غويت وإن ترشد غزيرة أرشد

إنه يفخر بالالتقاء إلى قبيلته وقومه ، وقد ألقى الخير مؤكداً ليعبر عن  
استقراره في نفسه وعن عمق شعوره بهذا الالتقاء ، ولو حاولت أن تصور  
هنا مخاطباً منكراً أو منزلاً منزلة المنكر لكنت كن تحاول المحال وتتعسف  
في القول تعسفاً الكلام في غنى عنه . .

وبهذا يتضح لك أن حال المخاطب لا يمكن أن يعبر عنها دائماً في  
استخدام النفي والاستثناء ، أو في تأكيد الخير ، بل قد ينظر إلى غير  
المخاطب (١) .

أما ، إنما ، فالأصل فيها - كما قلت - أن تستعمل فيما شأنه أن يعمله المخاطب  
ولا ينكره ، فهي أداة هادئة تستعمل في المعاني الواضحة التي لا ينكرها

(١) ارجع إلى آخر باب الخبر في الجزء الأول من هذا الكتاب .

المخاطب ولا يجملها ، وهذا عكس التنقي والاستثناء ، الذي يستعمل في المعاني القوية والنفوس الحادة والأمور الغريبة . . . وكان ، إنما ، أداة همس ، وتنبيه ، يهمس بها المتكلم وينبئه مخاطبه إلى تلك الأمور المعلومة ، والمعاني الواضحة ، تقول : إنما هو أخوك . . . إنما هو صاحبك . . . إنما يأكل الذئب من الغنم القاصية . . . إنما يعجل من يخشى الفوت ، فتلك أمور معلومة لا يجملها أحد . ولا يدفعها مدافع . والقصر فيها تنبيه للمخاطب وتذكير له بما ينبغي أن يفعله تجاه الأخ والصديق ، وما ينبغي أن يفعله تجاه الاتحاد والتضامن ، ومبادرة الفرصة . . . إنها معان واضحة والقصر فيها - كما قلت - تنبيه للمخاطب وتذكير . . . ولو وضعت : ما وإلا ، مكان إنما في تلك الأمثلة لما استقام المعنى ؛ لأن التنقي والاستثناء تلائمه المعاني القوية الشارة . تأمل قولك لصاحبك : أشفق على خالد ، وعامله معاملة طيبة ، فإنما هو ابن صديقتك عمرو ، تجد أن القصر بإنما كأنه همس وتنبيه للمخاطب ، وتذكير له بتلك الصداقة وما ينبغي عليه أن يفعله تجاهها ، ثم انظر إلى قولك : كيف تؤذي خالداً وتقسو عليه ، وما ههناك إلا صديقاً حميماً لأبيه ، تجد أن المعنى هنا أقوى حدة وأشد إثارة ، ولا تشمر فيه بالهدوء التي لمسته في القول الأول ، ولذا لا يمه التنقي والاستثناء .

ومن شواهد ، إنما ، قول المتنبي في مدح كافور الإخشيدي :  
إنما أنت والد والأب القاسم طمع أحنى من واصل الأولاد  
فالشاعر لم يرد أن يعلم كافورا أنه بمنزلة الوالد ، ولا ذلك بما يحتاج كافور فيه إلى الإعلام ، ولكنه أراد أن يذكره بالامر المعلوم ، ليبين عليه استدعاء ما يوجبه وليافته باطاف إلى حق الولد على أبيه من العطف والحنان . . . ومثله قوله :

إنما تنجح المقالة في المر - إذا صادفت هوى في الفؤاد  
وقول أبي تمام :  
ولا تمكن الإخلاق منها فإنما - بله لباس البرد وهو جسدك

وقول علي بن الجهم :

وقلن لنا نحن الأهلنة إنما تعوى لمن يسرى بليل ولا تهرى

وقول الخطابي جد جرير :

وفي الصمت ستر للفي وإنما صحيفة اب المرء أن يتسكها

وقول الآخر :

وما الزين في نوب تراه وإنما يزبن القى مخبوره حين يخبر

فإن طرة راتك فانظر قريبا أمر مذاق العود والعود أخضر

وغير خاف عليك دخول إنما في تلك المواضع على معان واضحة معلومة ، لا يجعلها المخاطب ولا يدفعها . . وتأمل قوله تعالى : ( إِنَّمَا الْعِدَّةُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْمَأْمُورِينَ عَلَيْهِمْ وَالْوَالِفَةِ قُلُوبُهُمْ )<sup>(١)</sup> نجد أن العِدَّةُ قد قصرت على كونها للفقراء وما عطف عليهم ، لا تمدى تلك الاصناف إلى غيرها ، وهذا أمر معلوم لا يتردد فيه عاقل ولا يدفعه منكر . . وكذا القول في الآيات الكريمة : ( إِنَّمَا يَشْكُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ )<sup>(٢)</sup> . . ( إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَشْتَأُونَ ثَوْبَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ )<sup>(٣)</sup> ( مَنْ أَحْقَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهِمْ )<sup>(٤)</sup> . . ( إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَإِكْلٌ قَوْمٍ هَادٍ )<sup>(٥)</sup> فقد جاء القصر ، وإنما ، في الآيات الكريمة ، لأن المعاني التي استعملت فيها معان واضحة بيّنة ، لا يجعلها المخاطب ولا يشكرها السامع . .

وقد تستعمل ، إنما ، في الأمور التي يشكرها المخاطب ويدفعها تنزيلا لتلك الأمور منزلة ما لا يجراه المخاطب ولا يشكره ، وذلك لغاية بلاغية يقصد إليها .

(٢) - سورة التوبة آية ١٨ .

(٤) - سورة الإسراء آية ١٥ .

(١) - سورة التوبة آية ٦٠ .

(٣) - سورة التوبة آية ٩٣ .

(٥) - سورة الرعد آية ٧ .



ويعدد . . تأمل قوله تعالى : ( وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا  
إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ . أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَسَكُنَّ لَا يَشْعُرُونَ )<sup>(١)</sup>  
تجد أن كون هؤلاء المنافقين مصلحين خير منكركه المخاطب ويدفعه فكان  
حق "قصر أن يكون بالنفي والاستثناء" : " إن نحن إلا مصلحون " ، ولكن  
النظم الكريم أثر التعبير ، بإنما ، تزيلا لهذا الخبر المنكر منزلة الأمر  
المعلوم "ظاهر" ، فهم يدعون أن كونهم مصلحين أمر ظاهر من شأنه ألا يجوله  
المخاطب ولا ينكره ، لأنه من الواضح ، كان ولذا جاء الرد عليهم عنيفا وقاسيا :  
" ألا إنهم هم المفسدون وليسكن لا يشعرون ، فقد بدأ ، بالأ ، الاستفتاحية التي  
تفيد التنبيه وتبينة الأذهان لما يلقى بعدها . ثم جاء قصر الإفساد عليهم بحيث  
لا يتعداهم إلى غيرهم ، وكأنه ليس على وجه الأرض مفسدون سواهم ، وأكد  
ذلك ، بأن : " ألا إنهم هم المفسدون " ، ثم جاء هذا الاستدراك ، ولكن  
لا يشعرون ، الذي بين أن خفاء تلك الحقيقة عليهم مرده إلى فقدانهم الشعور ،  
فهم قوم لا يشعرون ، ولو كين عندهم قدر من شعور لأدركوا حقيقة انحصار  
الفساد فيما بينهم ، وقصره عليهم . .

وانظر إلى قول عبد الله بن قيس الرقيات في مدح مصعب بن الزبير :

إنما مصعب شهاب من الأنبا ، تجلت عن وجهه الظلماء

فقد وصف مصعب بأنه شهاب من الله ، وآثر التعبير ، بإنما ، ليفيد أن  
كونه موصوفا بتلك الصفة أمر ظاهر معلوم لا يرتاب فيه مرتاب ولا ينكره  
أحد ، وذلك على عادة الشعراء إذا مدحوا ، أن يدعوا في كل ما يصفون به  
مدوحهم الجلاء ، وأنهم قد شهبوا به حتى إنهم لا يدفنه أحد . . . ولذا أنكر  
عبد الملك بن مروان مدح ابن قيس له بقوله :

يا بلقي التاج فوق مفرقه على جبين كانه الذهب

وقال له : ألسنت أنت القائل في مصعب : إنما مصعب شهاب من الله .  
وكان عبد الملك قد أحس بما في مدح مصعب من شدة ظهور وصدق إحساس  
وقوة شعور ، وأن ما قاله ابن قيس فيه لا يقارن بما قاله في مصعب ، خاصة وأنه قد  
مدحه بأمر ظاهر محسوس ، لا يغر فيه ومدح مصعباً بفضيلة من الفضائل النفسية  
وهي القوة والشجاعة ، والمدح إنما يفضـل ويحسن بمثل تلك الفضائل  
النفسية .

هـ - تحديد موقع المقصور والمفصـر عليه : وبمختلف موقع المقصور  
والمفصـر عليه باختلاف طريق الفـصـر - كما رأيت - فالمقصـور عليه بإعـا  
هو المؤخر دائماً تقول : إنما أنت جواد ، فتعصر مخاطبك على صفة الجود .  
وإنما الشاعر زهير ، فتعصر صفة الشعر على زهير .

والمقصور عليه في التقديم هو المقدم كقوالك في قصر الكرم على زيد :  
زيداً أكرمت . . . والمفصـر عليه في العطف بـبل ولكن هو الواقع بهما  
تقول . ما جاء زيد بل عمرو . . . ما الشاعر زهير بل عنقرة . . . ما الشجاع  
سائم لكن عمرو . . . فتعبد بذلك قصر المجىء على عمرو ، والشعر على عنقرة ،  
والشجاعة على عمرو . والمقصور عليه بضمير الفصل أو بتعريف أحد الطرفين  
بالجنسية هو الخالي من ، آل ، ، تقول : عمرو هو الجواد ، فتعصر صفة  
الجود على عمرو ، وتقول : الشجاع خالد فتعصر صفة الشجاعة على خالد . .  
أما المقصور عليه في النفي والاستثناء فهو الواقع بعد أداة الاستثناء ، ويجوز  
تقديم المقصور عليه مع أداة الاستثناء . . . تقول : ما أكرمت إلا زيداً في  
قصر إكرامك على زيد ، وتقول : ما جئت إلا راكباً في قصر يجيئك على تلك  
الحال ، وتقول : ما كسوت زيداً إلا جبة . في قصر الكساء الذي كسوته زيداً  
على كونه جبة ، وتقول : ما اخترت صديقاً إلا منكم ، في قصر اختيارك  
الصديق على كونه منهم ، والمك أن تقول : ما اخترت إلا منكم صديقاً  
فتقدم المقصور عليه مع أداة الاستثناء . . . ومنه قول السيد الخويزي في  
مدح بني هاشم :

لوخير المنبر فرسانه ما اختار إلا منكم فارسا

ولا يجوز أن تقدم المقصور عليه بدون أداة الاستثناء ، لأن أداة الاستثناء لو حذرت عن مكانها بتأخيرها عن المقصور عليه أو بتقديمها عنه لاختل المعنى . . . تأمل قولك : ما اخترت منكم إلا صديقا : ما اخترت صديقا إلا منكم . . . وقولك : ما اختار منكم إلا فارسا . . . وما اختار إلا منكم فارسا نجد المعنى قد تغير وتبدل (١)

فعلبك أن تنتبه إلى أن المقصور عليه في طريق النفي والاستثناء هو ما يلي أداة الاستثناء ، وأنه لا يقدم إلا حيث تقدمت معه أدواته وإلا تغير المعنى واختل المراد من الكلام .

جمال التعريض ، بإنشاء : صرح الشيخ عبد القاهر ، أن أفضل مواقع ، وإنما ، هو التعريض ، لأنها فيه أقوى ما تكون وأعاق مازى بالقاب ، فقد علمت أن الحكم الذي تستعمل فيه ، وإنما ، من شأنه أن يكون معلوما ، لا يحمله أحد ولا ينكره منكر ، لذلك امتازت عن بقية طرق القصر بأنها تستعمل في كلام لا يكون الغرض منه إفادة الحكم للعلم به ، وإنما يكون الغرض التلويح به إلى معنى آخر على سبيل التعريض ، نقول لمن يحمل في مدارسة العلم ولا يجتهد في تحصيله : وإنما ينال العلام من اجتهد ، فأنت لم ترد أن تعلمه هذا الحكم لوضوحه وظهوره . وإنما قصدت أن تلوح له بإعماله وأنه لم يحقق رغبته في نيل العلام إلا بالجد . وتأمل قوله تعالى : ( أَمِنَ بِمَكْرٍ أَنَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْفَلَقَ كَتَبْتُ وَوَأُصْحَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَ الْأَلْبَابِ ) (٢) ، فالعنى : إنما يتذكر الحق ويعقله أرباب العقول الساجدة والفكر السديدة ،

(١) ارجع إلى طريق النفي والاستثناء من ٣٥ وما بعدها

(٢) - سورة الرعد الآية ١٩

وليس الغرض من الآية أن يعلم السامعون هذا المعنى الظاهر ، بل ترمي من وراء ذلك إلى التعريض بدم الكفار ، وأنهم من فرط العناد وغلبة الأهواء عليهم ، قد صاروا في حكم من ليس بذي عقل ، فالذي يطمع منهم في أن ينظروا كمن يطمع في ذلك من غير أولى الأبواب . . . وتلاحظ أن التعريض بإعما قد جاء بعد مقارنة بين العالم بآيات الله وأمور دينه وبين الأعمى الذي أعرض عن الحق على الرغم من وضوحه وبيانه فاستحق ذلك التوبيخ الذي أفاده أسلوب التعريض .

وكذا القول في قوله تعالى : ( إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يُحْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ )<sup>(١)</sup> ، وقوله عز وجل : ( إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مِّنْ بَحْشَاءِ )<sup>(٢)</sup> ، فالمعنى هل أن من لم تكن له هذه الخشية فكأنه ليس له أذن تسمع ولا قلب يعقل فالإنذار معه كذا إنذار . . . ومنه قول العباس بن الأحنف :

كان لي قلب أعيش به فاصطلي بالنار فاحترقا  
أنا لم أرزق بؤدتكم وإنما للعبيد مارزقا

فإنه تعريض بأنه قد علم أنه لا يطمع له في رساها ، لأنه لم يرزق محبتها ولذا يقس من أن يكون منها إسعاف له . . . وقوله أيضا :

يلوم في الحب من لم يدر طعم هوى

وإنما يعذر العشاق من عشقا

يريد أن يقول : ينبغى للعاشق ألا يشكر لوم من يلومه ، فإنه لا يعلم كنه بلوى العاشق إلا من عشق ، ولو كان هذا اللائم قد ابتلى بالعشق مثله لعرف ما هو فيه فعذره ومالاه . . .

(١) سورة طاهر الآية ١٨

(٢) سورة النازعات آية ٤٥ .

### وقول الآخر :

ما أنت بالسبب الضعيف وإنما      نجح الأمور بقوة الأسباب  
فاليوم حاجتنا إليك وإنما      بدعى الطبيب لساعة الأوصاف

يقول في البيت الأول : ينبغي أن أنجح في أمرى حين جعلتك السبب  
إليه ، وفي الثانى : إنا قد طلبنا الأمر من جهته حين استعنا بك فيما عرض لنا  
من الحاجة ، وعولنا على فضلك كما أن من يعول على الطبيب فيما يعرض له  
من السقم يكون قد أصاب في فعله وطلب الأمر من موضعه (١) . . . .

هذا والتعريض معنى يفهم من عرض الكلام وجانبه ، ويستشف من  
أطراف المعانى المباشرة بمعرفة السياق وقرائن أحواله ، وليس هنالك  
وسيلة نحدد بها أى الأساليب يكون للتعريض وأياها لغيره ، فالممول عليه  
في ذلك هو سياق الكلام وقرائن الأحوال ، وما يفيض به التركيب من  
معان جانبية وإشارات وإيحاءات . . وقد حاول عبد القاهر تفسير جريان  
المعنى فى أسلوب التعريض ، وارتباطه بإنما لدلائها على القصر ، حتى إنك  
لو حذفنا إنما ، يسقط المعنى التعريضى ، ولو قبل : ، يتذكر أولو  
الآلئاب ، لم يدل هذا القول على التعريض كما دلت الآية الكريمة : إنما  
يتذكر أولو الآلئاب ، ، والسبب فى ذلك : أن التعريض إنما وقع لأن  
من شأن إنما ، أن الكلام معها يتضمن معنى التنى بعد الإثبات والتصريح  
بامتناع التذكر عن لا يفعل ، وإذا أسقطت من الكلام فقيل : يتذكر  
أولو الآلئاب ، كان مجرد وصف لأولى الآلئاب بأنهم يتذكرون ولم يكن  
فيه معنى تنى التذكر عن ليس من أولى الآلئاب ، ومحال أن يقع تعريض  
بشئ ليس له فى الكلام ذكر ولا فيه دليل عليه . . . . ويجوز أن يقع

التعريض بقولك : « يتذكر أولو الألباب » بإسقاط « إنما » إذا دل دليل على  
نفي التذكّر عن غيرهم ؛ بأن أردت به مدح إنسان بالتيقظ وبأنه فعل ما فعل وتنبه  
لما تنبه له لاعتله وحسن تمييزه ، كما يقال : « كنا يفعل العاقل » ، وهكذا  
يفعل السكران . عند التعريض بغير العاقل وبغير السكران (١) .

واقه تعالى أعلم

---

(١) ارجع إلى دلائل الإيجاز ٢٣٦ .

## الفصل الثاني

### أساليب الإنشاء

وقفت في الجزء الأول من هذا الكتاب على الأسلوب الخبري وأحوال الإسناد الخبري وأحوال أجزاء الجملة من مسند ومسند إليه ومتعلقات الفعل ، وعرفت ما يمتاز به هذا الأسلوب ، إنه مبني على الحكاية ويقصد به الإخبار والإعلام بمضمون الجملة الخبرية ، وبجانب هذا الأسلوب الخبري ، توجد الأساليب الإنشائية التي يقصد بها إنشاء الكلام وإيجاده ابتداء ، فليس الهدف منها الإعلام وحكاية الخبر ، وإنما هي عبارات تصاغ ابتداء وتنشأ لإنشاء ليطلب بها ، مطلوباً ، وتمتاز الأساليب الإنشائية بالحث وإثارة الذهن وتنشيط العقل وتحريك المخاطب . . . ولمزيد من الإيضاح والتفرقة بين الأسلوب الخبري والأسلوب الإنشائي تعالوا ننظر في تلك الشواهد . . . يقول الغنوي في رثاء أخيه :

أخ كان يكفيني وكان يعينني      على فائبات الدهر حين تنوب  
عظيم رماد القدر رحب فناؤه      إلى سننم لم محتجبه غيوب  
حليف الندى يدعو الندى فيجيبه      سرهما ويدعوه للندى فيجييب<sup>(١)</sup>

عندما تتأمل هذه الأبيات تجد أن الشاعر يحكي عن أخيه ويخبر بأنه كان يأخذ بيده في أوقات الشدة ، وكان كريماً تقوده الضيوف فلا محتجب

---

(١) السند : ما ارتفع عن الوادي وسهل عن الجبل . . . والنيب : البطن المنخفض من الأرض . . . وحليف الندى أي : بينه وبين الندى وهو السكرم حاف وعهد . . .

هتهم ؛ لأن الكرم خلقه وشيمته ، فهما حليفتان لا يفترق أحدهما عن الآخر ،  
ولا يتخلف عن إجابة دعواه .. وهذا الذي يخبر به الغنوي قد يطابق الواقع  
فيكون صادقاً ، وقد يخالفه فيكون كاذباً ... وقارن بين رثاء الغنوي  
في الآيات المذكورة وبين قول الخنساء في رثاء أخيها صخر :

أعيني جوداً ولا نجمداً      ألا تبكيان لصخر النبي  
ألا تبكيان الجواد الجميلاً      ألا تبكيان الفتى السيدا

تجد الأسلوب هنا مختلف ، فالخنساء لا تخبر وإنما تنادي وتأس وتنهى  
ونسأل ، هي تحض عينيها وتحثهما على بكاء صخر ، فهذه أساليب إنشائية ،  
وهي وإن كان لها واقع في نفس الخنساء إلا أنه لا يقصد بتلك الأساليب  
مطابقة هذا الواقع أو مخالفته وإنما يقصد بها إنشاء تلك المعاني .. وكذا  
القول في قول سعد بن ناسب منادياً قومه آل رزام .

فيا رزام رشحوا بي مقدما      إلى الموت خواضاً إليه الكتابيا

وقول البحتري :

فيا ليت طالعة الشمس غائبة      ويا ليت غائبة الشمس لم تغب

وقول الآخر :

ليت الكواكب تدنوني فأنظمها      عقود مدح فأرضى لكم كلني

فهؤلاء الشعراء لم يريدوا الإخبار ، وإنما قصدوا إلى إنشاء تلك المعاني ...

ولذا ساع للبلاغيين أن يقسموا الكلام إلى قسمين :

القسم الأول : الخبر ، وقالوا عنه : إنه قول يحتمل الصدق والكذب  
لذاته ، كقولك : جاء زيد .. ذهب خالد .. نجح عمرو .. فنلك أخبار  
تحتمل الصدق والكذب ، وقبدره بقولهم ، لذاته ، أي : لذات القول ليذهبوا



إلى تلك الأقوال التي لا نحتمل إلا صدق كإخبار القرآن الكريم والحديث الشريف ، وكالأقوال الثابتة نحو أسماء فرقتنا والأرض تحتنا والواحد نصف الاثنين ، فتلك الأخبار لا نحتمل سوى الصدق ولكن هذا الاحتمال ليس لذات القول وإنما بالنظر إلى قائله وهو الله تعالى ، والرسول عليه الصلاة والسلام ، وباعتبار ثبات الأقوال في الأخبار التي تتضمن أقوالاً ثابتة . . . وليذهبوا أيضاً إلى الأخبار التي لا نحتمل إلا الكذب كأقوال مسيلة الكذاب فمثل هذه الأقوال لا نحتمل إلا الكذب ، ليس لذات القول ، بل باعتبار من قالها ، ولذا قيدوا احتمال الخبر للصدق والكذب بقولهم : لذاته ، أي : بغض النظر عن قائله . . . ومرجع احتمال الخبر للصدق والكذب إلى تطابق النسبتين الكلامية والواقعية أو عدم تطابقهما . فقولك : نوح عمرو له نسبتان كلامية يفيدها النطق بالخبر والإعلام به ، وخارجية وهي ما عليه الواقع ، فإن تطابقت النسبتان كان الخبر صادقاً وإن تخالفتا كان كاذباً .

القسم الثاني : الإنشاء ، وقد عرفوه بقولهم : قول لا يَحتمل الصدق والكذب ، ، وذلك لأن أساليب الإنشاء يقصد بها - كما قلت - إلى إنشاء المعاني ، وصوغها ابتداءً ليطلب بها مطلوباً معيناً ، وهذا لا يعني أن أساليب الإنشاء ليس لها نسبة خارجية حتى ينظر في مطابقتها للنسبة الكلامية فيكون المعنى على الصدق أو عدم مطابقتها فيكون المعنى على الكذب ، بل لها نسبة خارجية وهي قيام المعنى الإنشائي من تمن أو أمر أو نهي أو استفهام أو نداء في نفس المتكلم ، ولكن ليس المقصود من الجملة الإنشائية الإخبار بمطابقة هذه النسبة للنسبة الكلامية ، وإنما المقصود هو إنشاء المعنى وابتدائه (١) . . .

وأنت تستطيع أن تدرك ذلك عندما تتأمل الأسلوب الإنشائي وتقارن بينه وبين الأسلوب الخبري . انظر إلى قول الشاعر :

ولي كبد مكلومة من فرانكم أطامتها صبراً على ما أجنحت

(١) ارجع إلى شروح التلخيص ١ / ١٦٦ وما بعدها . . .

وقارنه بقول الآخر :

فيا ليت ما بيني وبين أحبتي من البعد ما بيني وبين المصائب  
تجد أن المعنى في البيت الأول مبنى على الحكاية والإعلام بالخبر الذي  
يحدث به عن نفسه ولستطيع أن نقول : إنه صادق فيما يخبر أو كاذب ، أما  
المعنى في البيت الثاني فالمراد منه : إنشاء التمني وإيجاد النسبة وإيقاعها دون  
قصد إلى المطابقة لما في نفس الشاعر أو عدم المطابقة ، ولذا تجسد المعاني  
الإنشائية قد ترد في أسلوب الخبر كقولك : غفر الله لك وفرج كربك  
وأثابك ، وكقوله صلى الله عليه وسلم : لا يجتمع دينان في جزيرة العرب ، كما  
أن المعاني الخبرية قد ترد في أسلوب الإنشاء نحو قوله تعالى : ( قُلْ أَمَرَ رَبِّي  
بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ )<sup>(١)</sup> وكقوله عليه الصلاة  
والسلام : من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار . . . ، وستفصل  
القول في هذا - إن شاء الله تعالى - فيما بعد .

ولك أن نخبر عن أساليب الإنشاء فتقول : تمنيت لك الخير وأمرت  
خالدا بالمعروف ونهيته عن المنكر واستفهمت عن موعد الاختبار وناديت  
عمرأ فأقبل إلي ، ورجوت لك الخير والصلاح وأقسمت بالله أن أبر والذى  
وعندئذ يأخذ الأسلوب طابع الحكاية والخبر فيكون كلاهما يحتمل الصدق  
والكذب .

الإنشاء الطلبى وغيره الطلبي : وينقسم الإنشاء إلى قسمين :

١ - إنشاء طلبى وهو ما يستدعى مظلوماً غير حاصل وقت الطلب ويشمل  
أساليب الأمر والنهى والتحفى والاستفهام والتداء . . . تأمل قوله تعالى : ( فَاصْدَعْ  
بِمَا تُوَمَّرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ )<sup>(٢)</sup> ، وقوله تعالى : ( وَلَا تَحْسَبَنَّ  
الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ )<sup>(٣)</sup> ،

(١) - سورة الأعراف آية ٢٩ . (٢) - سورة الحجر آية ٩٤ .

(٣) - سورة آل عمران آية ١٦٩ .

وأنظر فيه قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «يا بني اتق الله فإن من اتقى الله وقاه ومن توكل عليه كفاه ومن شكره زاده . . .» ثم تأمل قوله تعالى: « يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي » (١) ، وقوله جل وعلا: « سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمُ الْبَيْتِ كَانُوا عَمَّيًّا . . . » (٢) ، وقول شوق في رثاء حافظ إبراهيم:

ماذا حدثت من الدموع لحافظ      وذخرت من حزن له وبكاء

تجد ان هذه الكوادر قد اشتملت على أساليب إنشائية يطلب بها أمر غير حاصل وقت الطلب ، فاقه عز وجل بأمر نبيه « فاصدع ، وأعرض ، والأمر طلب للفعل ، وينهاه : ، لا تحسبن ، والنهي طلب الكف عن الفعل ، وعمر ينادى عبد الله : « يا بني ، وفي النداء طلب الإقبال ، والكافر يتمنى : « يا ليتني قدمت ، والتمنى : طلب المحبوب الذي لا طمع فيه ، والسفهاء يسألون : « ما ولّاهم ، وشوقى يستفهم : « ماذا حدثت ، والاستفهام طلب الفهم ، فهذه الأساليب قد طلب بها - كما ترى - أمور غير حاصلة لغتنا. الطلب ، ولذا كان الإنشاء فيها إنشأ طلبياً ، فإذا استعملت تلك الأساليب - الأمر والنهي والتمنى والاستفهام والنداء - في أمور حاصلة وقت الطلب وجب تأويلها بالطلب بحسب القرائن وما يناسب المقام . . . تأمل قوله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ . . . » (٣) ، وقوله عز وجل : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ . . . » (٤) ، وقول عمر السابق : « يا بني اتق الله . . . » تجدي أن التقوى والإيمان للمأمور بهما حاصلان وقت الطلب ، فالتمنى فيهما على طلب دوام الإيمان واستمرار التقوى .

- |                          |                           |
|--------------------------|---------------------------|
| (١) سورة النجم آية ٢٤ .  | (٢) سورة البقرة آية ١٤٢ . |
| (٣) سورة الاحزاب آية ١ . | (٤) سورة النساء آية ١٣٦ . |
- ( ٦ - علم المنهج ، ١٧٤ )

٢ - إنشاء غير طلبي: وهو ما لا يستدعي مطلوباً، وله صيغ كثيرة منها: القسم  
 كقوله تعالى: « وَتَأْتِي لَأَرْكَبَنَّكُمْ أَصْنَانًا سَكْمًا يَذُودُ أَنْ تُؤْتُوا مُذِيرِينَ »<sup>(١)</sup> ،  
 وأفعال المدح والذم كقوله تعالى: « وَالْأَرْضَ قَرَشْنَاهَا تَدِيمُ الْكَاهِنُونَ »<sup>(٢)</sup> ،  
 وقوله عز وجل: « بِأَنَّ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ... »<sup>(٣)</sup> ،  
 والترجي كما في قوله تعالى: « فَمَنْ شِئْنَا أَنْ سَبَّأْتِ بِالْفُتُوحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ  
 عِنْدِي... »<sup>(٤)</sup> ، وقوله تعالى: « فَذَمَّكَ بِأَخِيحُ فَفَكَتَ تَلَى آثَارِهِمْ إِنْ  
 لَمْ يُؤْمِئُوا بِهَذَا الْخَلْدِيشِ أَسْفًا... »<sup>(٥)</sup> ، والتهجيب كما في قول الصمة  
 ابن عبد الله القشيري:

بنفسى تلك الأرض ما أطيب الربا

وما أحسن المصطافى والمتربما

الربا: ما ارتفع من الأرض، والمصطافى: مكان أصيف، والمتربم:  
 مكان الربيع، والمعنى أفسى بنفسى تلك الأرض لطيب ربها المعجيب وجمال  
 فصلها... ومنها الفاظ العقود كهولك: بعت واشتريت ومنها رب وكم  
 الخبرية لدلالتهما على إنشاء التقليل أو التكثرير كما في قول القائل: رب أخ  
 لك لم تله أملك، وكما في قوله عز من قائل: « كَمْ مِنْ نَفْسٍ قَلِيلَةٍ خَلَبَتْ  
 نَفْسًا كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ... »<sup>(٦)</sup> .

هذا وقد اهتم البلاغيون بدراسة أساليب الإنشاء الطلبي، وأهلوا بدراسة  
 أساليب الإنشاء غير الطلبي، وحيثهم في ذلك أن الإنشاء الطلبي غني بالاعتبارات  
 والملاحظات البلاغية، وأن أساليبها هي الأمر النهي والتعنى والاستفهام والتداء  
 قد ترد ويراد بها غير معانيها، فالأمر اطالب حصول الفعل وقد يرد للتهديد

(٢) - سورة الداريات آية ٤٨ .

(٤) - سورة المائدة آية ٥٢ .

(٦) - سورة البقرة آية ٢٤٨ .

(١) - سورة الأنبياء آية ٥٧ .

(٣) - سورة الجمعة آية ٥ .

(٥) - سورة الكهف آية ٦ .

ونحوه والاستفهام لطلب الفهم وقد يرد للإنكار وغيره . . . وهكذا فتلك  
الأساليب الطليية يتولد منها بحسب القران والسباق معان بلاغية متعددة . .  
أما أساليب الإنشاء غير الطلي فقد أهملوها لأمرين وهما :  
١ - أن أكثر هذه الأساليب في الأصل أخبار نقلت إلى معنى الإنشاء .

٢ - أنها لا تستعمل إلا في معانيها التي وضعت لها ، فالقسم لا يفيد إلا القسم  
والتعجب لا يرد لغير التعجب . . . وهذا لا يعني أن تلك الأساليب خالية من  
الاعتبارات البلاغية والمزايا الجمالية ، بل تمكن وراءها ملاحظات بلاغية  
واعتبارات دقيقة ، انظر إلى أسلوب التعجب في التعبيرات الجيدة تجد وراءه  
كثيرا من الدقائق التي يتوهج فيها الإحساس بالأشياء والمعاني . . . وتأمل  
أسلوب القسم في القرآن وتعدد مواقفه واختلاف المقسم به وأجوبة القسم  
تجد وراء ذلك اعتبارات جديدة بالبحث والدراسة . . . وهكذا تجد وراء  
كثير من أساليب الإنشاء غير الطليية مزايا واعتبارات تستحق الدراسة  
والتأمل . . . وسنقوم - إن شاء الله تعالى - بالنظر في تلك الأساليب وتجليه  
ما وراءها من أسرار واعتبارات في بحث آخر مستقل . . . أما الآن  
فإليك أساليب الإنشاء الطليية .

### أسلوب الأمر : للأمر سبع أربع وهي :

١ - فعل الأمر كقوله تعالى : « وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ  
وَمِنْ رِبَاطٍ انْتَلِيْلَ تَرْهَبُونَ بِرِجْدِ اللَّهِ وَعَدُوِّكُمْ » (١) ، وقوله عز وجل :  
« وَأصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا » (٢) .

٢ - الفعل المضارع للثرون بلام الأمر ، كما في قوله تعالى : « لِيُنْفِقْ  
ذُو شِقَاةٍ مِنْ سَعْتِهِ وَمَنْ قَدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ حِمَاً آتَاهُ اللَّهُ » (٣) ،

(٢) - سورة هود آية ٢٧ .

(١) - سورة الأنفال آية ٦٠ .

(٣) - سورة الطلاق آية ٧ .

وقوله عز وجل : « فَذَيْكُكُوبٌ وَلَيْمِيلٌ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلَيُتَقَرُّ  
اللَّهُ رَبَّهُ .. » (١).

٣ - اسم فعل الأمر ، نحو : صد بمعنى اسكت ، و منه بمعنى اكف و عليك  
بمعنى الزم ، و منه قوله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ  
لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ .. » (٢).

٤ - المصدر الغائب عن فعل الأمر كقوله تعالى : « وَاعْبُدُوا اللَّهَ  
وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدِينَ إِحْسَانًا .. » (٣) ، أى : وأحسنوا بهما ،  
وقوله عز وجل : « فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبِ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا  
أَخَذْتُمُوهُمْ فَضُدُّوا الرِّقَابَ .. » (٤) ، أى : فامسروا الرقاب ..  
و منه قول فطرى بن الفجاءة :

فصبرا فى مجال الموت صبوا فإ نيل الخلود بمستطاع

و كقوله عليه الصلاة والسلام : « رفقا بالقوارير ، » و تقول : سعيان  
الخير وأسرا بالمعروف ونهيا عن المنكر ورميا بالرمح و ضربا بالسيف و حمد  
الله وشكرا .

وقد قالوا فى تحديد مفهوم الأمر : هو طلب حصول الفعل على جهة  
الاستعلاء حيث يكون من الأعلى إلى الأدنى ، فالأعلى يطلب من هو دونه  
حصول الفعل وتحقيقه وبعثه عليه ويحث ، وقد اختلف البلاغيون فيما  
يستعمل فيه أسلوب الأمر ، فبرى البعض أنه يستعمل فى الوجوب  
وأن المراد به الإلزام والتسكيف ، وبعضهم يرى أنه للندب ، وآخرون  
يرون أنه يستعمل فى معنى يشمل الوجوب والندب وهو الطلب على جهة  
الاستعلاء ، وبرى آخرون أنه من الانفاظ المشتركة بين الوجوب

(٢) سورة المائدة آية ١٠٥ .

(٤) سورة محمد آية ٤ .

(١) سورة البقرة آية ٢٧٢ .

(٣) سورة النساء، آية ٣٦ .

والندب فقط ، أو بين الوجوب والندب والإباحة ، وذلك كاشتراك لفظ  
الغزاة في الشمس والظبي ، والخال في الشامة بخد الحسنة وأخ الأم ، فأسلوب  
الامر موضوع للمعتين : الوجوب والندب أو للمعاني الثلاثة : الوجوب  
والندب والإباحة ، أو لمعنى يشملها مثل الإذن (١) .

ولهذا وجدنا الخطيب القزويني يحتاط عند تعريفه الأمر حيث قال :  
« والأظهر أن صيغته من المقترنة باللام نحو : ليحضر زيد ، وغيره نحو :  
أكرم عمراً ورويد بكراً ، موضوعة لطب الفعل استملاء لتبادر الذهن عند  
سماعها إلى ذلك وتوقف ما سواه على القرينة » (٢) .

فلم يحزم بتعريفه - كما ترى - بل جعله ، الأظهر ، ، ولعل سبب اختلاف  
البلاغيين في تحديد استعمال أسلوب الأمر ، مرده إلى أن صيغ الأمر قد شغلت  
الدارسين في كثير من المجالات وبخاصة الفقهاء والأصوليين لاتصالها بالوجوب  
والندب وما إلى ذلك من أحكام فقهية ، توجب الحسدر في الدراسة  
والاستنتاج (٣) .

والذي أراه أن الأصل في صيغ الأمر أن تستعمل في طلب حصول  
الفعل على سبيل التكليف والإلزام من الأعلى الأدنى ؛ لأن هذا هو التبادر  
إلى الذهن عند سماعها - كما ذكر الخطيب - وقد تستعمل في غير هذا الأصل  
الذي وضعت له فتفيد الإباحة أو الدعاء أو التهديد أو التمني أو الحث والإنارة  
أو الاستمرار والدوام على تحقيق الفعل . . . إلى غير ذلك من المعاني التي تفيدها  
صيغ الأمر بمرونة السياق وقرائن الأحوال ، وقد اهتم البلاغيون بالحديث  
عن هذه المعاني وتجلياتها والكشف عن دقائقها ومزاياها في التعبير .

(١) انظر شروح التلخيص ٢/٣١٠ .

(٢) ارجع إلى الإيضاح ٢/٥٣ .

(٣) انظر دلالات التراكيب ص ٢٦١ .

المعاني البلاغية التي يفيدها أسلوب الأمر ووجه الدلالة عليها : -  
الأصل في أسلوب الأمر - كما بينت - طالب حدوث شيء لم يكن حاصلًا وقت  
الطلب على سبيل التكليف والإلزام من جهة أيا أمره إلى جهة دنيا أمورًا ،  
وقد يخرج الأمر عن هذا الأصل فيفيد معاني كثيرة ترشد لإيها السياق وقرائن  
الأحوال ، وأم هذه المعاني :

١ - الإباحة : وذلك عندما تستعمل صيغة الأمر في مقام يتوهم فيه  
السامع حظر شيء عليه ، كقولك : جالس الحسن أو ابن سيرين ، فليس المراد  
هنا طلب الفعل استعلاء ، ولكن لما كان السامع يتوهم عدم جواز الجمع بين  
مجالسهما لما كان بينهما من سوء المزاج ، أباح المتكلم له مجالسة أيهما شاء  
قال أمر - كما ترى - يفيد الإباحة ، حيث يبيح للسامع أن يجالس أحد العالمين  
أو كليهما أو لا يجالس ، وليس ملزما له بفعل شيء . . . ومن جميل ذلك قول  
كثير مرة :

أسيء بشا أو أحسنى لا ملومة

لدينا ولا مقلية إن ثقلت (١)

أى : لا أنت ملومة ولا مقلية ، فكثير يبيح لمرء أن تسمى إليه أو  
تحسن ، فهو راض في الحالين غاية الرضا ، ومر جمال هذا التعبير أى : التعبير  
بصيغة الأمر في مقام الإباحة في هذا البيت أنه يكشف لنا عما أصاب الشاعر  
من عشق وهيام ، فقد وصل به إلى منتهاه ، حتى صار يطلب منها الإساءة كما  
يطلب الإحسان ، ويلج في ذلك إلحاحا ، وكان الإساءة أمر مطلوب مرغوب ،  
فالإنسان عندما يصل به الحب إلى حد الإفراط يصير كل فعل يصدر عن

(١) القلى : البنفس والسكرامية وفي قوله : ثقلت ، الثقات وحذف للمفعول والأصل

إن ثقلتنا فالثقت إلى الثقات وحذف للمفعول .



حبيبه لا يراه إلا جمالا ، وبهذا يتضح لك أن استعمال الشاعر لصيغة الأمر في مكان الإباحة يكشف عن مكنون نفسه ويبرز ما بداخله ، بأخصر طريق وأجمله ..

واستعمال الأمر في معنى الإباحة كثير في آي الذكر الحكيم ، من ذلك قوله تعالى : « وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَسْتَيْبِنَ سُسُكُمْ انْتَلِيطُ الْأَيْبُنُ مِنْ انْتَلِيطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ . . . »<sup>(١)</sup> فالمراد من الأمر في الآية الكريمة إباحة الأكل والشرب في ليالي رمضان حتى طلوع الفجر ، وفي التعبير بصيغة الأمر مكان الإباحة حث على تناول السحور وكأنه أمر مطلوب مرغوب فيه . . . ومثله قوله تعالى : « فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ . . . »<sup>(٢)</sup> . . . فثبه حث على العمل وابتغاء الرزق .

٣ - التخيير : ويكون في مقام التخيير بين شيئين أو أشياء بحيث يختار منها السامع ، كما في قول بشار :

فغش واحداً أرسل أخاك فإنه مقارف ذنب مرة ومجانبه

فهو يخير مخاطبه بين أمرين : العيش واحداً ممنعاً لا أو صفة الإخوان ومخالطهم مع التجاوز عما يكون منهم من إساءات ، فتلك لابد منها ، على حد قول الآخر :

ولست بمستبق أعا لاندله على شعث أي الرجال المهذب

هذا والفرق بين الإباحة والتخيير ، أن الإباحة إذن في الفعل وإذن في الترك فهي إذن معاً ، أما التخيير فهو إذن في أحدهما من غير تعيين ، ولذا فالتخيير لا يجوز الجمع بين الشيتين والإباحة تجوز

(٢) سورة الجمعة الآية ١٠

(١) سورة البقرة الآية ١٨٧

٣ - التهديد : ويكرن في مقام عدم الرضا بالمأمور به ، كما تسمع من  
الرئيس بقول لمرؤسه : اعمل ما بدا لك ، أو من السيد بقول لعبده : دم على  
عصيانك فالعصا أمامك ، فليس المراد من الأمر في الموضعين الامتثال ، أي :  
فعل ما أمر به ، ولكن المراد هو التهديد والوعيد ، وكان الرئيس والسيد  
يطلبان من المرؤوس والعبد أن ينالفاهما وذلك لرغبتهما القوية في إنزال  
العقوبة بالمرؤوس والعبد ، فإذا ما كانت المخالفة كان العقاب مرا والإيذاء  
شديداً . . . وتأمل قوله تعالى : « وَجَعَلُوا لِي لَذَّةً لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ  
تَمَتَّعُوا فَإِن مَّصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ »<sup>(١)</sup> ، فقد أخبر الله عز وجل عنهم أنهم  
أشركوا به وجعلوا له لذاتاً ليضلوا عن سبيله ثم جاء الوعيد والتهديد :  
« تَمَتَّعُوا فَإِن مَّصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ » ، فليس المراد بالأمر في الآية : « الامتثال » ،  
وكان الله تبارك وتعالى لما ارتكب هؤلاء ما لا يفكر وهو الشرك ، أراد لهم  
أن يقرب طغيانهم ويشد إعراضهم ويزدادوا تمعنا بشهواتهم ، فإذا ما تم لهم  
ذلك كان عقابهم أشد وأقرب ، فليس الأمر مراداً - كما ترى - بل المراد هو  
الزجر والوعيد حتى يقاع هؤلاء عمائم فيه من عناد وكابرة ، وتدبر الالتفات  
من الغيبة في قوله : « جعلوا . . . ليضلوا » ، إلى الخطاب في قوله « تمتعوا  
فإن مصيركم . . . » فهو التفتت لغاضب المتوعد . . . وخذ قوله تعالى : « يَحْذَرُ  
الْمُنَافِقُونَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنذِرُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهِزُوا  
إِنَّ اللَّهَ يُخْرِجُ مَا تَحْذَرُونَ »<sup>(٢)</sup> فقد أمر المنافقون بالاستهزاء لا بامتثالوا  
بل ليزدادوا نفاقاً على نفاقهم فيكون عقابهم أشد وأقرب ، وفي هذا من الزجر  
والتوعد والتهديد ما فيه ، وتجد الالتفات هنا من الغيبة إلى الخطاب ، كما في  
الآية السابقة يفيد شدة الوعيد وقوة الزجر . . . ومثله قوله تعالى : « إِنَّ الَّذِينَ  
يُاجِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُبَاتِي فِي الْغَارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ

يَأْتِي آمِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اخْتُلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ» (١) . .  
فليس المراد بالأمر : « اعملوا ، أن يمتثلوا فيعملوا ما يشاءون بل المراد  
الزجر والتهديد حتى يقلعوا عن الإلحاد ويكفوا عن العناد وكان الله سبحانه  
وتعالى - لشدّة غضبه عليهم - يأمرهم بما يوجب عقابهم لئلا يكل هم أشد  
تسكيل ، وهذا هو سر بلاغة التعمير بالأمر في مقام الوعيد والتهديد . .  
وتخذ قوله صلى الله عليه وسلم ، إذا لم تستحي فاصنع ما شئت ، ثم قارن بينه  
وبين قوله عليه الصلاة والسلام : « لعل الله اطّلع على أهل بدر فقال : اصنعوا  
ما شئتم فإنني قد غفرت لكم . . » تجد أن الأمر في الحديث الأول يفيد التهديد  
والتوعد بدليل قوله : « إذا لم تستحي ، وفي الثاني يفيد التبشير وكالرضا  
عنهم ، فالحق سبحانه وتعالى قد أقبل لإيهم واطّلع ، وفي هذا من التشريف  
والتكريم لهم مالا يخفى ، وقد أكرم عليهم بالرحمة والغفران ، إني قد غفرت  
لكم ، وهذا يتضح لك ما للسياق وقرائن الأحوال فهو الذي يحدد المعنى الذي  
يفيده أسلوب الأمر ، وع- إلى الآيات السابقة فتأمل سياقها وأمن فيه النظر ،  
وعندئذ فسيتضح لك أن أسلوب الأمر لم يفد ما أفاده إلا بمعونة السياق  
ومعرفة قرائن الأحوال في الآيات الكريمة . .

٤ - التمجيز : ويكون في مقام إظهار عجز من يدعى قدرته على فعل  
أمر ما وليس في وسعه ذلك ، كما في قوله تعالى : « وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا  
نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ . . » (٢) فليس المراد الأمر في الآية  
السكرية التكليف والإلزام بالإتيان بسورة من مثله ، وإنما المراد إظهار عجزهم  
عن الإتيان ، لأنهم إن حاولوا ذلك الإتيان بعد سماع صيغة الأمر ولم يمكنهم  
بدا عجزهم وظهور . .

(٢) - سورة البقرة آية ٢٣

(١) - سورة اصالت آية ٤٠

وسر بلاغة التعبير بالأمر في مقام التمجيز إبراز قوة التحدى والتسجيل عليهم ليعتظروا ويقلموا عما هم فيه من عناد ومكابرة . .

ومثله قوله تعالى : « وَقَالُوا لَنْ نَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أُمَّاتٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ »<sup>(١)</sup> وقوله عز وجل : « الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أِطَاعُوا مَا مَتَّعُوا قُلْ قَدْ رَأَوُا عَنِّي أَنفُسِكُمُ الْمَوْتِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ »<sup>(٢)</sup> ، وقوله تعالى « هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِي »<sup>(٣)</sup> ، ولا يخفى عليك ما في الآيات الكريمة من قوة التحدى والتسجيل على المخاطب وإبراز عجزه ، وفي ذلك لفتهم إلى النظر في حالهم والتفكير فيما هم فيه من عناد ومكابرة وسوء تقدير . . . وتأمل قول المهمل مخاطباً آل بكر ، ومعلناً شدة غضبه لقتلهما أخاه كليبا .

يا بـكـر أنـشـروا لي كـليـبا يا بـكـر أين أين الفـرار

فهو يهددهم بالويل والشور ويطلب منهم إعادة كليب إلى الحياة ، وإعادة كليب إلى الحياة من المحال ، فالأمر في قوله : « أنشروا لي » ، لتعجيز وسر بلاغة التعبير بأسلوب الأمر في البيت : إشعارهم بأنه لا منجى لهم ولا مهرب ، وأنه آخذ بثأره منهم لا محالة . . . وخذ قول الآخر :

أروني بنخيل طال عمراً ينخله وهاتوا كريمات من كثرة البذل  
قال شاعر يتحدى المخاطبين أن يقفوه على بنخيل قد امتد عمره وطال أجيله  
بسبب ينخله ، وأن يبرزوا له كريمات من كثرة البذل والعطاء ، ونشعر بما وراء ذلك من التنفير من البخل ، والحث على الكرم والعطاء ، فأسلوب الأمر في البيت ، أسلوب موح ومقنع ، يكشف أمر البخيل حتى يطلع البخل

(٢) - سورة آل عمران آية ١٦٨

(١) سورة البقرة الآية ١١١

(٣) سورة لقمان الآية ١٤

عن بخلهم ويبرز فضل الكريمة الممطاء فيزداد كرمها وتعجب نفسه ويقنع  
بسلامة منهجه وصحة مسلكه ..

ومثله قول الآخر :

أروني أمة بلغت مناها بغير العلم أو حد الحسام

فغير خاف عليك ما وراء الأمر والتحدى من حد على طالب العلم ومكافحة  
الاعداء حتى ترقى الأمة وتبلغ مناها ..

.. الإهانة والتحقير : ونسكون في مقام عدم الاعتداد بالمخاطب وقلة  
المبالاة به كما في قوله تعالى : « ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْكَرِيمُ »<sup>(١)</sup> فالكافر  
لا يمكنه الذوق ؛ لأنه يعاني غمص العذاب وآلامه ومعنه وذلك حال لا يستطيع  
فيها أن يذوق إلا الحميم والفساين ، ولا يخفى عليك ما وراء أسلوب الأمر من  
الإهانة والتحقير والتهمم والاستهزاء بهؤلاء الذين انحرفوا عن الحق وحادوا  
عن المنهج القويم وتذمعت تلك السخرية من قوله : « إِنَّكَ أَنْتَ الْكَرِيمُ »  
الكريم ، ولا عزة ولا كرامة ، وإنما ذلة ومهانة .. ومثله قوله تعالى :  
« بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ أُمَّهُمُ عَذَابٌ أَلِيمٌ »<sup>(٢)</sup> فالأمر بالتبشير في الآية يحمل  
معنى الإهانة والتحقير لهؤلاء المنافقين .. وتأمل قول الشاعر :

فدع الوعيدا وعيدك ضائري أطين أجنحة الذباب يضير

فأمره بترك الوعيد يشعر بمدى المقاراة والاستمراء بهذا الذي يتوعد  
ويهدد وليس في إمكانه أن يحقق هذا الوعيد ، فوعيد طنين كطنين  
أجنحة الذباب ، وأنى مثل هذا الوعيد أن يضير ، بل كيف يتوعد من  
هذا شأنه .

(٢) - سورة النساء آية ١٣٨

(١) - سورة النخان آية ٤٩

٦ - التسوية : وتكون في مقام توهم رجحان أحد الأمرين على الآخر ،  
كافي قوله تعالى : « قُلْ أَنْذَرْتُكُمْ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا أَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ » (١) أي :  
يستوى عدم القبول منكم ، سواء أكانت التفتحة صادرة عن طواعية أو عن كراهية ،  
وذلك أنه سبحانه وتعالى قد علم من حالهم عدم الاعتداء ، وربما يتوهم المخاطب  
أن الإنفاق طوعاً مقبول فدفع ذلك بالتسوية بينهما . . . ومثله قوله تعالى :  
« اصْبِرُوا فاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ  
تَتَمَكَّنُونَ » (٢) . . . وقوله عز وجل « قُلْ آمِنُوا بِرِأْسِ اللَّهِ وَلَا تُؤْمِنُوا . . . » (٣)  
أي : يستوى الصبر وعدمه في عدم النفع وذلك دفعا لما قد يتوهم من أن  
الصبر نافع للكفار في عذاب يوم القيامة . . . وتشعر في الآية الثانية فضلا عن  
التسوية بين الإيمان وعدمه بمعنى الاحتقار والازدراء وقلة المبالاة ، أي :  
آمِنُوا أَوْ لَا تُؤْمِنُوا فَقَسِدْ آمِنَ بِهِ مَنْ هُمْ أَحْضَرُ مِنْكُمْ وَأَعْظَمُ ، ولذا استوى  
إيمانكم وعدم إيمانكم . .

٧ - التمني : ويكون في مقام طلب شيء المحبوب الذي لا قدرة للطالب عليه  
ولا طمع له في حصوله . . . كافي قوله تعالى : « رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ  
عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ » (٤) . فقد طلبوا الخروج من النار ولات حين خروج ،  
لأنه محال ولا طمع لهم في حصوله ولكنه التمني . . . وانظر إلى قول امرئ القيس :  
ألا أيها الليل الطويل ألا اتعلى بصبح وما الإصباح منك بأمثل

قال الشاعر قد كثرت همومه وتكالبت عليه الشدائد حتى أصابه الأرق  
وهجره النوم ، فهو يتمنى أن ينجلي ذلك الليل ، وينأى بظلامه عنه حتى يستقبل  
الصباح وينعم بضياؤه ، ثم عاد على ذلك بالنقض فقال : « وما الإصباح منك  
بأمثل ، فأنت وهو سواء ، وإنما طلب انجلاء الليل مع هذا ، لأن في تعبير

(١) - سورة التوبة آية ٥٣ . (٢) - سورة الطور آية ١٦ .  
(٣) - سورة الإسراء آية ١٠٧ . (٤) - سورة المؤمنون آية ١٠٧ .

الزمن راحة على كل حال .. وليس الغرض من صيغة الأمر ، انجلى ، طلب الانجلاء من الليل ، لأن الليل ليس ما يخاطب ويؤمر ، وإنما يتعنى الشاعر ذلك تخلصاً عما يعانيه ..

وتأمل قول أبي العلاء المعري :

قيامت زر إن الحياة ذميمة

ويا نفس جدى إن دهرك هازل

فالشاعر قد استعمل صيغة الأمر ، زر ، وأراد بذلك التمني ، لأن الموت لا يقبل ان تطلب منه الزيارة ، ولكن أبا العلاء يرى أن الموت قد نأحر تأخراً مملاً ، ولذا تمنى زيارته حتى يلب تلك الزيارة فقد أصبحت الحياة جحماً لا يطاق ، والشاعر يتمنى الموت تخلصاً عما يعانيه من قسوتها .. وهذا المعنى تراه شائعاً على ألسنة الناس فهم يعطون الموت عند حلول الشدائد والأزمات وتكالب الأحران ، وعدم قدرتهم على تحمل نوائب الدهر ومصائبه ، فيتمنون الموت تخلصاً من تلك النوائب ..

٨ - الدعاء : وهو الطلب على سبيل التضرع والخضوع ، ويكون في أسلوب الأمر إذا صدر من الأدنى إلى الأعلى منزلة . كما في قوله تعالى : « رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَبَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي وَاجْعَلْ لِي زَيْبَرًا مِنْ أُمَّلِي هَاكُودُنَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْ فِي أَمْرِي »<sup>(١)</sup> . وقوله عز وجل : « رَبَّنَا إِنَّا تَمَنَّامُ مُنْكَادِيًا بُدَاكِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ إِنَّا ذُنُوبَنَا وَكَفَرُوا عَمَّا سَبَّانَا وَتَوَفَّانَا مَعَ الْأَبْرَارِ »<sup>(٢)</sup> . وقوله جل وهلا : « رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آيَاتًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مِنْ آمِنَ مِنْهُمْ يَا اللَّهُ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ .. »<sup>(٣)</sup> فالامر في

(١) - سورة طه آيات ٢٥-٢٢ (٢) - سورة آل عمران آيات ١٩٣ .

(٣) - سورة البقرة آيات ١٢٦ .

هذه الآيات الكريمة ونحوها، المراد منه التضرع إلى الله والتوجه إليه والدعاء له ، لأن الله جل وعلا لا يأمره أحد من خلقه . . . . . وسر التعبير بأسلوب الأمر في مقام الدعاء في الآيات الكريمة هو إظهار كمال الخضوع لله عز وجل، وبيان شدة الرغبة في تحقيق تلك الأفعال، حتى كأنها أمور مطلوبة من الله جل وعلا . . . وتأمل قول المتنبي يخاطب سيف الدولة :

أزل حسد الحساد عنى بكميتهم فأتت الذى صيرتهم لى حسدا

وقوله أيضاً :

أنا الخلود أعط الناس ما أنت مالك

ولا تعطين الناس ما أنا قائل

تجد المتنبي يخاطب سيف الدولة بأسلوب الأمر : « أزل . . أعط . . » ، ولا يريد بالأمر حقيقة من الإلزام والتكليف ، لأن الأمير لا يأمره أحد من رعاياه ، وإنما أراد المتنبي التوسل والدعاء ، وإيثاره أسلوب الأمر يدل على رغبته القوية في تحقيق ما يريد ، وكأنه أمر مطلوب من سيف الدولة . .

٩ - الالتماس : ويكرن عند خطاب من يساويك في الرتبة والمنزلة، والطلب منه على سبيل التلطف وبدون تضرع ولا استعلاء ، على نحو ما ترى في قول امرئ القيس :

قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل

سقط اللوى بين الدخول لمومل

فمور يخاطب صاحبيه ويطلب منهما الوقوف في هذا المكان العزيز على نفسه ، ليؤرقا معه الدمع قضاء لحق هذه الذكرى الغالية، وهو طلب صاحب من صاحبيه بأسلوب الأمر ، وإذا كان الأمر كذلك فإنه يراد بصيغة الأمر « الالتماس » ، لا الإلزام والتكليف ، لأن خطاب الندندة لا يراد به معنى الإلزام . . . . . ومثله قول كثير :



خليل هذا ربع عزة فاعقلا تلوصيكاثم ابكيا حيث جلت (١)  
فهو يطلب من خليليه أن يقف معه ساعة في منزل فتاته عزة ، وفاء لها  
وقياما بحقه من البسكاه فيه ، لخلوه من ما كنبه . .

والتعبير بصيغة الأمر في مقام الالتماس ، يرحى بمدى انفعال الشاعر  
وسيطرة ذكرياته عليه حتى أنسته كل شيء ما عدا رغبتة في تحقيق ذلك الأمر  
من جميع الرفاق ، وكان البسكاه ليس مطلوباً منه وحده بل مطلوب منهم  
جميعاً ، وأسلوب الأمر لا يكون حسناً ومقبولاً بين الرفاق إلا إذا كان بينهم  
تواضع جم وحب شديد ولذا تلاحظ كثيراً يقول : خليل ، ، فهم اخليلاه  
اللذان اصطفاهما واراضى محبتهمما والفرهما .

١٠ - النصح والإرشاد : وقد يكون أسلوب الأمر للنصح والإرشاد  
وذلك إذا تضمن نصيحة لم تسكن على وجسه الإلزام ، كما في قوله تعالى :  
« يَا بَنِي آدَمِ الْعَسَلَةَ وَأَمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَانْتَهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَخْبِرْ بَيْنَ  
مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ » (٢) ، وقوله عليه الصلاة والسلام -  
لعل كرم الله وجهه : « إن أردت أن تسبق الصديقين فصل من قطمك وأعط  
من حرمك وأغف عن ظلمك ، ففي الآية السكرية يوصى لقمان ابنه بتلك  
الفضائل وفي الحديث بنصح صلى الله عليه وسلم علياً رضي الله عنه أن يتحل بتلك  
الخصال الحميدة ، ولا يقال إن الأمر هنا للرجوب إذ المأمور به واجب ،  
لأن المأمور به إنما يكون واجباً إذا وردت تلك الأوامر في مقام الأمر  
والإلزام من الله عز وجل ، أما ورودها هنا على لسان لقمان في الآية وعلى  
لسان المصطفى في الحديث ، فإن المقام يقتضى أن تسكون للنصح والإرشاد . . .  
ومن ههنا التنبيل تلك الأوامر التي نزلت على السنة الوعظ والمرشدين  
والموجهين ، فهم يريدون منها النصح والإرشاد ، وأن يهروا عما يضمرونه

(١) الربع ، الحى أو المدار . والتلوص : ثلاثة الشابة . وعقل البعير : فيده .

(٢) - سورة لقمان آية ١٧ .

من حب وإخلاص لاتباعهم ، وهذا هو سر التعمير بأسلوب الأمر في مقام الإرشاد والنصح .

١١ - الإكرام : كافي قوله تعالى : « ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِينَ »<sup>(١)</sup> ، فقد قالوا في معناه : إنهم لما صاروا في الجنات ، فإذا ما انتقلوا من بعضها إلى بعض يقال لهم عند الوصول إلى التي أرادوا الانتقال إليها : « ادخلوها » وأرى - والله أعلم - أن أسلوب الأمر في الآية مراد به ، الإكرام ، للمؤمنين وهذا شائع بين الناس ، فإنك تقول لضيفك وهو مستمر في الأكل والشرب كل واشرب ، وقد تقسم عليه أن يأكل ولا تقصد إلا زيادة إكرامه وأن تصور ما في حلجات نفسك من حبه وسروره به .

١٢ - وقد يأتي الأمر لتصوير حال المتكلم والدلالة على ما هو فيه من الحيرة والتخبط ؛ كافي قوله تعالى : « وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ »<sup>(٢)</sup> ، فأصحاب النار يملكون يقيناً أن ما في الجنة محرم عليهم ، ولكنهم لفريط مادم فيه من هول وهذاب ، كأنهم قد فقدوا عقولهم فصاروا يطلبون مالا سبيل إلى تحقيقه .

ومثله قوله تعالى : « حَقِّ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ : رَبِّ ارْجُونِي كَعَمَلِي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ... »<sup>(٣)</sup> ، وقوله عز وجل : « قَالُوا : رَبَّنَا خَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ . رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ »<sup>(٤)</sup> ، وكان الكافر وقد حضره ملك الموت وأبصر زبانية العذاب أصابه الهول فصار يطلب مالا سبيل إلى تحقيقه ، ولا يدري ماذا يقول . وكذا في الآية الثانية ، كان الأشقياء أشد ما ذاقوا من العذاب في جهنم أصبحوا في حيرة وتخبط فصاروا يطلبون ويتمنون مالا سبيل إلى تحقيقه ..

(١) سورة الحجر آية ٤٦ . (٢) سورة الأعراف آية ٥٠ .  
(٣) سورة المؤمنون آية ١٠٠ . (٤) سورة المؤمنون آية ١٠٧ .

١٣ - وقد يأتي الأمر بالإثارة والإلهاب والتوبيخ وذلك عندما يوجه إلى  
الأمور الواقعة منه الفعل، والذي لا يتصور أن يكون منه خلافه، كما في قوله  
تعالى : « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ » (١) .  
وقوله عز وجل : « فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَلَا تَطَفَّؤْا إِلَيْهِ  
بِمَا تَمْتَلُونَ بِمِصْرٍ » (٢) . وقوله جل وعلا : « فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا  
فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ الْسَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ » (٣) . إلى غير ذلك من الآيات  
الكريمة التي يوجه فيها الأمر بما هو حاصل أو النهي عن غير الحاصل إلى  
الرسول صلى الله عليه وسلم فإن الغرض من الأمر أو النهي عندئذ هو الإثارة  
والتوبيخ والإلهاب حتى يرداد المخاطب تمسكا بما هو عليه من الحق واليقين  
ويستمر ويداوم، ولذا قالوا: إن التعبير بالأمر في مثل هذه الآيات وكذا النهي،  
يفيدان طلب الدوام والاستمرار، أي: طلب دوام التقوى والاستقامة والابتعاد  
عن الكفار وعن الطغیان . . ونرى أن أسلوب الأمر والنهي الموجهين إلى  
الرسول - صلى الله عليه وسلم - في مثل هذه الآيات يفيدان بالإضافة لما سبق،  
الإشارة إلى بسط سلطان الربوبية وتفرداها بالأمر والنهي وأن البشرية  
في أسسها وأعلى منازلها، وهي النبوة تؤمر وتنهى، وهذا تعميق للفرق  
بين الألوهية والنبوة، وهو ما حرص الإسلام على إبرازه وتقريره، حتى  
لا يتطرق إلى عقيدة الوجدانية عند هذه الأمة، ما تطرق إليها عند الأمم  
السابقة، فقد قالت النصراني: المسيح ابن الله، وقالت اليهود عزير ابن الله،  
وهذا كان أسلوب الأمر أو النهي الموجه إلى النبي - عليه الصلاة والسلام -  
في مثل هذه الآيات : « اسْتَقِمْ - اتَّقِ اللَّهَ - لَا تَطِيعِ - لَا تُكْرِهَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ،

(٢) - سورة هود آية ١١٣

(١) - سورة الأحزاب آية ١

(٣) - سورة الروم آية ٣٠

مشير إلى أن محمداً وهو الذى ما خلق الله ولا ذرأ ولا أبراً نفساً أكرم عليه منه ، إنما هو بشر يؤمر وينهى ويحذر ويتوعد ؛ « لَنْ نَأْتِيَنَّكَ بِشَيْءٍ مِّنْكَ تَحْتِطَانٌ » (١) ، « وَتِلْكَ نَقْوَالُ عَلَيْهَا بِهَضْمِ الْأَقْوَابِلِ لِأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ » (٢) وبذا يظل الألوهية سلطانها القاهر المهيمن وتفنف للنبوة عند منزلتها السامية التى مهما سمحت لا ترقى إلى مرتبة الألوهية (٣) . .

١٤ - وقد يأتى الأمر تصويراً للحدث وبياناً لكيفية وقوعه انقباضاً لقدرة الله تعالى ، كما فى قوله عز وجل : « ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا : أَتَيْنَا طَائِعِينَ » (٤) ، وقوله جل وعلا : « قَالِ اللَّهُ مُؤْتُواكُمْ أَحْيَاءُمْ » (٥) ، وقوله : « إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ : كُنْ فَيَكُونُ » (٦) ، فالأمر فى الآيات المكرمة : « اتقوا - موتوا - كن » ، بصور حال الحدث وسرعة وقوعه وانقياده لأمر الله تعالى . . وفى هذا من الدلالة على القدرة البالغة ما لا يخفى على صاحب الذوق الرفيع - وتأمل ما فى الآيات من أمر يعقبه استجابة سريعة ، ثم قارن بينه وبين أن تقول : فأما هم الله ثم أحياءهم . . إنما أمره إذا أراد شيئاً يكون . . فأمرهما الطاعة فأطاعنا . . فتجد أن تصوير الحدث وبيان كيفية وقوعه وانقياده الخاضع لقدرة الله عز وجل ، قد ولى وذهب ، فى هذه الأقوال . .

١٥ - وقد يأتى الأمر بالفعل مراداً به الحث على الاتصاف بصفة معينة ، كما فى قوله : « مت وأنت كريم . . مت وأنت تقى - صل وأنت خاشع . . وانفراً وأنت بمظفأنت . فى هذه الأقوال لا تريد أمره بالموت ولا الصلاة ولا القراءة .

(١) - سورة الزمر آية ٦٥ (٢) - سورة الحاقة الآيات ٤٤ - ٤٦ .  
 (٣) - ارجع إلى دلالات التراكيب ٢٧٠ (٤) - سورة فصلت آ ١١  
 (٥) - سورة البقرة آية ٢٤٣ (٦) - سورة يس آية ٨٢

وإنما يريد أن تحته على تلك الصفات المذكورة وهي الكرم والتقوى والخشوع واليقظة ، وأن يحافظ ويستمر على الاتصاف بها ، ويحرص على ذلك طوال حياته فهذا هو الأولى به واللائق بأمثاله من الكرماء الأتقياء . . . ومثل الأمر في ذلك أسلوب النهي تقول : لا تصل إلا وأنت خاشع . . . لا تمت إلا وأنت كريم ، ومرادك من هذا النهي : أن تحته على الخشوع والكرم ، لا نهيه عن الصلاة والموت . . . ومن ذلك قوله تعالى : **وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ يُبَلِّغْهُ وَبِقُوبِ يَأْتِي** **إِنْ أَسْأَلْتَنِي لَكُمْ لَذِينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ** . . .<sup>(١)</sup> ، فالمراد حثهم على التمسك بالإسلام وألا يكونوا على خلاف حال الإسلام إذا ماتوا ، أي : حثهم على أن يستمروا طوال حياتهم متمسكين بالإسلام محافظين عليه فإذا ما جاءهم الموت - وهو لا يأتي إلا بنته - ماتوا وهم مسلمون .

١٦ - وقد يرد الأمر ولا يراد به مأمور معين وإنما يراد به كل من يتأتى منه الخطاب ، كما في قوله - عليه الصلاة والسلام - : **د بشر المشائين إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة** ، لا يريد - صلى الله عليه وسلم - مخاطبا معينا ، وإنما أراد عموم الأمر ، حتى كأن كل فرد من أفراد الأمة مبشر لحولاء ، وفي هذا تكريم للمشائين إلى المساجد وتنويه بشأنهم وبرضا الله تعالى عنهم ونجليته عليهم بالرحمة والفرحان والنور التام . . . إلى غير ذلك من الأغراض والمعاني البلاغية التي يفيدها أسلوب الأمر ، فهي كثيرة يطول حصرها ، وما نريد الآن هو أن نقف على وجه دلالة أسلوب الأمر على تلك المعاني . .

قال كثير من البلاغيين إن هذه المعاني التي يفيدها أسلوب الأمر معانٍ مجازية بمعنى أن الأسلوب - انتقل من الدلالة على الأمر إلى إفادة تلك المعاني ، وكل مجاز لا بد منه من علاقة بين المعنى الأصلي والمعنى المجازي . . وقد خاض

(١) - سورة البقرة آية ١٣٢

البلاغيون وجدوا في النفس تلك العلاقات ، فالعلاقة بين الأمر والإباحة هي الإطلاق والتقييد ، لأن الأمر إذن مقيد ، والإباحة لمطلق الإذن ، فاستعمال الأمر في الإباحة مجاز مرسل .. ويجوز أن تكون العلاقة : التضاد ، لأن إباحة كل من الفعل والترك تضاد الإيجاب . . . والعلاقة بين الأمر والتهديد : شبه التضاد وبين الأمر والإهابة : اللزوم .. وهكذا (١) . .

وبعضهم يجعل استعمال الأمر في تلك المعاني من قبيل الكناية ، وبعضهم يجعله من قبيل مستبهمات الكلام . . . وكذا القول في المعاني البلاغية التي يفيدها أسلوب النهي أو أساليب الاستفهام الآتي بيانها . . . والذي نراه إذ دلالة الأمر وكذا النهي والاستفهام على تلك المعاني من مستبهمات الكلام بمعنى أن السياق وقرائن الأحوال هي التي تعدد تلك المعاني المرادة ، وأنه لا داعي للخوض في التماس علاقات وأهمية بين تلك المعاني وبين أساليب الأمر والنهي والاستفهام ، لأنه على الرغم من وهن هذه العلاقات فإنه لا فائدة للدرس البلاغي وراءها ، فالأولى أن تصرف الهمم وأن توجه الأذهان إلى معرفة المرايا والأسرار الكامنة وراء استعمال الأساليب الإنشائية في الدلالة على هذه المعاني ، والوقوف عليها من خلال سياقات الكلام ومعرفة قرائن أحواله ، لا أن تبدد في اللهث وراء التقاط علاقات لا تنمى ذوقاً ولا تفيد شيئاً . . . قائل قوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يُجَادُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَنُبَلِّغُ فِي النَّارِ خَيْرًا أَمْ نَبَأْتِي آمَنًا يَوْمَ النِّيَامَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ) (١) وقوله صلى الله عليه وسلم : « إذا لم تستحى فاصنع ما شئت » ، وقوله عليه الصلاة والسلام : « لعل الله اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فأني قد غفرت لكم » نجد أن أسلوب الأمر واحد ، اعملوا ما شئتم . .

(١) ارجع إلى هذه العلاقات في شروح التلخيص ج ٢ ص ٣١٣ وما بعدها .

(٢) سورة صافات آيات ١٠

اصنع ما شئت، وعلى الرغم من ذلك اختلفت دلالاته، وهذا الاختلاف مردد إلى السياق ووقوفنا على مرعى الكلام ومغزى الحديث، فالآية تتحدث عن الكفرة الذين ياحدون في آيات الله وتبين أنهم لا يخفون عليه تعالى، فهو عليهم بهم ومصيرهم إلى النار، فليعملوا ما شاءوا، الأمر كما ترى بنبي، بالوعيد والتهديد الشديدين. وكذا الحديث الأول يتحدث عن النبي الذي لا يستحي من الله تعالى، فقوله صلى الله عليه وسلم في خطابه: اصنع ما شئت إنما هو وعيد وتهديد وزجر وتحذير... أما الحديث الثاني فإنه يتحدث عن هؤلاء الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه إنهم أهل بدر، وقول الله لهم: اعملوا ما شئتم، إنما هو وعد ورضا وتيسير ورضوان... مثل هذا هو النبي ينبغي أن تسكرت الجهود لمعرفة والإحاطة به فهو النبي ينمى الأذواق ويصقل الأذهان ويقف الدارس على خبايا التراكيب وأسرارها، ومزاياها الجمالية... أما أن يشغل الدارس بمعرفة أن استعمال الأمر في مقام التهديد، مجاز مرسل علاقته ما بين الطلب والتهديد من شبه التضاد، إذ المسأورة إما واجب أو مندوب والمهدد عليه إما حرام أو مكروه، وأن شبه التضاد هو الذي جوز استعمال الطلب مكان التوعد والتهديد استعمالا مجازيا، فهذا ما أرى أنه لا فائدة من معرفته ولا ثمرة من الوقوف عليه، ولذا ينبغي أن يكون عن البلاغة بمعدل... ومن أجل هذا فضلت القول بأن دلالة أساليب الإنشاء على معانيها البلاغية من مستبعات التراكيب، وأن الواجب على الدارس أن يجد في تذوق تلك المستبعات التي هي سياق الكلام وقرائن أحواله وأن يقف على أسرارها ودقائقها. ومن خلال ذلك يصل إلى المعاني البلاغية التي تفيدها تلك الأسباب... .

• • •

أسلوب النهي : هو كل أسلوب يطلب به التكف عن الفعل على جهة الاستعلاء والإلزام، فيكون من جهة عليا ناهية إلى جهة دنيا منية. وله صيغة واحدة وهي المضارع المقرون بلا الناهية كقولك: لا تصاحب الأشرار لا تفعل السوء، لا تكف عن البذل والعطاء، ومنه قوله تعالى:

( وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمْلَاقٍ تَحْنُ تَرِزُّهُمْ وَهِيَ كُمْ ) (١) .  
وقوله عز وجل : « وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا .. » (٢) .  
وقوله عز من قائل : « تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا .. » (٣) .  
فقد أفاد النهي في الآيات الكريمة طلب الكف عن قتل الأولاد وعن الإفساد  
في الأرض وعن اقتراب حدود الله ، وصيغته كما ترى هي المضارع المقرون  
« بلا ، النامية .. »

المعاني البلاغية التي يفيدها أسلوب النهي : والذي تهتم به الدراسات  
البلاغية ليس هو طلب الكف عن الفعل وهو المعنى الأصلي لتلك الصيغة ،  
وإنما تهتم بمسارها ذلك من معان بلاغية يفيدها أسلوب النهي . وأم  
هذه المعاني :

١ - الدعاء : وذلك عندما تكون تلك الصيغة صادرة من الأدنى إلى الأعلى ،  
كما في قوله تعالى : « رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ  
عَلَيْنَا إِعْرَافًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ  
لَنَا بِهِ .. » (٤) ، فللمقام مقام خضوع وخضوع ، والمؤمنون يبتلون إلى الله  
تعالى بهذا الأسلوب على سبيل التعرض والتذلل ، فالقصود منه الدعاء  
والابتهال .. وسر التعبير بصيغة النهي في مقام الدعاء ، في الآية الكريمة ،  
هو بيان رغبة هؤلاء المؤمنين في أن يتجلى الله عليهم بالرحمة والغفران وإظهار  
كآل خضاعتهم وانذالهم إلى الله جل وعلا .. ومنه قوله تعالى : « رَبَّنَا لَا تُرِغْ  
قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا .. » (٥) ، وقوله تعالى : « رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا »

(٢) سورة الأعراف آية ٥٦ .

(٤) سورة البقرة آية ٢٨٦ .

(١) سورة الإسراء آية ٣١ .

(٣) سورة البقرة آية ١٨٧ .

(٥) سورة آل عمران آية ٨ .



كَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ . . . (١) ، إلى غير ذلك من الآيات التي يتضرع فيها المؤمن إلى الله عز وجل داعياً وراجياً بهذا الأسلوب الذي يصور صدق رغبته وشدة حرصه على أن يحقق الله له دوائه ويحيب طلبه . . .

٢ - الالتئاس : وذلك إذا كان النهي من المساوي والند بدون استعلاء ولا خضوع وتذلل ، كقولك لتفايرك : لا تفعل هذا ، ومنه قوله تعالى : على لسان هارون يخاطب أخاه موسى - عليهما السلام - : « قَالَ : يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ : فَرَّقْتُ بَيْنَ يَدَيَّ إِسْرَائِيلَ وَمَا تَرْتَقِبُ قَوْلِي » (٢) فالنهي في قوله : « لا تأخذ » المراد به : الالتئاس ، لأنه ليس فيه استعلاء وإلزام ، ولا تذلل وخضوع حيث وجه من هارون إلى موسى وهما متساويان في الرتبة والمهولة فهو يلتمس منه بهذا النهي ، عدم إنزال العقوبة به ، فقد خشي إن خرج عليهم أن يتفرقوا ، وفي إشار التعبير بنسبته إلى الام ، يا ابن أم ، على الرغم من كونه أخاه لا به وأمه : استمطاف لموسى وترقيق لقلبه ، والسر البلاغى وراء التعبير بصيغة النهي في مقام الالتئاس ، في الآية الكريمة ، هو إظهار حرص هارون على ترفيق قلب أخيه ، ورغبته القوية الأصيلة في العفو والتسامح فقد كان له عنبر . ومنه قول المتنبي في سيف الدولة :

فـلا تبـلـغـاه ما أقـسـول فـإنـه شـجـاع مـنـى يـدـكر له الطـمـن يـسـتـق

فهو يلتمس من صاحبيه أن يكتبوا من سيف الدولة ما يقوله في وصف شجاعته وحسن بلائه في الحروب ، وقد عر بأسلوب النهي في هذا المقام ، مقام الالتئاس ، إظهاراً لشدة حرصه على كتمان هذا الأمر عن سيف الدولة ، وفي ذلك ما فيه من تهويل وتمخيم لشجاعته وقوة فتك بأعدائه . . . ومنه قول الآخر :

(١) - سورة آل عمران آية ١٩٤ . (٢) - سورة طه آية ٩٤ .

خليل من بين الأخلاء لا تكن حيا لجا أنشروطة من حيا ليا (١)  
فوق يلتبس من خليليه الأثيرين عنده المحبين إلى نفسه ألا تكون مودتهما  
وصلت ما ضيقة واهية ، وقد عبر بأسلوب تنهى إرزا اشد رغبته في أن يتحقق  
له ما يريد من قوة العلة ودرام المودة وتلاحم الروابط بينه وبينهما .

ثم - للنصح والإرشاد : كما في قوله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا  
لَا تَسْأَلُوا عَن أَسْئَاءِ إِن تُبَدَّلَ لَكُمْ تَسْأَلَكُمْ » (٢) ، فليس المراد بالنهي عن  
السؤال في الآية الكريمة : الإلزام وطالب التكف : وإنما أريد به النصح  
والإرشاد ، وقد جاء بصيغة النهي رغبة في الاستجابة والامتثال . .  
ومنه قول أبي العلاء :

ولا تجلس إلى أهل الدنيا وإن خلاق السقاء تعدى (٣)

فوق يتضح مخاطبه ويرشده إلى الابتعاد عن السقاء وأهل الدنيا ، وقد  
عبر بصيغة النهي لبيان رغبته وحرصه على أن يمثل المخاطب ويستجيب  
لنصحه وإرشاده . . .

ع . الحث على الفعل . . كما في قول الخنساء :

أعيتي جوردا ولا تجمدا ألا تبكيان لصخر الندى

فهي تحث عيئها على البكاء وأن تجردا بالدمع وتهملا وألا تبخلا به ،  
فإنهما تبكيان صخر الندى ، والتسير بالأمر والنهي في هذا المقام يظهر شدة  
حزنها ورغبتها القوية في أن يتحقق ما ترده فتقبض عيناها بالبكاء وفاء  
لحق هذا المقام . . ومنه قول إسماعيل صبري :

(١) أنشروطة : واهية غير وثيقة المتد . . .

(٢) سورة المائدة آية ١٠١ .

(٣) الدنيا : جمع دنية وهي العيب والذنب . والمراد بتعدى . تنتقل إلى

من مجالسهم .

لا تقربوا النيل إن لم تعملوا عملاً فآؤه العذب لم يخلق لكسلان

فرو ينهى المصريين عن الشرب من ماء النيل إذا لم يقدموا عملاً عظيماً  
يصبحون به جسديريين أن يشربوا ماءه ، والغرض من النهي هو الحث على  
التقدم والتفاني في سبيل رفعة مصر .

ولإيضاح التعمير بالنون في مقام الحث في البيت ، يبرز حب الشاعر لمصر  
ويصور عاطفته القوية نحو تقدمها ورفقها ، فهو يرى أنه لا يستحق الحياة من  
لا يعمل لرفعة وطنه وينذل جهده لتقدمه وازدهاره .

٥ - التنى : كما في قول الشاعر .

يا ليل حل يا نوم ذل يا صبح فف لا تطلع

فهو يتعنى أن يستسد الليل ويعطول والآن يطالع النهار وذلك حتى يطول  
اجتماعه بحبيبه والتحدث إليها ، ووقوف الصبح وعدم طلوعه من الخيال ،  
ولكن الشاعر لرغبته الشديدة في أن يطول الليل خيل إليه أن توقف الصبح  
وعدم طلوعه أمر ممكن ، فأمره بالوقوف : وقف ، ونهاه عن الطلوع :  
لا تطلع ، ومراده بهذا : التنى ورغبته القوية في الاجتماع بحبيبه والتمتع  
بحدوثها .

٦ - التحقير والإهانة : كما في قوله تعالى : « قَالُوا : اخْسَأُوا فِيهَا  
وَلَا تُسْكِنُوكُمْ فِيهَا ، فَأَلَامُوا النَّبِيَّ فِي آيَةِ الْكُرْسِيِّ بِحَمْلَانِ مَعْنَى الْإِهَانَةِ  
والتحقير لهؤلاء الذين غلبت عليهم شقوتهم في الدنيا وكانوا أقوماً ضالين ،  
ثم جاءوا يوم القيامة يتمنون الخروج من جهنم : « وَرَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنَّا  
عُذْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ » (١) ، فكانت تلك الإهانة : « اخْسَأُوا فِيهَا  
وَلَا تُسْكِنُوكُمْ فِيهَا » .

(١) - سورة المؤمنون آية ١٠٨ . (٢) - سورة المؤمنون آية ١٠٧ .

ومنه قول المطيئة في هجاء الزبرقان بن بدر :

دع المكارم لا ترحل لبعيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

فالمراد بالأمر : ددع واقعد ، والنهي : ولا ترحل ، تحقير المخاطب وإهانته وإظهار أنه ليس أهلاً للكفاح من أجل المكارم والمعالي ، فإليه أنت يقعد وسيأتيه طعامه وكساؤه ممن يحسنون ويتصدقون عليه وعلى أمثاله .

٧ - التوبيخ : كافي قول أبي الأسود الدؤلي :

لأنته عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

فالمراد بأسلوب النهي : ولأنته ، توبيخ من ينهى الناس عن الشر والسيئ ولا ينهى عنه . . . ومثله قول الآخر :

لا تحسب المجد تمراً أنت آكله لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبوا

فالنهي في قوله : لا تحسب ، المراد منه توبيخ من يتقاعد ويتكاسر وهو يطمع في تحصيل المجد ، وفي نفس الوقت فيه حث على العمل والجد لنيل العلاء وتحقيق المجد .

٨ - التهديد : كقول الرئيس مارءوسه : لا نطع امرئ . . . لا نقلع ع

عنادك ، فهو لا يطلب منه ترك الامتناع لأوامره وإنما يهدده ويتوعده .  
ومنه قوله تعالى : « وَآيُنُ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبَاؤُهُمْ وَآبَاؤُهُمْ وَرَسُولُهُمْ كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَتَذَكَّرُونَ . لَا تَتَذَكَّرُونَ أَذْ كُفَرْتُمْ يَمْدًا لِمَعَانِيكُمْ . . . »<sup>(١)</sup> فليس المراد منهم عن الاعتذار والتوبة وإنما المراد التهديد والتحذير حتى يفعلوا عن غيرهم وعنادهم ويسلكوا مسلك الخو والهدى .

٩ - التبيين : كافي قوله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ » (١) فلا معنى لنهيهم عن الاعتذار في ذلك اليوم وإنما هو التيسير ، وإصلاحهم أنه إن يقبل منهم وإن يلتفت إليهم ، فليس أمامهم إلا الجزاء على كفرهم وضلالهم .. ومنه قول المتنبي في مدح سيف الدولة :

لا تطلبن كبرياء بعد رؤيته إن الكرام بأسخام بداختموا  
فقد أراد بالنوى : لا تطلبن ، توبين الخطاب من أن يصل إلى كريم بعد أن رأى سيف الدولة ونال كرمه ، فسيف الدولة أكرم الكرام وأسخى الأسخياء وقد ختم به الكرام ، ومهما حاول الخطاب أن يثر على كريم مثله فلن يفلح ، وفي هذا من المبالغة في كرم سيف الدولة وكثرة عطائه ما ترى .

١٠ - التفظيع والتحويل : بكفرئك : لا تسأل عن فلان وقال الله شر ما أصيب به ... تريد أن فلاناً هذا قد ألمت به الشدائد وأحاطت به المصائب التي لا توصف لشدها رهوطا وفضاعتها ، فليس المراد بأسلوب النهي : لا تسأل ، طلب الكف عن السؤال عنه ، وإنما أريد به التحويل وتفظيع ما ألم به ، كان المنكلم لا يستطيع وصفه ، أو كان الخطاب لا يطيق سماعه أو كان المتحدث مدفوق على مخاطبه فلا يريد إسماءه بإسماعه تلك الأحوال .. ومنه قوله تعالى : « وَلَا تَسْأَلْ عَنْ أَمْثَالِ الْبَعْثِ » (٢) ، في قراءة من قرأ بالنوى وجزم المضارع ، أى : لا تسأل عن فرط ما هم فيه من العذاب وما آل إليه أروم من النكال ، فإنه لا يستطيع أحد أن يصف لك هول ما هم فيه ، أو لا نستطيع أنت سماعه لفضاعته وشداعته .. وقد يكون التحويل في التعميم والخير ، كأن تقول : لا تسأل عن فلان ، ، وتريد فلاناً الذي حل به من الخير والتعميم ما لا يوصف لكثرة ووفرة ..

(٢) سورة البقرة آية ١١٩ .

(١) سورة التحريم آية ٧ .

١١ - وقد ينهى عن الفعل مقيداً بقيد أو موصوفاً بوصف ، ولا يكون الفرض : النهى عن الفعل في هذه الحال بل النهى عن الفعل مطلقاً ، ويكون التييد أو الوصف عندئذ للبيان في التنفير والتحذير كقولك : لا تضيع دينك بكسرة خبز . . لا تضيع حق جارك الصالح ، لا تريد النهى عن ضياع الدين في هذه الحال ، أو عن ضياع حقوق الجار الصالح فقط ، وكأنك تبيح له أن يضيع دينه إذا غلا ثمنه ، وأن يضيع حقوق جاره غير الصالح ، وإنما تريد حثه على التمسك بدينه وحفظه حقوق جاره مطلقاً ، وقد قيدت التضضيع بكسرة الخبز ووصفت الجار بالصالح ، لأن في ذلك مزيداً من التنفير والتفجيع ، والمخاطب عندئذ يكون أكثر استجابة وأسرع انقياداً . . ومن ذلك قوله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ مَضْمَعَةً »<sup>(١)</sup> ؛ وقوله عز وجل : « وَلَا تُسْكِرْهُوا قَتِيلَاتِكُمْ عَلَى الْبَيْتَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِيَبْتِغُنَّ مَرْصَ الْخِيَاةِ الدُّنْيَا . . »<sup>(٢)</sup> ، وقوله جل وعلا : « وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْبَدِيئَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا . . »<sup>(٣)</sup> ، وقوله عز من قائل : « فَإِنْ آتَيْتُمْ مِنْهُمْ زُجْجًا فَأَدِفْتُمُوهُمَا بِأَمْوَالِكُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا . . »<sup>(٤)</sup> ، فالأفعال المنهى عنها في الآيات الكريمة قد قيدت بقبود من شأنها أن تبعث على التنفير وأن تبرز فظاعة تلك الأفعال وشناعتها ، وليس المراد النهى عن الأفعال المذكورة في الحال التي قيدت بها

(١) سورة آل عمران الآية ١٢٠

(٢) سورة النور الآية ٢٣

(٣) سورة النساء آية ٢

(٤) سورة النساء آية ٦

فقط دون ما عداها وإتعا المراد النهى المطلق ، وقد جرى به القيد للتبشيع والتنفير كما قلت . . انظر إلى آية النهى عن الزباء تجد هذا النهى قد قيد بكونه أضعافاً مضاعفة والمراد النهى عن كل الربا مضاعفاً وغير مضاعف، ولكنه جرى بهذا القيد تبشيعاً للصورة وتنفيراً للنفوس . . وتأمل آية النهى عن البغاء ، وانظر كيف اختير الإكراه لينهى عنه : لا تكرر هواه والمراد هو النهى عن البغاء سواء أكان عن طريق إكراه الفتيات أو إقبالهن طواعية ، ثم جرى بهذا القيد : وإن أردن تحصننا ، والفتاة لا تذكره على البغاء إلا إن أرادت التحصن والتعفف ، وكان القيد تأكيداً لإكراه النهى عنه ، وفي هذا مزيد من التقطيع والتنفير ، وتصوير الصورة في أبشع صورها . فتاة تعففت وتحصنت وسيد يكرهها على البغاء على الرغم من عفافها وتحصنها ، تلك هي الصورة المنهى عنها ، وهي صورة تستبشعها النفوس وتستفظها وتنفر منها ، والمراد - كما قلت - هو النهى عن البغاء مطلقاً . .

وتأمل الآيات التي تنازلت تحريم أموال اليتامى في القرآن تجد أن هذا التحريم قد قيد بالأكل : لا تأكلوا ، ولا يعني ذلك أنه يجوز الاستيلاء على مال اليتيم واستخدامه في غير الأكل كالملبس والمشرب والمسكن ونحو ذلك ، وإنما المراد النهى عن الاعتداء على أموال اليتامى بأي وجه من وجوه الاعتداء ، ولكن لما كان العربي يتضمم على البطن وكثرة الأكل وبعد ذلك من البهيمة ، فقد أوتر التبشير بالأكل تفضيلاً وتنفيراً ، وهكذا نجد الآيات التي تتناول تحريم الاعتداء على أموال الغير . . انظر : لا تأكلوا الربا ، . . لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ، . . لا تأكلوا مال اليتيم ، . . فالتبشير بالأكل فيها يفيد التفضيع والتنفير ، والمراد هو النهى عن الاعتداء على أموال الغير بأي وجه من الوجوه . . وعد إلى آيتي أموال اليتامى المدكورتين : ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم . . . ولا تأكلوها إسرافاً وبداراً أن يكرهوا . . تجد أن هذين القيدين : إلى أموالكم ، و إسرافاً وبداراً

أن يكبروا ، قد جمع بهما لزيادة التنفير وإبراز الصورة - صورة الاعتداء على مال اليتيم - في أشجع الصور وأفظعها ، فهذا غنى يضم أموال اليتامى إلى أمواله طمعاً وجشعاً وذلك يسرف ويبادر خشية أن يكبر اليتيم فيأخذ منه ماله... وما جاء على هذه الطريقة في أسلوب الأمر قوله تعالى : « وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّرْئُوفًا... »<sup>(١)</sup> ، فذو القربى عن لارثون وكذا اليتامى والمساكين يعطون قنبراً من الميراث على سبيل التذنب وإرضاء النفس لا على سبيل الوجوب - وهذا مما تهاوت به الناس ولم يلتفتوا إليه - وهذا القدر يعطى لتقريب غير الوارث وللمسكين واليتيم سواء أحضروا القسمة أم لم يحضروا ، وقد قيد الأمر - فإرزقوهم ، بحضور القسمة ليكون ذلك أبعد على الغطاء ، ودافعا أقوى لترضية ذوى القربى غير الوارثين واليتامى والمساكين وإسعادهم والقول لهم قولا مرفوقا... »<sup>(٢)</sup>

أساليب الاستفهام : الهمزة والسين والتاء إذا زيدت في الفعل الثلاثي ، أفادت معنى الطلب ، يقال : استزاد أى : طلب الزيادة ، واستغفر : طلب المنفرة واستفهم : طلب الفهم ، فالاستفهام بمعنى طلب الفهم ، ولذا قالوا في تعريفه : الاستفهام هو طلب العلم بشئ لم يكن معلوما من قبل بأدوات خاصة... وهذه الأدوات هي : الهمزة وهل ومن وما وكيف ولم واين وأيان ومتى وأنى وأى... وقد عرفت أن الجملة الخبرية التي تدخل عليها هذه الأدوات تتكون من أجزاء هي المسند والمسند إليه وأحد المتعلقات ، وبضم هذه الأجزاء وإسناد بعضها إلى بعض تتكون الجملة التي تفيد حكما معينا بهذا الضم أو بذلك الإسناد ، وعندما تدخل هذه الأدوات على الجملة الخبرية يكون الاستفهام بها عن أحد أمرين : إما عن النسبة أى : الإسناد أو الحكم المنقاد من الجملة

(٢) ارجع إلى دلالات الترا كيب ص ١٧٦

(١) سورة النساء آية ٨



ويسمى ، تصديقا ، وإما عن أحد أجزاء الجملة ويسمى ، تصورا ، . . .  
فالتصديق هو إدراك النسبة بين الشئين ثبوتا أو نفيا . . . والتصوير هو إدراك  
أحد أجزاء الجملة ، المسند أو المسند إليه أو أحد المتعلقات . . . وأدوات  
الاستفهام بحسب المستفهم منه ثلاثة أنواع :

١ - ما يطلب به التصور تارة والتصديق تارة أخرى ، وهو الهمزة  
وحدها . . .

٢ - ما يطلب به التصديق فقط ، وهو هل . . .

٣ - ما يطلب به التصور فقط ، وهو بقية الأدوات . . .

ولهذا كان لبناء جملة الاستفهام مع ، الهمزة وهل ، من روابط واعتبارات  
دقيقة ينبغي الوقوف عليها والإحاطة بها ، أما بقية الأدوات فللكره لطلب  
تصور أشياء محددة ، فإنهم لا يلتزمون في بناء الجملة معها شيئا زائدا عن  
الضبط العام في النظام الإعرابي ووجوب تصدر هذه الأدوات . . .

وإليك إيضاح بناء الجملة مع الهمزة وهل وبيان ما يسأل عنه بقية  
أدوات الاستفهام . . .

الهمزة : ويطلب بها إما التصديق ، أى : إدراك النسبة الواقعة بين  
الطرفين ثبوتا أو نفيا ، وذلك عندما يكون السائل عالما بأجزاء الإسناد ،  
ويجهل الحكم أو مضمون الجملة ، فهو يسأل ليقف على هذا الحكم . . .  
وإما التصور ، أى : إدراك أحد أجزاء الجملة عندما يكون السائل عالما  
بالحكم ولكنه يجهل أحد أجزاء البناء ، فإذا كانت الهمزة لطلب التصديق ،  
كان جواب الاستفهام ، بنعم أو لا ، ، ولا يذكر معها مماثل ، ويليهما غالبا  
القول إن وجد . . . تقول : أتجرح خالد . . . عمرو وشجاع ؟ إذا كنت تتصور  
أجزاء الكلام : ، تجرح وخالد وعمرو وشجاع ، وتتصور النسبة بين أجزائه  
أى بين تجرح وخالد ، وبين عمرو وشجاع ولذلك تجمل وقوع هذه النسبة ،

أواقعة هي وعميقة أم غير واقعة ، ولذا يجاب سؤالك بنعم أو بلا ، أى بتحقيق هذه النسبة ووقوعها أو بعدم تحققها . . ومن ذلك قول الشاعر :

أترك إن قلت دراهم خالد زيارته ؟ إنى إذا للثيم

فالجواب هنا بالنفى أى : دلا ، لأن أترك زيارته إن قل ماله ، لأن السؤال من التصديق ، إذ المتكلم يعرف الفعل ويتصور الفاعل وهو المتكلم نفسه ويعلم المفعول وهو زيارة خالد . كما أنه يتصور النسبة بين تلك الأجزاء ، ولكنه يتساءل أتقع مثله أم لا تقع . . فإن ذكر المعادل ، أم ، بعد همزة التصديق هذه ، كانت أم منقطعة بمعنى بل وكانت بعدها همزة أخرى مقدره ، كما فى قول الشاعر :

ولست أبالي بعد فقصدى مالكا

أموتى ناه أم هو الآن واقع

فالسؤال بالهمزة عن النسبة و ، أم ، للإضراب عن الكلام السابق ، أى : عن هذا التساؤل ، وبعدها همزة مقدره يسأل بها سؤال آخر والمعنى : أموتى ناه ؟ بل هو الآن واقع ؟ . . . وإذا كانت الهمزة للتصور وجب أن يليها المستفهم عنه . . ويذكر للمستفهم عنه - غالبا - معادل بعد و أم ، المتصلة وقد يستغنى عن ذكر المعادل إذا وجد ما يدل عليه . . ولا يكون جواب الاستفهام عندئذ بنعم أو بلا ، وإنما يكون بتعيين المستفهم عنه . . تقول فى السؤال عن المعادل : أحمد جاء أم عمرو ؟ فيكون الجواب : محمد أو عمرو أى بتعيين من جاء منهما ولا يقال عندئذ نعم أو دلا . . وفى السؤال عن الفعل أجاه محمد أم خلف ؟ فيقال : جاء أو تخلف وعن المفعول : أعمراً ضربت أم زيداً ؟ فيجاب : عمراً أو زيداً وعن الظرف : أنى البيت زارك عمرو أم أم فى المدرسة ؟ فيجاب : فى البيت أو فى المدرسة . . . وقد يستغنى عن المعادل

إذا دل عليه دليل ، كما في قوله تعالى : « قَالُوا : أَنْتَ قَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ؟ » (١) فالسياق وقرائن الأحوال تدل على أن المسئول عنه هو الفاعل ، حيث أشاروا إلى الفعل « هذا » ، فهو معلوم لهم ، وهم يشاهدون الأصنام محطمة ويجهلون الفاعل ، ولذا ولي الفاعل الهمزة « أنت » ، والمعنى : أنت فعلت هذا أم غيرك ؟ ، وقد أنجاهم - عليه السلام - معينا لهم الفاعل على سبيل التهمك : « بَلْ قَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ » (٢) .

وينبغي أن يراعى عند ذكر المعادل بعد « أم » ، المتصلة أن يكون موافقاً لما بعد الهمزة والالتفات مع « على نحو ما ترى في الآيات الكريمة »  
 « يَا صَاحِبِي الشَّجَرِ الْأَرْبَابِ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ؟ »  
 « أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمْ آتَىكَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَمْدًا ؟ » ، « قُلْ أَنْتُمْ أَهْلُ أَمْ أَمْ اللَّهُ ؟ » ، « أَهْمٌ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبْعِثُ » ، « لِيَبْلُوَنِي الْأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ؟ »  
 حيث تجد أن ما بعد « أم » ، عائل لما بعد الهمزة . . ولذا كان من الخطأ أن تقول : أزيدا أكرمت أم أهنت . . أأكرمت زيدا أم عمرا . . أجاهك خالد أم علي . . لتناقض ما بعد الهمزة مع ما بعد « أم » ، المتصلة ، وهو ليس تناقضا في تركيب العبارة لحسب ، بل تناقض واضطراب في الإدراك والوعى ، إذ تقديم المفعول مثلا في قولك : أزيدا أكرمت ؟ يعني : بأنك تجهل المفعول وتتصور الفعل وهو الكرم والفاعل وهو المخاطب ، فلو قلت بعد ذلك : « أم أهنت » ، أو قلت : « أم خالد » ، بالرفع تناقضت العبارة وتناقض فهمك واضطرب إدراكك لما تقول . . . . . وعليك أن تعلم أن الفعل إذا حدد وعين كان الشك في الفاعل والجهل به كقولك : أنت بنيت هذه الدار ؟ ولا يصح قولك : أبنيت هذه الدار ؟ ، لأن تحديد الفعل وتعيينه بالإشارة إليه يجعله معلوماً ويجعل الشك في الفاعل ، وتقديم الفعل وإيلاء الهمزة يعني ذلك

(١) - سورة الأنبياء آية ٦٢ .

(٢) - سورة الأنبياء آية ٦٣ .

( ٨ - علم الثاني ج ٢ )

ويجعل الشك في الفعل وهذا تدافع وتناقض ، فإذا أردت الاستفهام عن  
الفعل ينبغي عليك ألا تحدد ، بل اتركه بلا تحديد كأن تقول : أبنيت الدار  
التي كنت على أن تبنيها . . . أقلت الشعر الذي عرمت على قوله ؟ . . . ولا يصح  
أن تسأل عن فاعل هذا الفعل غير المحدد فلا تقول : أأنت بنيت الدار التي  
كنت على أن تبنيها ؟ . . . أنت قلت الشعر الذي عرمت على أن تقوله ؟ . . .  
لأن تقديم الفاعل يدل على أن الفعل قد وقع والمطلوب معرفة فاعله ، وقولك :  
التي كنت على أن تبنيها . . . الذي كنت على أن تفعله ، يدل على أن الشك في  
الفعل . . . وهذا تناقض .

فالسؤال عن الفاعل يقتضى بالضرورة معرفة فعل محدد معين حتى يقال  
في الجواب : فعله فلان ، ، ولا يعقل أن يسأل عن فاعل فعل غير محدد ،  
فلا يقال : أنت أكلت طعاماً ؟ . . . أنت رأيت اليوم إنساناً ؟ . . . أنت قلت  
شعراً ؟ وإنما يسأل في مثل هذا عن الفعل فيقال : أأكلت طعاماً ؟ . . . رأيت  
اليوم إنساناً ؟ . . . أقلت شعراً ؟ . . .

هذا وقد ذكر سيبويه أن قولك : أزيد عندك أم عمرو ؟ أزيدا لقيت أم  
بشرا ؟ أفضل وأحسن . فإن قلت : أزيد عندك زيد أم عمرو ، أقيت زيدا أم  
بشرا ؟ كان حسنا جازراً . . . وهذا الذي ذكره سيبويه يتناقض مع ما قاله  
البلاغيون ؛ لأنهم أوجبوا إنباء المستفهم عنه الهمزة - كما رأيت - وسيبويه  
يجوز تأخيرها ، بل يمدده حسنا . . .

ويمكن أن يجاب عن ذلك بأن ما أجازته سيبويه كان في مراحل سابقة  
اللغة فيها تنمو ، والتراكيب تتطور ، ثم إن الترقى في التراكيب الهادف إلى  
تغمية الصياغة قد تجاوز ذلك إلى الصورة المنضبطة التي قررها البلاغيون  
ورفضوا ما عداها بما أجازته سيبويه واستحسنه ، وإشارة سيبويه إلى أن هناك  
تركيبين يفيدان هذا المعنى أحدهما أفضل من الآخر وأحسن ، توحى بصحة

هذه الإجابة (١) . .

وقد يكون السؤال بالهمزة عن الفعل وبلى الهمزة غيره لغرض بلاغى وهو المبالغة في الإنكار ، وتأكيد الردع والزجر ، وذلك عندما بلى الهمزة أو يعطف على ماولياها الفاعل أو المفعول أو الظرف الذى ليس للفعل غيره ، كقولك : أفى ليل وقع هذا أم فى نهار ، فانت لانسأل عن الظرف ، وإنما تذكر وقوع الفعل ، ولم بلى الفعل الهمزة كما ترى ، بل وليها وعطف على ماولياها الظرف الذى ليس للفعل ظرف سواء ، فإذا ما انتفى الظرف الذى لا ظرف يقع فيه الفعل غيره ، كان هذا أبلغ فى انتفاء الفعل ، وأشد إنكاراً وأقوى ردعاً لمن يدعى وقوعه . . ومن ذلك قوله تعالى : « قُلْ أَلَّا كَرِهْتُمْ حَرَّمَ أُمُّ الْأَنْثَيْنِ أَمْ مَا شَتَمْتُمُ عَلَيْهِنَّ أَرْحَامُ الْأُنثَيْنِ .. » (٢)

وقوله عز وجل : « قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آلَّهُ أَدْأَىٰ كَرِهْتُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ أَنْتُمْ تَكْفُرُونَ » (٣) :

فالمعنى هل إنكار ، التحريم ، و الإذن ، وقد بلى الهمزة غيرهما مبالغة فى الإنكار والزجر ، لأنه إذا انتفى المفعول الذى ليس للفعل مفعول غيره ، فى الآية الأولى ، والفاعل الذى ليس للفعل فاعل سواه فى الآية الثانية ، كان ذلك أبلغ فى انتفاء الفعل ، وأشد ردعاً وأقوى زجراً لمن ادعى وجوده وثبوته (٤) .

هل : - أما د هل ، فإنها لطلب التصديق لحسب ، تقول : هل قام زيد ؟ ، وهل عمرو ناجح ؟ ، فتسأل عن نسبة القيام للأول والنجاح للثانى ، ولذا

(١) ارجع الى دلالات لئرا كتيب ص ٢١٩ .

(٢) سورة الانعام آية ١٤٣ .

(٣) سورة يونس آية ٥٩ .

(٤) انظر دلالات الإعجاز ص ١٤٧ .

يكون جوابك: نعم أولا ، أى : بإفادتك ثبوت النسبة أو نفيها ... ولما كانت  
هـ ، اطلب التصديق لحسب : فقد ترتب على ذلك ما يلي :

١ - امتناع أن يذكر بعدها معادل ، بأم ، المتصلة ، فلا يقال: هل زيد  
قائم أم عمرو ؟ ، لأن هـ ، تدل على أن مضمون الجملة ، هو النسبة غير  
معلومة وأن السؤال عنها ، ووفوع المفرد بمسند د أم ، دليل على أن ، أم ،  
متصلة ، ، وأم ، المتصلة تدل على أن مضمون الجملة معلوم وأن المطلوب هو  
تعيين أحد الأمرين : المفرد الذى قبلها أو المفرد الذى بعدها ، والسؤال عن  
ذلك إنما يكون بجزء التصور : أزيد قائم أم عمرو ؟ فالجمع بين هـ - هـ - هـ ،  
وهـ أم ، المتصلة فى مثال واحد يودى إلى التناقض .. ويصح اجتماع هـ ، هل ،  
وهـ أم ، المنقطعة ، لأنها بمعنى بل ، فالكلام بعدها مستقل عما قبلها ..

ومن ذلك قول الشاعر :

ألا ليت شعرى هل تغيرت الرحا

رحا الحرب أم اضحت بفالج كما هي

د قام هـ فى البيت منقطعة وقد ذكرت بعد هل - كما ترى - والمعنى : هل  
تغيرت الرحا : رحا الحرب ؟ بل اضحت بفالج كما هي ؟ ، فهما كلامان ..

فإن وردت د أم ، بعد هـ ، هل ، وكان بعد د أم ، المفرد ، وجب تأويله  
بالجملة وجعل أم منقطعة للإضراب مع استفهام آخر مقدر ، من ذلك ما روى  
أنه صلى الله عليه وسلم قال لجابر : د هل تزوجت بكرا أم ثيبا ؟ ، فالمعنى :  
بل هل تزوجت ثيبا ؟ ، وإذا لوقبل فى المثال المذكور : هل قام زيد أم عمرو ؟  
لأن المعنى : بل هل قام عمرو ؟ لجاز ذلك وصح ...

٢ - يفتح استعمال هـ ، فى كل تركيب يتقدم فيه المستند إليه على الخبر  
الفعلى أو المفعول على الفعل كقولك : هل زيد قام ؟ وهل زيد أكرمست ؟  
ووجه فتحه عند الجمهور ، أن التقديم فى هذين المثالين ، قد يكون للاختصاص ،

والاختصاص يقتضى وقوع النسبة والعلم بها ، وأن المراد هو السؤال عن  
الفاعل أو المفعول ، وهل لا يوقى بها لهذا ، بل هي التصديق ، أى طلب العلم  
بالنسبة ، فإذا كانت النسبة معلومة ، عند دلالة التقديم على الاختصاص ،  
كانت هل لطلب جسرل الحاصل ، وهذا عيب .. وظاهر هذا الوجه المنع  
ولكنهم عدوه قبيحا لاحتمال أن يكون التقديم مجرد الاهتمام بالمقدم ،  
لا للتخصيص الذى يقتضى العلم بالنسبة ، أو لاحتمال تقدير فعل محذوف دل  
عليه المذكور فعل الاحتمال الأول وهو جعل التقديم مجرد الاهتمام بالمقدم  
يكون على خلاف الغالب ، إذ الغالب فى تقديم المفعول على الفعل أو المسند  
إليه على خيره الفعلى أن يكون للتخصيص ومخالفة الغالب قبيحة وعلى الاحتمال  
الثانى ، يكون الفعل الظاهر قد منع من العمل بلا شاغل منه وذلك قبيح ..  
ورجح العلامة سعد الدين أن وجه عدم امتناعه هو الاحتمال الثانى دون  
الأول ، لأننا لو قلنا إن التقديم فى : هل زيد قام وهل زيدا أكرمت للاهتمام ،  
لم يكن هنالك وجه لعدوه قبيحا ، وإلا للزم أن يكون التقديم للاهتمام قبيحا  
مطلقا ولا قائل به (١) ..

وأما قولك : هل زيدا أكرمته ؟ فهو صحيح لا قبيح فيه ، لأن الفعل هنا  
مشغول عن الاسم المنصوب بضميره ، والكلام على تقدير فعل محذوف هو  
الناصب لزيد ، ويكون هذا الفعل مقدما على المنصوب ، وبهذا تكون هل قد  
ولها الفعل ، فلا قبيح ..

وكما يقبح دخول هل على المعرفة وبعدها فعل ، فإنه يقبح دخولها على  
النكرة المتلوة بفعل نحو : هل رجل سافر ؟ لنفس الأسباب المذكورة ..  
والقبح هنا فى تقديم النكرة باتفاق البلاغيين ، لأنه يفيد الاختصاص على  
مذهب السكاكى ، إذ يرى أن الأصل : هل سافر رجل ، فرجل فاعل فى المعنى ،

إذ هو يدل من الضمير المستتر في سائر ، وقد قدم من تأخير ، أما قوله : هل زيد قام بالتقديم فيه لا يفيد الاختصاص على مذهب السكاكي ، لأنه ليس مقدما من تأخير ، ولو تأخر لسكان فاعلا في اللفظ لاقى المعنى ، فلم يتوفر الشرطان اللذان ذكرهما لإفادة التقديم الاختصاص ، كانوا في تقديم المذكرة ، فكان يلزم ألا يكون تقديم المعرفة في : هل زيد سافر ، قبيحا على مذهب السكاكي حيث جعل علة القبح التقديم المفيد للاختصاص ، ولكن هذا التقديم قبيح بإجماع النحاة . . . فهل هناك تعليل آخر لهذا القبح المجمع عليه لا يرتبط بدلالة الاختصاص التي لم يقرها السكاكي ؟ نعم هناك تعليل آخر - وإن لم يذكره السكاكي - يرجع إلى طبيعة هل وأصاها ، لا إلى دلالة الاختصاص التي يحتملها التقديم ، فقد قالوا إن دهل ، في الأصل بمعنى قد ، وكانت ترد مسبوقة بالهمزة فيقال : أهل جاء زيد . . . ومن ذلك قول خطام المجاشعي :

أهل عرفت الدار بالفرّيين لم يبي من أي بها يحلّين<sup>(١)</sup>

وقول الآخر :

سائل فوارس يربوع بشدتنا أهل رأونا بسفح القاع ذي الأكم<sup>(٢)</sup>

قلنا طالت ملازمتها الهمزة تشربت منها معنى الاستفهام ، ولما كانت كذلك وبقيت هل دالة عليه ، ولما كانت قد لا تدخل إلا على الأفعال ، كانت كذلك دهل ، التمر بمعناها . . .

وعلى ذلك إذا وجد الفعل في التركيب ، وجب مراعاة معنى دهل ،

---

(١) الفرّيان . بنامان طويلان هما أبر مالك وعقبيل نديعى جذبة الأبرش وسما بالفرّيين ، لأن قنمان بن اللند كان يربو ما يدم من يثقه يوم يؤم . . انظر لسان العرب مادة : غراس ٣٢٥٠

(٢) الأكم : الموضع الذي يكون أشد ارتقاها بما خوله . .



الأصلي في لزوم إيلائها الفعل ، وإن لم يوجد الفعل أصلا في التركيب ،  
روعي في « هل » معنى الاستفهام الذي استمدته من الهذرة ، فيجاز دخولها  
على الاسم ، ولذا لا يقبح أن يقال : هل زيد قائم ؟ وإنما يقبح أو يمتنع نحو  
قولك : هل زيد قام ؟ .. والفرق بين التركيبين ، أنها إذا رأيت الفعل في جبرها  
تذكرت عهداً بالحى وحضت إلى الإلف للمألوف وعاقبته ولم ترضى بانفراق  
الاسم بينهما . بخلاف ما إذا لم تره في جبرها فإنها تنسلي عنه ذاهلة (١) . .

هكذا ونجد أن ما يقبحه البلاغيون والتمسوا الحال المذكورة في بيان  
وجه قبحه . نجده برد في كلام أهل الفصح من الشعراء ، كما في قول  
عاقبة الفحل :

هل ما علمت وما استودعت مكتوم      أم حبلها إذ تأنك اليوم مصرور  
أم هل كبير يسكى لم يقض عبرته      إثر الاحبة يوم البين مشكور  
وقول ابن الرومي في رثاء ولده :

هل العين بعد السمع تسقى مكانه      أم السمع بعد العين يودي كما تهدي

بل نراه قد ورد في آي الذكر الحكيم في قوله تعالى : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ  
اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ  
وَالْأَرْضِ ؟ .. » (٢) ، ولهذا كان ينبغي ألا يصف البلاغيون تلك التراكيب  
بالقبح ، بل الأول أن يقال : إنها قليلة ونادرة ، فإنه إذا جاز أن نصف ما ندر  
فروده على السنة البشر بالقبح والكدارة ، فلا يجوز أن نطلق ذلك على ما ورد  
في القرآن الكريم . بل ينبغي الاحتراس وتنزيه أساليب القرآن الكريم عن  
مثل هذه الأوصاف (٣) .

(١) انظر للطول ص ٢٢٩

(٢) سورة فاطر آية ٣

(٣) ارجع إلى أساليب الاستفهام في القرآن ص ٧

ومن خصائصه هل ، أنها إذا دخلت على الفعل المضارع خلصته للاستقبال ، ولذا لا يجوز أن تقول : هل يقوم زيد الآن ، لأن في ذلك تداعيا في بناء الجملة ، إذ هل ، تمحضها للاستقبال والتقيد بلفظه الآن ، يجعلها للحال ، وكأنك تقول : هل يقوم بعد الآن ، ثم تقول : الآن ، وهذا تناقض واضطراب وكذا إذا قلت فرينة حالية على أن المضارع مراد به الحال ، كقولك : هل نسي إلى صاحبك ؟ إذا دل الحال على وقوع الإساءة ، ولهذا لا تقع هل موقع الحمزة في مثل قوله تعالى : « أَنْزَلْنَا مُسْكِوَهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ »<sup>(١)</sup> ، وقوله عز وجل : « قَالَ : أَتَعْجِدُونَ مَا تَنْجِحُونَ .. »<sup>(٢)</sup> ، وكل ما دل فعله على الحال . .

وهذا الذي قاله البلاغيون زراه منخرما ، إذ نجد في كثير من آيات الذكر الحكيم دخول هل على المضارع والقرائن تدل على أن المضارع أريد به الحال . .  
تأمل الآيات السكرية : « هل تَنفِقُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ .. »<sup>(٣)</sup> . . « وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ : هل يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا .. »<sup>(٤)</sup> . . « قُلْ هل يَسْتَعْوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هل يَسْتَعْوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ .. »<sup>(٥)</sup> . . « وَكَمْ أَخْلَاكُنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَوْمٍ هل نَحْسُ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْوًا .. »<sup>(٦)</sup> . . « وَأَزَلَّتِ الْجَنَّةُ لِلتَّغْيِينِ وَبُرُزَّتِ الْجَنَّةُ لِلنَّارِ وَالنَّارِ : ابن ما كنتم تنبئون من دون الله هل يَهْمُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ ؟ فَكُتِبَ عَلَيْهَا فِيهَا هُمْ وَالنَّارُ وَالنَّارُ .. »<sup>(٧)</sup> . . « قُلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ

(٢) - سورة لقمان آية ٩٥

(٤) - سورة التوبة آية ١٢٧

(٦) - سورة مريم آية ٩٨

(١) - سورة هود آية ٢٨

(٣) - سورة النائدة آية ٥٩

(٥) - سورة الفرقان آية ١٦

(٧) - سورة الشعراء آية ٩ - ٩٤

بأقوية<sup>(١)</sup>، قيامان النظر في هذه الآيات الكريمة، وغير ما كثير نجد أن المضارع بعد «هل» قد أريد به الحال، ولم تتمحض دلالة للاستقبال.. ولذا كان ينبغي ألا يبقى ذلك على القطع والإطلاق، بل على الغالب والاحتمال فيقال مثلا: إن «هل» إذا دخلت على الفعل المضارع فإنه - غالبا - يراد به الاستقبال، وقد يراد به الحاضر، أما القطع بأنها تمحض للاستقبال، فهو مردود بنحو الآيات الكريمة التي أشرفنا إليها<sup>(٢)</sup>..

وبما تقدم يتضح لك أن «هل» لها مزيد اختصاص بالأفعال، وأن ذلك يرجع إلى الأمور الآتية:

١ - أنها في الأصل بمعنى «وق»، وقد لا تدخل إلا على الأفعال، فكذلك ما هو معناها..

٢ - تأثيرها في بعض أنواع الفعل وهو المضارع بتخليصه - غالبا - للاستقبال..

٣ - اختصاصها بطالب التصديق وهو إدراك النسبة، وهذا بطبيعته يتوجه إلى المعاني لا إلى الأفراد، أي: إلى الفعل دون الاسم؛ لأن الحكم بالكبريت أو الانتفاء يتوجه إلى الحدث الذي هو جزء من مفهوم الفعل، إذ الفعل حدث وزمن..

ولسكون «هل» لها مزيد اختصاص بالأفعال، فإنه لا يعدل عن الفعل إلى الاسم بعدها إلا لنسكتة بلاغية.. وهي أن يجعل ما يحدث ويتجدد الذي هو مفاد الجملة الفعلية، أو يجعل ما سيوجد باعتبار «هل»، تخلص المضارع في الغالب للاستقبال، في معرض المكان الحاصل الذي هو مفاد الجملة الاسمية، اهتماما بشأناه واعتناء بأسره، وذلك بناء على قول البلاغيين: إن الجملة الفعلية

(١) سورة العنقبة آية ٨.

(٢) انظر أساليب الاستهزام في القرآن ص ٩٤

تفيد التجدد والحدوث، والجملة الاسمية تفيد الثبوت والدوام.. تأمل قوله تعالى :  
 « وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِيَحْمِيَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ قَوْلٌ أَنْتُمْ  
 شَاكِرُونَ ؟ » (١) ، وقوله مزوجل : « قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَا إِلَهُكُمْ  
 إِلَهٌ وَاحِدٌ قَوْلٌ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ » (٢) ؟ تجد أن قوله : « فهل أنتم شاكرون ،  
 » فهل أنتم مسلمون ، أدل على طالب حصول الشكر والإسلام من قولك :  
 فهل تشكرون ؟ فهل تسلمون ؟ أو فهل أنتم تشكرون ؟ فهل أنتم تسلمون ؟ وذلك  
 لأن الجملة الاسمية تفيد التوكيد وتدل على معنى أقوى مما تدل عليه الجملة الفعلية ،  
 ولأن إبراز ما يحدث ويتجدد في مرض الحاصل الثابت أقوى دلالة على  
 الاهتمام بشأته وكال العناية بحصوله من إبقائه على أصله .. وكذا من قولك :  
 أفأنتم شاكرون ؟ أفأنتم مسلمون ؟ ، وإن كانت صيغته للثبوت - كما ترى - ،  
 لأن « هل ، نزاعة إلى الفعل وأدعى له من الهمزة ، فتركه معها أدل على كمال  
 العناية بحصوله وشدة الاهتمام بوقوعه ... »

ولهذا قال البلاغيون : إن قولك : هل زيد ، منطوق ؟ أقوى دلالة على  
 طلب حصول الانطلاق والاهتمام بوقوعه من أن نقول : أزيد منطوق ؟ ..  
 وقالوا : إن العذر من الهمزة إلى « هل ، في مثل هذا المثال ، لا يحسن إلا من  
 من البليغ . لأنه هو الذي يلتفت إلى تلك الدقائق ويراعى هذه الشكاك  
 البلاغية ويقدر على تطوير الكلام وتكليف المبارات وصياغتها على حسب  
 ما يقتضيه المقام ..

ومن الفروق الدقيقة بين الهمزة وهل : أن الهمزة لا يستفهم بها حتى  
 يهجن في النفس إثبات ما يستفهم عنه ، فأن لا نقول : أجاه عمرو ؟ إلا ولديك  
 شعور قوى بحقيقته ، أما هل فإنه لا يترجح فيها الإثبات ولا النفي ، فعندما نقول : هل

(٢) سورة الأنبياء آية ١٠٨ .

(١) سورة الأنبياء آية ٨٠ .

جاء عمرو؟ لا يكون لديك ترجيح لمجيئه أو عدم مجيئه ، فالنسبة المطلوبة بالهدوء يترجح فيها لدى السائل إثباتها ووقوعها ، ويكون عنده هذا اجس قربة ترجح الإثبات على النقي ، أما النسبة المطلوبة بهل فلا يترجح فيها إثبات ولا نقي (١) .

وبقية أدوات الاستفهام للتصور لحسب ، فيسأل بها عن معانها ، ويكون الجواب عنها بتعيين المستفهم عنه ، وإذا لا يلتزم في بناء الجمل معها سوى الضبط العام في النظام الإعرابي لصياغة الجمل ، مع مراعاة مصدر تلك الأدوات ، فليس وراء بناء الجمل مع تلك الأدوات دقائق ينبغي مراعاتها ، كما هو الحال بالنسبة للمهزة ود هل ..

فن : يطلب بها تصور من يعقل أو من يعلم ، كقولك : من عندك ؟ من فتح بلاد الأندلس ؟ فيقال في الجواب زيد والقائد البطل طارق بن زياد .. ولك أن تقول في جواب الأول العالم الصادق .. وفي جواب الثاني : القائد البطل الذي لا تخفى على أحد بطولاته وتفانيه في نشر دين الله .. أى أن الجواب يكون إما بذكر الذات المستفهم عنها ، وإما بذكر الأوصاف الخاصة بالمستفهم عنه ، المشخصة له ..

ومن ذلك قوله تعالى : « قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ ؟ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ » (٢) ، فقد أحاب موسى - عليه السلام - ببيان الصفات الخاصة برب العزة المنفرد بها سبحانه وتعالى .. وانظر في قوله عز وجل : « قَالُوا : مَنْ قَتَلَ هَذَا بِأَلْمَتِنَا إِذْ هُوَ مِنَ الظَّالِمِينَ . قَالُوا : سَمِعْنَا فَتًى يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ . » (٣) ، وقوله عز من قائل : « قَالُوا مَاذَا فَعَلْتُمْ كَبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا : مَنْ أَشَدُّ مَقَامَةً ؟ أَوْ لَمْ

(١) ارجع إلى أساليب الاستفهام في القرآن ص ٨٩ .

(٢) سورة طه آية ٤٩ - ٥٠ . (٣) - سورة الأسماء آية ٨٨ ، ٩٠ .

يَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً . . .» (١) وواضح في الآيتين أن الجواب قد اشتمل على ذكر الذات للاستفهام عنها . . .

وما : يستفهم بها عن غير المتكلم ، فيطلب بها بيان الذات كقوله تعالى : « وَمَا نِلَّكَ يَمِينُكَ يَا مُوسَى ؟ » قَالَ : هِيَ عَصَايَ أَنزَلْتُ بِهَا عَلَيْهَا وَأَمْشِي بِهَا عَلَى غَدِيهِ وَلِيَّ فِيهَا مَتَّارِبٌ أُخْرَى . . .» (٢) ، وقوله تعالى : « إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ : مَا تَعْبُدُونَ ؟ قَالُوا : نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَنْظُرُ إِلَيْهَا عَاكِفِينَ » (٣) . . . كما يطلب بها بيان حقيقة للمسمى وصفته كقولك : ما زيد ؟ فيجواب عالم أو طويل ومنه قوله عز وجل : « مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ؟ قَالُوا : وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَاكِفِينَ » (٤) .

وقوله تعالى : « قَالَ فِرْعَوْنُ : وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ؟ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ » (٥) .

فالمراد بالاستفهام في الآيتين بيان حقيقة للمسمى وصفته التي يعرف بها وقد جاء الجواب على خلاف ما يقتضيه الاستفهام في الآية الأولى ، وعلى خلاف ما يريد السائل ويتوقع في الآية الثانية (٦) . .

ويطلب بها أيضا إيضاح الاسم نحو : ما المسجد ؟ فيجواب : الذهب . . متى : ويستفهم بها عن الزمان ما ضياعا كان أو مستقبلا ، كقولك : متى حضرت ؟ ومتى تسافر ؟ ومنه قوله تعالى : « وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ » (٧) .

- 
- (١) سورة فصلت آية ١٥ .  
 (٢) سورة طه آية ١٧ .  
 (٣) سورة الشعراء آية ٧٠ .  
 (٤) سورة الأنبياء آية ٥٢ .  
 (٥) سورة الشعراء الآيات ٢٣ ، ٢٤ .  
 (٦) ارجع إلى أساليب الاستفهام في القرآن ص ٣٠٩ .  
 (٧) سورة يس آية ٤٨ .

أَيَّانَ : وَيَسْتَفْهَمُ بِهَا عَنِ الزَّمَانِ الْمُسْتَقْبَلِ وَتَسْتَعْمَلُ فِي مَوَاضِعِ التَّضْيِيقِ  
وَالْتَهْوِيلِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : « يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ » (١)

أَيِّنَ : وَيَسْأَلُ بِهَا عَنِ الْمَسْكَانِ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : « فَإِذَا بَرِقَ الْبَعْثُ ، وَخَسَفَ  
الْقَمَرُ ، وَجِجَعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ . يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيِّنَ النُّفُوسُ ؟ » (٢)

كَيْفَ : وَيَسْأَلُ بِهَا عَنِ الْمَلَالِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : « كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ  
وَكَنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّعُكُمْ .. » (٣)

أَيُّ : وَتَسْأَلُ بِهَا عَنِ كَيْفِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : « قَالَ رَبُّ أَيُّ يَسْكُونُ لِي  
غَلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ وَأُمِرْتُ أَنْبِي عَائِقَةٌ » (٤)

وَعَنَى مِنْ أَيِّنَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : « قَالَ : يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكَ هَذَا » (٥)

وَعَنَى مَعَى كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : « نَسِئُوا لَكُمْ كِتَابًا فَآتُوا حَرَمَكُمْ  
أَيُّ شَيْئًا » (٦) (فَأَيُّ) فِي آيَةِ الْكُرْبَةِ مَحْتَمِلُ الْمَعْنَى الثَّلَاثَةَ ، أَيُّ : مَعَى

شَيْئًا وَكَيْفَ شَيْئًا وَمِنْ أَيِّنَ شَيْئًا ، عَلَى أَنْ يَكُونَ الْإِيْتِيَانُ فِي مَوْضِعِ الْحَرْثِ ..

كَمْ : وَيَسْتَفْهَمُ بِهَا عَنِ الْعَدَدِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : « قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ : كَمْ  
كَيْتَبْتُمْ قَالُوا : لَيْدْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ .. » (٧) ...

ومنه قول الفرزدق يهجو جريرا :

كَمْ عَمَةٍ لَكَ يَا جَرِيرَ وَخَالَةَ فِدَاعٍ قَدْ حَلَبْتَ عَلَى عَشَارِي

فِي رِوَايَةٍ مِنْ نَصَبِ « عَمَةٍ ، وَخَالَةَ ، وَفِدَاعٍ : مِنْ الْفِدْعِ وَهُوَ حَوْجٌ

فِي الْمَفَاصِلِ ، وَالْعَشَارُ : مَفْرَدُهَا : عَشْرَاءُ وَهِيَ الذَّاقَةُ الْتَفْسَاءُ أَوْ الَّتِي مَضَى

حَلْبُهَا عَشْرَةٌ أَشْهُرٌ ..

- 
- |                              |                              |
|------------------------------|------------------------------|
| (١) - سورة الدارجات آية ١٢ . | (٢) - سورة القيامة آية ١٥ .  |
| (٣) - سورة البقرة آية ٢٨ .   | (٤) - سورة آل عمران آية ٤٠ . |
| (٥) - سورة آل عمران آية ٣٧ . | (٦) - سورة البقرة آية ٢٢٢ .  |
| (٧) - سورة السكوت آية ١٩ .   |                              |

أى : وتستعمل في تمييز أجدد المشاركين في أمر يهمهما ، كما في قوله تعالى :  
« أَيْ التَّوَّابِينَ خَيْرٌ مِّمَّا وَأَحْسَنُ تَدْبِيرًا » (١) .

ويسأل بها أيضا من تمييز الزمان أو المكان أو الحال أو العدد ، وكذا عن تمييز العاقل وغير العاقل ، فهي تنكسب معنى ما تضاف إليه ، فتقول في السؤال بها عن تمييز الزمان : في أى يوم عاد البطل ؟ وعن المكان : في أى مكان ماتت ؟ وعن الحال : على أى حال تركت أهلك ؟ وعن العدد : إلى أى عدد بلغت دراهمك ؟ وعن العاقل : أى الرجلين أكبر سنا ؟ وعن غير العاقل : أى جراد امتطيت ؟ . . .

تلك هي معاني أدوات الاستفهام وهي وإن كانت لا تخلو من فوائد ودقائق واعتبارات بلاغية ، وبخاصة بناء الجمل مع الهمزة وهل ، إلا أن جل اهتمام البلاغيين يتجه إلى المعاني البلاغية التي تفيدها أساليب الاستفهام ، فتعالوا ننظر في هذه المعاني البلاغية .

المعاني البلاغية للاستفهام : يفيد الاستفهام كثيرا من المعاني البلاغية ، كالإنكار والتعجب والاستبعاد والتهديد والتهكم والتحقير ونحو ذلك ، وكثير من البلاغيين وبخاصة المتأخرون منهم يطلقون على هذه المعاني : « المعاني المجازية للاستفهام » ، ونحن لا نوافقهم على هذه التسمية ولا نرتضى هذا الإطلاق ولا نقر أن تلك المعاني معان مجازية ، وذلك للأسباب الآتية :

١ - أن المتقدمين من البلاغيين لم يتحدثوا عن وجه دلالة الاستفهام على تلك المعاني ، وإنما بينوا أنها معان تستنبط من سياق الكلام والوقوف على قرائن أحواله ، أما وجه الدلالة ، فقد شاع الحديث عنها بين المتأخرين الذين تسكفوا وأسرفوا في التقاط العلاقات بين المعنى الأصلي للاستفهام والمعاني البلاغية التي يفيدها ، وقد اتعبوا أنفسهم وأنعبوا الدارسين معهم في



محاولة الوصول إلى علاقات بين طلب الفهم وبين هذه المعاني دون أن يصلوا إلى شيء مقنع . . (١)

٢ - أن المعنى الأصلي للاستفهام وهو طلب الفهم من المخاطب وإثارته وتحريك ذهنه يظل باقيا عند إعادة الاستفهام لتلك المعاني البلاغية ، ومزية أداء هذه المعاني بطريق الاستفهام على أدائها بطريقة المعروفة ، ترجع إلى بقاء معنى الاستفهام في تلك الأدوات ، ولذا يذكر الفراء في كتابه ومعاني القرآن ، عند حديثه عن الآية الكريمة : « كَيْفُ تَسْكُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ » أن الاستفهام فيها قد دخله وشابه معنى التعجب فلم يعد استفهاما محضاً ، بل صار استفهاماً غير محض (٢) . . وهذا دليل على أن معنى الاستفهام ظل باقيا عند إعادة الأسلوب لمعنى التعجب . .

ويقول عبد القاهر بعد ذكره الجملة من المعاني البلاغية التي يفيدها الاستفهام : « واعلم أنا وإن كنا نفسر الاستفهام في مثل هذا بالإسكار ، فإن الذي هو محض المعنى أنه لينتبه السامع حتى يرجع إلى نفسه فيخجل ويرتدع ويعي بالجواب ، إما لأنه قد ادعى القدرة على فعل لا يقدر عليه ، فإذا ثبت على دعواه قيل له : « فافعل » فيفضحه ذلك ، وإما لأنه لم يفعل ما لا يستصوب فعله ، فإذا روجع فيه تنبه وعرف الخطأ ، وإما لأنه جور وجود أمر لا يوجد مثله ، فإذا ثبت على تجويره وبنح على تمتته وقيل له : فأرتاه في موضع وفي حال وأتم شهادا على أنه كان في وقت ، ولو كان يكون للإسكار وكان المعنى فيه من بدء الأمر ، لكان ينبغي ألا يعي فيها لا يقول هاقل إنه يكون حتى ينسکر عليه . كقولهم : أنصمد إلى السماء ؟ أنستطيع أن تنقل الجبال ؟ أإلى رد ما مضى سبيل ؟ ، وإذا قد عرفت ذلك فإنه لا يقرر بالمحال وبما لا يقول أحد إنه يكون إلا على سبيل التمثيل وعلى أن يقال له

(١) ارجع إلى البلاغة القرآنية في تفسير السكندناف ص ٣٠٢ .

(٢) ارجع إلى معاني القرآن ١/٢٢٣ .

إنك في دعواك ما ادعيت بمنزلة من يدعى هذا الحال ، وإنك في طمعك في  
الذي طمعت فيه بمنزلة من يطمع في الممتنع . . . (١)

فهو يشير إلى أن الاستفهام عند إقادته للمعاني البلاغية يظل باقيا فيه معنى  
التنبيه وإثارة ذهن المخاطب ولفته إلى موضع التعجب أو الإنكار أو التقرير ،  
حتى يتأمل ويتدبر ويعلم أنه لا جواب لهذا الاستفهام إلا بالإذعان للمعنى  
الذي يلفته إليه . . . كما في الأمثلة التي ضربها عبد القاهر . . .

٣ - عندما تنظر بإمعان إلى تلك المعاني البلاغية التي يفيدها الاستفهام  
لا تستطيع أن تقول: إن الأسلوب الاستفهامي يفيد معنى واحدا كالتعجب  
مثلا ، بل ترى عدة معان تنبعث من الأسلوب الاستفهامي . . . تأمل الآية  
السابقة « كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَشْوَاثًا فَأُخِيَاكُمْ » (٢)  
تجد أن الاستفهام بها يفيد إنكار الكفر والتعجب من وقوه والتوبيخ  
والاستبعاد والتوعد ، وغير ذلك من المعاني التي تنبعث من الأسلوب وتشمع  
منه . . . فلو قلنا إن إقادة الاستفهام في الآية الكريمة لمعنى التعجب إقادة  
بجازية والتسنا علاقة بين طلب الفهم والتعجب ، فكيف أو فاذا نقول في  
إقادته لبقية المعاني التي أقادها ٤ . . .

٤ - أن المتأخرين أنفسهم الذين قالوا بـبجازية هذه المعاني وجدوا في  
التماس العلاقات لبيان وجه المجاز ، تراحم مترددين ، وكأنهم غير مقتنعين بما  
يقولون ، فهم يذكرون وجوها من الاحتمالات ، قد يكون أحدها أقرب من  
غيره أو أقل إغرابا منه ، فالعلاقة بين طلب الفهم ومعنى الاستبطاء مثلا في  
قوله تعالى : « مَتَى نَعْبُرُ اللَّهَ » (٣) هي اللزومية ، فهو مجاز مرسل علاقته  
اللزوم من استعمال اللزوم في اللزوم ، لأن السؤال عن الشيء يستلزم الجهل به ،

(٢) سورة البقرة آية ٢٨ .

(١) دلائل الإعجاز ١٥١ .

(٣) سورة البقرة آية ٢١٤ .

والجهل به يستلزم كثرته عادة أو ادما ، وكثرته تستلزم بعد زمن الإجابة عن زمن السؤال والحمد يستلزم الاستبطاء . . . هكذا يبحرون في النقاط والناس تلك العلاقات . . . وليت وراء هذا الإبحار صيدا يشبع النفس ويمتصها ويربي فيها ملكة التدقيق ، إنه ليس وراءه إلا التعب وكرد الذهن بلاقائدة مرجوة ولا ثمرة متوقعة . ثم ترام إذا تجزوا عن الوصول إلى علاقة بين طالب الفهم والمعنى الذي هم يصدده الحديث عنه ، ترام يقولون : إن المعنى هنا يفاد عن طريق البكناية أو عن طريق مستتبعات التراكيب (١) .

فما كان أحرى بهؤلاء المتأخرين أن يلتزموا طريقة المتقدمين التي أشرفنا إليها عند الفراء ، وعد القاهر ، وأن يدعوا بأن الاستفهام قد دخلته هذه المعاني وشابته وصار بإفادته لها استفهاما غير محض ، إذ تشبيهه وإيقاظ المخاطب وحشه على التأمل الذي هو لب الاستفهام ، لا يفارقه عند إفادة تلك المعاني . . . وهذا هو الذي نراه وتدعو إليه . . . ندعو إلى تأمل هذه المعاني في سياقاتها الجيدة وتراكيبها الرفيعة ، والوصول إليها عن طريق تأمل السياق وإيمان النظر فيه ومعرفة قرائن أحواله ، وإعمال تراكيبه . فهذا امر الذي يربي وينمي ملكة التدقيق لدى المدارس . . . فتعالوا ننظر في هذه المعاني البلاغية التي يفيدها الاستفهام ونحاول أن ندركها وتدركها من خلال السياق وما ينو به .

١ - معنى الاستبطاء : تأمل قوله تعالى : « أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ يَسْتَهْزِئُونَ الْبَنَاتُ وَالغُرَّاءُ وَذَكَرُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ : قَتَلْتُمْ اللَّهَ ؟ » (٢) الخطاب في الآية الكريمة للصحابة وضوان الله عليهم . والمعنى : أحسبتم أن تدخلوا الجنة بلا ابتلاء وتمحيص ، وقد جرت سنة الله تعالى أن يبتيلى عباده

(١) ارجع إن شئت إلى شروح التلخيص ٢١١/٢ والطول من ٢٢٥ .

(٢) سورة البقرة آية ٢١٤ .

فقد ابتلى الأمم قبلكم ابتلاء شديدًا رمتهم البأساء والضراء حتى قال الرسول وهو أعلم الناس بالله وأرثقهم بنصره، وقال الذين آمنوا معه - لشدة ما حل بهم ونزل - : متى نصر الله ؟ لقد استعظموا مدة العذاب واستبطأوا مجيء النصر وسر التصير بأسلوب الاستفهام في مقام الاستبطاء . هو إظهار المعاناة من طول الانتظار وجذب انتباه السامع ودعوتهم للمشاركة والنظر فيما نزل وحل . . ولا يخفى عليك ما للسياق في الآية الكريمة من إبراز وتصوير لحال هؤلاء القائلين وما حل بهم من ابتلاء وشدة جماعتهم يتطلعون إلى فرج الله ونصره الذي طال انتظارهم له . . ومن ذلك أن تقول وقد اشتد الحر وأنت صائم . متى يؤذن لصلاة المغرب ؟ أنت لا تجهل موعد الأذان والإفطار ولكمك تصور حالتك وطول انتظارك وترتيبك لهذا الوقت وتدعو المخاطب ليشاركك ما تعاني منه وتتطلع إلى تفريجه . . . . ومثله قولك وقد طال انتظارك لقطار : متى يصل القطار ؟ وتوالت لصاحبك دعوه كثير الحضور وهو يماطل ويتأخر ولا يجيب دعوتك : كم دعوتك ؟ فأنت تستبطنه إجابته وتحنه على مراجعة نفسه ومعرفة تقصيره وخطئه . . . ومنه قول المتنبى :

حتام نحن نسارى النجم في الظلم وما سراه على خوف ولا قدم

نسارى : من السرى وهو السير ابتلاء ، يقول : إل متى نسرى مع النجم في الليل ، وهو لا يسرى على خوف كالإبل ولا على أدم كالناس فهو لا يتمب مثلنا ومثل عطاءنا ، فالمتنبى لا يسأل عن الزمان ، ولكنه يستبطنه . مجيء هذا اليوم الذي ينزل فيه إلى هدفه وبحق بنفيته . . . ومثله قول البهاء زهير :

أمر لاي إن في هواك معذب وحتام أتق في العذاب وأمكث فهو يستبطنه . ويتطلع إل مجيء يوم الخلاص بما يعانيه . .

٢ - الاستبعاد : وقد يراد من الاستفهام معنى الاستبعاد وهو عهد الشيء بعيدا ، . الفرق بينه وبين الاستبطاء : أن الاستبعاد متعلقه غير متوقع ،

أما الاستبطاء فتعلقه متوقع والمستفهم يتطلع إلى وقوعه وبعينه ومن  
 الاستفهام الذي جاء مفيداً الاستبعاد قوله تعالى : « قَاتِلِ الْكَافِرُونَ هَذَا  
 شَيْءٌ لَا يَهَيِّبُ إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ » (١) فالكفرة يستبعدون  
 البعث وينذكرون وقوعه ، وقد عبروا عن هذا الاستبعاد بصيغة الاستفهام  
 التي طوى فيها البعث المستفهم عنه والتقدير : أبعث إذا كنا تراباً ؟ ذلك  
 رجوع بعيد ، وكانهم يريدون أن يظل البعث هكذا سؤالاً مثاراً وتوجيهاً مقاماً  
 يسأل كل كافر ويتعجب من وقوعه كل جاحد عنيد . . . ومنه قوله تعالى :  
 « أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ . ثُمَّ تَوَلَّوْا عُنُقًا وَقَالُوا :  
 مَعَلَمٌ نَّجْنُونَ » (٢) والمعنى : من أين لهم الذكر والاعتبار والرجوع إلى  
 الحق وقت جاءهم رسول بين لهم الحق فأعرضوا عنه وانهموه بالجنون ،  
 يريدون الآن أن يتذكروا وأن يكشف عنهم العذاب . . . هيهات هيهات  
 لقد مضى وقت الذكر والاعتبار . . . وفي ذلك إشارة لطؤلاء الكفرة وتنبية  
 إلى ما هم فيه من غفلة وعناد ومكابرة وحث لهم على قبول الهدى والانصياع  
 للحق . . . ومن ذلك قول أبي تمام :

من لم يأنس إذا أغضبت وجهك كان الظلم ردة جوابه

فهو يستبعد أن يوجد إنسان على هذا القدر من الظلم والصفح وقوة  
 الاحتمال . . . ونقول : لقد صرنا في زمن أغير ، أكثر فيه الظلم واعتداء  
 القرى على الضعيف . صار الناس يظلم بعضهم بعضاً وبأكلون أموالهم بينهم  
 بالباطل . . . فن يتق الله اليوم في اليتيم ؟ ومن يساعد المسكين ؟ ومن يعيد  
 الناس للانصياع إلى الحق المبين ؟ فانت تستبعد أن يوجد في هذا الزمان  
 الأغر من يقوم بواجبه تجاه دينه وتجاه اليتامى والمساكين . . .

٣ - التحسر : ويرد الاستفهام مراداً به معنى التحسر والتألم وذلك

(٢) - سورة المدخان آية ١٣ ، ١٤ .

(١) سورة ق آية ٢ ، ٣ .

في مقام يظهر فيه المستفهم حزنه وتألمه وتحسره على ما فاتته . . .  
تأمل قول حافظ إبراهيم في وصف حريق :

سائلوا الليل عنهم والنهارا كيف باتت نساؤهم والعذارى . . .

فهو يتحسر ويتفجع لهؤلاء المنكوبين الذين ساءت أحوالهم وأتى  
الحريق على ما يملكون من متاع وماوى فباتوا هم وأهلهم في العراء ، وقد لجأ  
الشاعر إلى أسلوب الاستفهام ليطلب الناس ويشير بحببتهم لمساعدته المصاب  
لتبديد ما ألم به وأصابه . . . وانظر إلى قول البارودي في رثاء زوجته :

يادهر فيم فجعتنى بحليلة كات خلاصة عدتي وعتادي  
إن كنت لم تر حرم ضغاي لبعها أوالا رحمت من الأمي أولادي

نراه حزينا متألما لفرقتها وقد صاغ آله وتحسره في أسلوب استفهامي  
ليطلب الناس ويشيرهم إلى مشاركته حزنه وآلمه .

ومن ذلك قوله تعالى : « فَأَذَا بَرِقَ النِّجْمُ وَخَسَفَ القَمَرُ وَجُمَ الشُّجُبُ وَالقَمَرُ يَقُولُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفْرُ »<sup>(١)</sup> فالاستفهام في الآية  
يفيد تحسّر الإنسان وندمه على ما فاتته في الدنيا واستبعاده الفرار في ذلك اليوم .  
« كَلَّا لَا وَزَرَ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ »<sup>(٢)</sup> .

٢ - التمجيب : تأمل قوله تعالى : « وَتَنقَدَ الطَّيْرُ نَقَالًا : مَا لِي لَا أَرَى  
الهُدُودَ أَمْ كَانِ مِنَ الْغَائِبِينَ »<sup>(٣)</sup> تسليجان - عليه السلام - لما تنقذ الطير  
ولم يجد الهدود تعجب : كيف لا يراه وهو لا يغيب إلا بإذنه ولذا توعدده  
بالعذب الشديد إذا لم يكن غيابه هذا السبب قوى يدعو إليه : « لَأَعَذِّبَنَّ  
عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ . . . »<sup>(٤)</sup> ، ومثله

(٢) سورة القيامة آية (١١) ، ١٢

(٤) سورة النمل الآية ٢١

(١) سورة القيامة آية ٧ - ١٠

(٣) سورة النمل الآية ٢٠

قوله عز وجل : « قَالَتْ : لَأَزِيدَنَّ الْيَدِ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ شَيْخَانٌ ؟  
 إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ .. » (١)

فقد تعجبت امرأته من بشارة الملائكة لإبراهيم عليه السلام بإسحاق ،  
 ومن وراء إسحاق يعقوب ، كيف تكلد وهي عجوز وقد عاشت حياتها فقياً ،  
 وهذا بعلمها قد صار شيئاً ، إنه لأمر عجيب ولذا تساءلت الملائكة متعجبة  
 من تعجبها : « أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ؟ .. »

ومنه قول المتنبي في وصف الخوى :

أبنت الدهر عندي كل بنت فكيف وصلت أنت من الزحام ؟  
 فهو يتعجب من الخوى ، كيف وصلت إليه ، إلى الرغم من تراحم الشدائد  
 حوله وتكالبها عليه ..

٥ - التنبيه إلى ضلال : كما في قوله تعالى : « فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ؟ إِنْ هُوَ  
 إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ » (١) ، فهو تنبيه للكثرة إلى خطأ ما يقولون وضلال  
 ما يعتقدون وباطل ما يعبدون من دون الله ، ويتضح لك هذا التنبيه عندما تتأمل  
 سياق الآيات السكرية : « فَلَا أَقْسِمُ بِاللُّجُجِ الْكَوْكِ إِذَا  
 الْفَجْرِ عَشِيَ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي  
 الْعَرْشِ مَسْكِينٍ مُطَاعٍ ثُمَّ أَمِينٍ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ وَاقْدُرَ لَهُ  
 بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ  
 فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ؟ .. » فإذ أقسم سبحانه وتعالى بالبحر والجماد والليل على قدرته  
 في أحوال ظهروها واختفائها ، الجوارى .. الكس ، ثم أقسم  
 بالليل يقبل بظلامه وبالصبح الذي يبدد ذلك الظلام ، إن القرآن لمن عند الله  
 نزل به رسوله أمين على صاحبكم محمد صلى الله عليه وسلم ، وآثر التعبير

(٢) - سورة التكاوير آية ٢٦ .

(١) - سورة هود آية ٧٧ .

بالصاحب ليلفتهم إلى أنه صاحبهم الذي يعرفون صدقه وأمانته فهو صادق فيما يبلغهم عن ربه، أمين عليه، وقد رأى وأبصر من آيات ربه الكبرى، رأى جبريل بالآفاق المبين، وهو حريص على إبلاغ رسالة ربه، لا يرضى بها هليكم، . . لقد وضع الأمر وانكشف الحق، فأبى تذهبون بعد ذلك عنه إلا إلى ضلالات وعتاهات؟ فحسب الاستفهام عقب هذا البيان وذلك التجلية ينبه العاقل ويحذر المعاند ويحث المسكابر على النظر والتأمل ليقبل على الحق ويتخلى عن الضلال والعتاد .

٦ - التحويل : كما في قوله تعالى : « الْخَافَةُ مَا الْخَافَةُ وَمَا أُذْرَاكَ مَا الْخَافَةُ »<sup>(١)</sup> ، « النَّارَةُ مَا النَّارَةُ وَمَا أُذْرَاكَ مَا النَّارَةُ »<sup>(٢)</sup> ، « كَلَّا كَيْتَبَدَّنْ فِي السُّلْطَمَةِ وَمَا أُذْرَاكَ مَا السُّلْطَمَةُ . . »<sup>(٣)</sup> فلا استفهام في الآيات الكريمة يكشف عن أهوال يوم القيامة ، ويصور ويبرر فظاعة العذاب وشدته . .

٧ - الوعيد والتمديد : كقولك لمن يسئ إليك : ألم أودب فلاناً ؟ تريد بذلك تهديده وتوعده حتى يقلع عن إساءته . . . ومنه قوله عز وجل : « قَبِيلٌ يَوْتَنِدُ الْمُكْذِبِينَ . أَلَمْ يَهْلِكِ الْأَوَّلِينَ . ثُمَّ نَقَّبَهُمُ الْآخِرِينَ . كَذَلِكَ نَقُولُ بِالْمُجْرِمِينَ . . »<sup>(٤)</sup> ولا يخفى عليك ما يفيد الاستفهام من توعده للكفرة وحث لهم على الإقلاع عن كفرهم والانصياع لصوت الحق حتى لا يصيبهم ما أصاب الأولين من إهلاك وتعذيب . .

٨ - الأمر والحث على الفعل : كما في قوله تعالى : « فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّا أَنْزَلْنَا بِسْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ

(١) سورة العنكبوت آية ١ - ٣ .  
(٢) سورة القارعة آية ١ - ٣ .  
(٣) سورة الممتحنة آية ٥ .  
(٤) سورة الممتحنة آية ١٥ - ١٧ .



مُسْلِمُونَ ٥ (١) ، قوله تعالى : « وَاقْتَدُوا بِرَبِّنَا الَّذِي آتَىٰ ذِكْرَهُ مِنْ  
مُدْرِكٍ ٢ » (٢) ، وقوله عز وجل « وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا السِّكِّينَ وَالْأُمِّيِّينَ  
أَسَلْتُمْ ٢ » (٣) ، وقوله تعالى : « إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ  
الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي أَنْتُمْ وَالْبَيْسِ وَالشَّيْطَانُ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الْعِلَّةِ  
قَوْلُ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ٢ . . » (٤) وقوله : « تَنْ ذَا الَّذِي يُفْرِضُ اللَّهُ قَرْضًا  
حَسَنًا فَيُضَافُهُ لَهُ ٢ . . » (٥) . . فالمراد بالاستفهام في الآيات الكريمة الأمر ،  
وقد جاء في صيغة الاستفهام ، لأن في ذلك إغراء للمخاطب وحثا له على  
الاستجابة وقبول الأمر . .

٩ - التقرير : وقد يأتي الاستفهام ويراد به التقرير ، في طلب الإقرار  
أو بمعنى التحقيق والإنبات ، فن الأول قوله تعالى : « قَالُوا : أَنْتَ قُلْتَ  
هَذَا بِالْحَقِّ يَا إِبْرَاهِيمُ ٢ . . » (١) فهم يريدون حمله على الإقرار ، الاعتراف  
بالفعل ، وعندما يكون التقرير بالهمزة يتبعى أن يليها ما حمل المخاطب على  
الإقرار به . فهم هنا يقررونه بالفاعل ولذا أجابهم : « نَبِيٌّ قَوْلَهُ سُبْحَانَ  
هَذَا ، ومثله قوله تعالى : « أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيِّينَ  
مِنْ دُونِ اللَّهِ ٢ » (٢) فهو تقرير بما يعرفه عيسى عليه السلام من هذا الحكم ،  
وهو أنه لم يصدر منه هذا القول ، وفيه توبيخ وتبكيه لمن اتعذره وأمه لظن  
من دون الله . . . ومنه قوله تعالى : « أَلَمْ رُبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَابْتِثَّتْ فِينَا  
مِنْ هُمْرِكَ صِبْيَانٌ ٢ » (٣) فالمراد بالاستفهام : تذكير موسى - عليه السلام -  
بنشأته وتربته فيهم وحمله على الإقرار بذلك ، أملا من فرعون في أن يقلع

- |                            |                            |
|----------------------------|----------------------------|
| (١) سورة هود آية ١٤ .      | (٢) سورة القمر آية ١٥ .    |
| (٣) سورة آل عمران آية ١٩ . | (٤) سورة المائدة آية ٩١ .  |
| (٥) سورة الحاد آية ١١ .    | (٦) سورة الأنبياء آية ٥٢ . |
| (٧) سورة المائدة آية ١٦ .  | (٨) سورة الشعراء آية ١٨ .  |

ويكلف عما جاء به من قبل الله، ولكن أنى له ذلك، وهو مسمى رسول رب العالمين،  
ومن الثاني: « ألم يجودك بيدياً فآكوى ووجدك ضالاً فهدى . . » (١) . .  
« ألم نشرح لك صدرك ووضنا عنك وزرك . . » (٢) . . « ألم يجعل  
كف يدك في تضليل . . » (٣) . . « هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم  
يكن شيئاً مذكوراً ؟ » (٤) ، فالمراد بالاستفهام في الآيات التقرير بمعنى  
التحقيق والإثبات وحيى التحقيق في صورة الاستفهام فيه تذكير للمخاطب  
وحث له إلى تدبر الأمر وتأمله . . ومنه قول جرير في مدح بني أمية :

الستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

فهو تحقيق وإثبات لكرمهم وشجاعتهم وقد صاغه في صيغة استفهام  
ليؤثر فيه وينبه إلى فضلهم وسبقهم إلى العلاء .

١ - الإنكار : والهمزة هي أكثر أدوات الاستفهام دلالة على معنى  
الإنكار، ويطلق دائماً المستفهم عنه سواء أكان الاستفهام مجرد طلب الفهم  
أم للتقرير أم للإنكار أم لغير ذلك كما عرفت في بناء جملة الاستفهام - مع  
الهمزة . . . والاستفهام الإنكاري، يرد على نوعين : إنكاري توبيخي  
وإنكاري تكذيبي . . .

فالاول : إنكار وتوبيخ على أمر قد وقع في الماضي بمعنى ما كان ينبغي  
أن يقع ، أو على أمر يخفى المستفهم أن يقع في المستقبل بمعنى ينبغي ألا يكون،  
فالإنكار أو النفي في التوبيخ موجه إلى الإبقاء والمعنى : ما كان ينبغي في  
الماضي ، وينبغي ألا يكون في المستقبل . . تأمل قوله تعالى : « أَكْفَرْتُمْ  
بِأَنفِي خَلْقِكَ مِنْ رَبِّهِمْ مِنْ نُطْقَةٍ مِنْ سَوَاقِكَ رَجُلًا » (٥) ، فالمعنى :

- 
- (١) سورة الضحى آية ٥ .  
(٢) سورة الليل آية ٢ .  
(٣) سورة الكهف آية ٣٧ .  
(٤) سورة الفرقان آية ١ - ٢ .  
(٥) سورة الشعراء آية ١٠١ .

ما كان ينبغي أن يقع هذا الكفر وتدخلك الله وسواك وأنتم عليكم بالنعم التي  
تباهى بها وتفقر .. ومثله قوله تعالى : « هَلْ عَلِمْتُمْ مَا قَلَّمْتُمْ بِيُوسُفَ  
وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ؟ » (١) وقوله تعالى : « أَتَدْعُونَ بِمَسَافٍ  
وَتَذُرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ » (٢) فالاستفهام في الآيتين للتوبيخ على أمر واقع  
والمراد : ما كان ينبغي أن يقع منكم ما واقع .. ومنه قول امرئ القيس :  
أفرك مني أن حبك قاتل وأنتك مهم ما أمرى القلب يفعل

والمعنى : ما كان ينبغي أن يفرك حبك مني ، وقد تقدي أني أصبحت متبا  
في هواك ، أفعل ما تأمرين به .. وتقول : أعصيت ربك .. أذيت  
جارك .. أهملت في واجباتك ؟ أي : ما كان ينبغي أن يقع هذا منك ..  
ولعلك تشعر بما في بيت امرئ القيس من تصوير جميل لقصة حبه مع ما في  
التعبير من إبحاز وإخفاء لهذا الحب وراه الاستفهام ، فهو يستغفم عنه  
ولا يفتضح بإظهاره ووقوعه .. وتأمل قوله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا  
لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنِ اتَّبَعْتُمْ لَأَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ  
عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ؟ » (٣) نجد أن الاستفهام موجه إلى تلك الإرادة وهي  
غير واقعة ، بل يحتمل وقوعها في المستقبل والمراد : لا ينبغي أن تكون  
هذه الإرادة .. وتقول : اتهم بك .. أتؤذي أباك .. أنتسى إحسان  
فلان .. أخرج في هذا الوقت ؟ والمراد توبيخ المخاطب إلى خطأ ما هو مقبل  
عليه حتى يرتدع عنه ، فالمعنى : لا ينبغي أن تكون منك هذه الأفعال ..

والثاني : وهو الإنكار التوكيدي ، ويسمى أيضا بالإنكار الإطالي ،  
إذا كان التوكيد في الماضي ، كان الاستفهام بمعنى : لم يكن ، وإذا كان في  
المستقبل كان بمعنى ان يكون .. تأمل قوله تعالى : « أَفَأَصْنَأَكُمْ رَبِّكُمْ

(٢) - سورة الصافات آية ١٢٥ .

(١) - سورة يوسف آية ٨٩ .

(٣) - سورة النساء آية ١٤٤ .

بِالْبَيِّنَاتِ وَاتَّخَذَ مِنْ دُونِ اللَّذَاتِ كَذِبًا إِنَّمَا أَنْتُمْ تُقُولُونَ قَوْلًا عَجَبًا . . .<sup>(١)</sup>  
تجد أن الاستفهام في الآية يفيد تكذيبهم ، وإبطال ما قالوه ، والمعنى : لم يكن  
من الله تعالى استغناء ولا اتخاذ . ومنه قول امرئ القيس  
أيقنتني والمشرقي مضاجعي مسنونة زرفي كأنباب أعرال

فهو يكذب إنسانا نرعه بالقتل ويتكبر أن يقع منه ذلك والمعنى : إن  
يكون هذا القتل . وقرأ قوله تعالى : « قَالَ : يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنْتُمْ  
عَلَىٰ يَمِينٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي رِزْقًا مِّن دُونِهِ فَتَمُوتُنَّ عَلَيْهِمْ أَفَلَا تُسْكَوهُمَا  
وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ؟ »<sup>(٢)</sup> ، فالمراد : أنجزكم ونسركمكم على الإعداء بها ،  
والمعنى : إن يكون ذلك الإخبار إذ لا إكراه في الدين . . . وتقول : أيرعى  
عذك ربك وانت مقم على عصيانه ؟ أي : إن يكون هذا  
ومنه قول الشاعر :

أترك إن قلت دراع خالد زارته ؟ إن إذا للثيم  
أي : إن يكون ذلك مني . .

هذا وموضع الإنكار - كما مر بك - هو ما يلي الجملة ، تقول في إنكار  
الفاعل : أنت تقدر على هذا ؟ أنت تـ . . . حق ؟ تريد : إن يكون هذا منك ،  
ولن تستطيعه فاست له أملا . . . وتقول في إنكار المفعول : أصرا أعت ؟  
بمعنى لم يكن ذلك . وتأمل قوله تعالى : « قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ وَبِئْسَ مَا كَفَرُوكُمْ »<sup>(٣)</sup> . .  
« قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ ابْنِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ »<sup>(٤)</sup> فاللهي على إنكار أن  
يكون غير الله بمثابة أن يتخذ ويا أو يبنى ربا . . . وتقول في إنكار الفاعل :  
أتؤذي أباك . . . ؟ ومنه قوله تعالى : « أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ . . . »<sup>(٥)</sup>

(١) سورة الإسراء الآية ٤٠ (٢) سورة هود الآية ٢٨ .

(٣) سورة الأنعام الآية ١٤ (٤) سورة الأنعام الآية ١٦٤ .

(٥) سورة الأعراف الآية ٢٨ .

وقوله عز وجل : « أَنْتَبِذُوا الَّذِينَ هُمْ أَذَىٰ بِالَّذِي هُمْ حَبِيرٌ... »<sup>(١)</sup>  
والمعنى : ينبغي ألا يقع هذا .. وتقول : أنتبذني ؟ والمعنى ان يكون ذلك  
منك ، وقد مررت بك شواهد كثيرة لإنكار الفعل لإنكاراً تكافئياً ...  
وقد يكون الإنكار للفعل ويل الحمزة غيره وذلك عندما يكون للفعل فاعل  
محدد أو مفعول أو ظرف ليس للفعل سواء قبل الحمزة أو بعد على ما وثقنا  
بأم المتصلة ذلك المحدد كقولك في إنكار الفعل : أن ليل وقع هذا أم فنهلوا ؟  
مشكراً الوقوع ، لأن الفعل إذا نفي فاعله أو مفعوله أو عمله - كما في انشأه  
الذي ليس له غيره ، لزم من ذلك انقفاء الفعل ، وهذا أبلغ في إنكار الفعل  
وانقفاؤه ، لأن نفي الفعل فيه بطريق الكناية والازوم . فهو بمنى دعوى  
بدليلها . . . وقد مررت بك شواهد هذه الصورة في بناء جملة الاستفهام مع  
الحمزة فقد إليها هناك ..

١١ - النفي : وقد يأتي الاستفهام بمعنى النفي ، كما في قوله تعالى :  
« هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ »<sup>(٢)</sup> والمعنى : ما جزاء الإحسان إلا  
الإحسان ، تلك حقيقة مقررة لا يعارض فيها عاقل ، ولكن فرق بين الدلالة  
عليها بالاستفهام والدلالة عليها بطريق النفي المهورد ، إن في الاستفهام تحريكاً  
للفكر ، وتنبهً للعقل وحثاً على النظر والتأمل .. وهذا هو الفرق بين  
النفي التصريح وبين النفي من طريق الاستفهام .. انظر إلى قوله تعالى :  
« سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلْنَاكُمْ وَالنَّارُ هَلْ تَنَلُّونَا وَكَانَتِ الْجُبُورُ عُتُبًا  
يَقُولُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّجْمِ إِذَا هُمْ يَنْجُونَ »<sup>(٣)</sup> ، فالعنى لا محالة :  
لا أحد يملك لكم من الله شيئاً ، ولكن الدلالة على هذا المعنى بالاستفهام فيها

(٢) - سورة الرحمن آية ٦٠

(١) - سورة البقرة آية ٦١

(٣) - سورة النجم آية ١٠

تنبية هؤلاء المخلفين وحث لهم على تدبر أحـ والطم ومراجعة أنفسهم  
والانقياد للحق وانباع سبيل الرشاد .. وكذا القول في الآيات الكريمة :  
« وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَتَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَمَى فِي  
خَوَاطِبِهَا » (١) . . . « وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا » (٢)  
« وَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ  
يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ قَوْلٍ لِيُهْلِكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ  
الْقَائِمُونَ » (٣) . . . فالدلالة على النفي بالاستفهام في الآيات الكريمة  
تتأخر عن الدلالة عليه بطريقة المعهود ؛ إذ النفي الصريح حال من التحريك  
والتنبيه وإثارة المشاعر ، أما الاستفهام ففيه بحث على الظاهر والتأمل وحث  
على التفكير والتدبر حتى يتبين المخاطب وجه الخطأ فيقلع عنه ويتمدد . .  
وعد لإدالة الاستفهام على الإنكار ونأمل فرق ما بين قولك : أتؤذي  
أباك ؟ تنسى إسمان فلان ؟ وبين قولك : لا ينبغي أن تؤذي أباك . .  
لا ينبغي لك أن تنسى معروف فلان . . فمدح وإن كنا نفسر الاستفهام بهذا  
المعنى إلا أن هناك فرقاً جوهرياً يمتاز به الاستفهام الإنكاري عن النفي  
الصريح وهو أن في الاستفهام إغراء لمن مخاطبه كي يقلع عما فعل أو سيفعل  
وعما اعتقد أو يعتقد ، حيث لم تواجهه صراحة بالنفي أو التكذيب ، كما أن  
في الاستفهام تحريكاً لفكر المخاطب وتنبيهاً له ودعوى كي يتأمل ويتدبر  
ويعيد النظر فيما يفعل أو يعتقد لعله يستيقن فيذعن للحق ويقلع عن  
الباطل وضلال . .

ومن الاستفهام الدال على النفي قول البحري :

هل الدهر إلا غمرةٌ وانجلاؤها      وشبكا وإلا ضيقةٌ وانفراجها

(٢) سورة العنكبوت آية ٦٨

(١) - سورة البقرة آية ١١٤

(٣) سورة الأحقاف آية ٢٥

فالشاعر أراد بالاستفهام أن يبحث المخاطب على النظر والتأمل حتى يدرك هذه الحقيقة الواقعة ويعبأ بفكره ، وهي أن الدهر ليس إلا شدة سرعان ما تنجلي ، وضيقا يعقبه فرج ..

ومثله قول الآخر :

هل الدهر إلا ساعة ثم تنقضي بما كان فيها من بلاء ومن خفض ؟

١٢ - التشويق : وقد يأتي الاستفهام للتشويق وذلك عندما يقصد المتكلم إلى ترغيب المخاطب واستمالته كما في الآيات الكريمة : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ؟ »<sup>(١)</sup> « قُلْ أَوْفَيْتُكُمْ بِمَنِّكُمْ مِنْ ذَلِكُمْ ؟ »<sup>(٢)</sup> .. « هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالرَّادِ الْمُنَدِّسِ مُوسَىٰ ؟ »<sup>(٣)</sup> « هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَرْسُلَنِي وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ .. »<sup>(٤)</sup> ، ولا يخفى عليك ما في الآيات الكريمة من ترغيب للمخاطب وتشويق له إلى معرفة الجواب ، فهو يفكر فيه وينشغل به وينتظره في ترقب وتطلع وعندئذ يأتي الجواب فيقع في نفس المخاطب موقعا حسنا ، لأنه تجاءً للنفس مهياةً له وتسليةً إلى معرفته .. إلى غير ذلك من الأعراس البلاغية التي يفيدها الاستفهام فهي أكثر من أن يحاط بها ، لأنها بمان تستنبط من السياق وتأمل أجواله ، والمعول عليه في ذلك هو سلامة الذوق وتابع التراكميب الجيدة ، ولا ينبغي أن تقتصر في ذلك على معنى سمته أو مثال وجدته من غير أن تتخطاه إلى غيره ، بل عليك بالتصرف واستعمال الروية وواقفه الهادي<sup>(٥)</sup> ..

(٢) سورة آل عمران آية ١٥

(١) سورة الممت آية ١٠

(٤) سورة التنازع آية ٢٨

(٣) سورة التنازع آية ١٥ ، ١٦

(٥) انظر الطول من ٢٢٩

ومنها بالإضافة لما سبق، دلالة على التعظيم . . . كما في قول المتنبي :  
من للمحافل والجحافل والسرى فقدت بفقدك نيراً لا يطلع  
فهو يريد تعظيم المخاطب والإشادة بفضله وأن المحافل وهي الجامع  
والجحافل وهي الجيرش والسرى أي السير ليلاً والزحف إلى الأعداء ، هذه  
الأمور قد فقدت بفقده نيراً لا يطلع . . . ومثله قول الآخر :

أضاعوني وأي فني أضاعوا ليوم كربهة وسسداد نغز

فالمراد بالاستفهام تعظيم نفسه والإشادة بشجاعته وفروسيته ، ولا يعني  
عليك ما في البيتين من إظهار التحسر والتفجع لفقدته المحافل والجحافل ،  
وإضاعة القوم لغتاهم المغرار . . . ومنها التحقير ، كما في الآيات الكريمة :  
« وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ؟ » (١)  
« وَإِذَا رَأَوْكَ إِذْ يَمِيزُ الْإِنْسَانَ مِنْ إِذَا رَأَوْكَ أَنْ يَنْخَذُ مِنْكَ إِلاَّ مُخِيبٌ إِلاَّ هُدًى : أَلَمْ تَرَ أَنَّهُ رَمَوْا لَكَ » (٢)  
« أَلَمْ تَرَ أَنَّهُ رَمَوْا لَكَ إِذْ يَمِيزُ الْإِنْسَانَ مِنْ إِذَا رَأَوْكَ أَنْ يَنْخَذُ مِنْكَ إِلاَّ مُخِيبٌ إِلاَّ هُدًى : أَلَمْ تَرَ أَنَّهُ رَمَوْا لَكَ » (٣) . . . وكما في قول الشاعر :

تقول وقد دنت نحرها بيمينها أبعل هذا بالرحا المتعاس

وقول الآخر :

فدع الوعيد فداً وعبيدك حناري أسنين أجنحة الذباب يضير ؟

ومنها التهم ، كما في قوله تعالى : « قَالُوا : يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَمُرُّكَ  
أَنْ تَتْرَكَ مَا يَتَّبِعُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ كُنْتُمْ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ » (١) فهم  
يسخرون منه ويتهكمون بما جاء به ، وقد عبروا عن ذلك بصيغة الاستفهام  
ليدلوا على ثباتهم في الكفر ووقوفهم الصامد في الضلال والمكابرة . . . ومنها

(٢) سورة الفرقان آية ٤

(٤) سورة هود آية ٨٧

(١) سورة الشعراء آية ٧٠

(٣) سورة الأنبياء آية ٣٦



الغنى ، وذلك عندما يطلب السائل الأمور المحالة أو البعيدة الحصول ، كما في قوله تعالى على لسان أهل النار : وَقَالَ لَهَا مِنَ شَهِيمٍ مُّشْتَمًا فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ خَيْرًا فَمَا كُنَّا نَعْمَلُ .<sup>(١)</sup> « هل إلى مرادة من سبيل . . »<sup>(٢)</sup> .  
 « إنا كنا نكفركم تباهاً قائل أنتم ممنون عنا قسيباً من النار ؟ »<sup>(٣)</sup> ،  
 وكانهم لفرد ما هم فيه من هول العذاب صاروا يسألون غير الممكن كما يسأل عن الشيء الذي لا استحالة في وجوده . . . هذا وكما ذكرت لك فإن هذه المعاني يستنبطها الدارس من خلال النظر في السياق وتأمل تراكيبه وقرائن أحواله ، وكثيراً ما نجد أسلوب الاستفهام يفرض بأكثر من معنى بلاغي ، تأمل قوله تعالى : « كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُفَّتُمْ أَنْوَاعًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ مِمِّتْكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُخَوِّبُكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ »<sup>(٤)</sup> نجد الاستفهام بها يفيد الإنكار التوبيخي ، أي : لا ينبغي أن يكون منكم كفر وقد علمت نعمة خلقكم وحياتكم . . كما يفيد التعجب من وقوع هذا الكفر والحث على الإقلاع عنه والإقبال على الهدى والإيمان ، لأن في خلق السموات والأرض وفي خلق الإنسان من العجز والمظالم والأدلة على قدرة الله ما لو تأمله الكافر وتدبره لأقلع عن كفره وضلاله ، فوجود الكفر منه بعد ذلك يدعو إلى التعجب والإنكار . . ومثله قوله تعالى : « أَتَأْتُرُونَ النَّاسَ بِالْبُرِّ وَتَنْفُونَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ ؟ أَفَلَا تَعْقِلُونَ »<sup>(٥)</sup> فلا استفهام في الآية إنكار لوقوع ذلك منهم وتعجب من وقوعه وحث الإقلاع عنه . . وخذ قوله تعالى :  
 « إِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ وَخَسَفَ الْقَمَرُ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ : أَيْنَ الْمَفْرُغُ »<sup>(٦)</sup> نجد الاستفهام بها يدل على الحيرة والتخبط والتحسر والندم ، وتفي الفرار من العذاب الذي ينتظره . وأن له ذلك :

- |                             |                               |
|-----------------------------|-------------------------------|
| (١) - سورة الأعراف آية ٥٣ . | (٢) - سورة الشورى آية ٤٤ .    |
| (٣) - سورة طار آية ١٧ .     | (٤) - سورة البقرة آية ٤٨ .    |
| (٥) - سورة البقرة آية ٤٤ .  | (٦) - سورة القيامة آية ٧-١٠ . |

« كَلَّا لَا وَزَرَ . إِلَىٰ رَبِّكَ يُؤْتِيهِدُ الْمُشْتَكِرُ » (١) وتأمل قوله تعالى :  
 « يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَنَقُولُ هَلِ مِن مَّزِيدٍ ؟ » (٢) فالسؤال  
 الأول يفيد التبرير ، والسؤال الثاني يفيد طلب المزيد من الوقود وحمية  
 وينبغي أن يمدى نظير جهنم وشدة غضبها لكثرة هؤلاء الكفرة وتطاولها وتشوقها  
 إلى المزيد منهم . . . وخذ هذه الآية - وقد سزت بك - « أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ  
 تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَأَنْتُمْ بَأْسِكُمْ مِثْلَ الَّذِينَ دَخَلُوا مِنْ قَبْلِكُمْ فَسَخَّرْنَا لَهُمُ الْجِبَالَ  
 وَالضَّرَاءَ وَزَلْزَلُوا مَا نَحْنُ بِذَوْلِ أَرْسُولٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ؟  
 الْإِنِّ نَصُرَ اللَّهُ قَرِيبٌ » (٣) فاستفهام الرسول ومن معه وهم صفوة الناس ،  
 وتوهم وقد زلزلوا ومستمهم البأساء والضراء متى نصر الله؟ ، يفيد تطاهمهم  
 للنصر وتشوقهم وتمنيهم وقوعه وسأله ، كما يفيد استبطاءهم لحجته ، وهذا  
 ما يصير عند ابتلائهم وبين أنه على المؤمنين أن يكونوا على استعداد أن  
 يمشوا أنفسهم لمثل هذا الابتلاء ، فإن بدخلوا الجنة إلا إذا عصوا كما عص  
 من قبلهم واختبروا كما اختبروا . . . وهذا يتضح لك أن الأسلوب الاستفهامي  
 يفيد كثير من المعاني التي يستطيع أن يقف عليها الدارس بتأمل سياقه  
 وتذوق قرآن الأحوال . . .

استفهام النداء :- النداء : هو خطاب الإقبال بحرف نائب مثاب كلمة :  
 « ادْعُوهُ » ، والغاية منه أن يصغى من تناديه إلى أمر ذي بال ، ولذا غلب أن  
 يبنى النداء امر أو نهي أو استفهام أو إخبار بحكم شرمي كافي قوله تعالى :  
 « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُمْ فَأَنذِرْ وَرَبُّكَ فَسَّخَّرَ . وَيَا يٰٓأَيُّهَا نَعَاهُ » (٤) . وقوله  
 تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرَسُوا مَا آتَىٰ اللَّهُ آخِرَ كُمْ  
 وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ » (٥) ، وقوله من وجمل : « يَا أَيُّهَا

(١) - سورة القيامة آية ١١ - ١٢  
 (٢) - سورة في آية ٣٠  
 (٣) - سورة البقرة آية ٢١٤  
 (٤) - سورة المدثر آية ١-٤  
 (٥) - سورة المائدة آية ٨٧

الَّذِي لَيْمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ .. (١) ، وقوله جل وعلا : يَا أَيُّهَا  
الَّذِي إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلَقْتُمُنَّ لِمَدَّيْنٍ .. (٢)

ودلالة النداء على الطلب دلالة مطابقة هل أرجح الأقوال ، لأنه طلب الإقبال ، فهو بمعنى : ه أقبل ، الأمر ، وقيل : إن دلالة على الطلب التزامية ، لأنه يقتضى تعريفه : طلب إقبال المخاطب بحرف نائب مناب كلمة : ادع ، ليصنى إلى ما يريد المتكلم . ، و ادع ، فعل مضارع لا أمر ، ويمكن النداء يتضمن طلب الإقبال فلذا جعل النداء من أقسام الطلب ، ودلالته عليه دلالة التزامية تضمينية . . . . . ومنهم من يرى أنه مجرد تنبيه لا طلب فيه . . . . . والراجح هو الرأى الأول . كما ذكرت . لأنك عندما تقول : يا محمد ، فإنك تطلب منه الإقبال عليك ، وكأنك تقول له : ه أقبل ، بصيغة الأمر ، وليس ادعو ، بصيغة المضارع . . . . .

وحروف النداء هي : المحمزة رأى ويا وآ وآى وآيا وهيا ودوا ،  
وأكثرها استعمالاً في نداءات القرآن الكريم هو يا ، . . . . .  
وهذه الأدوات نونات : ما يتنادى به للتقريب وهو المحمزة وأى ،  
وما يتنادى به البعيد وهو بقية الأدوات . . . . .

وإذا كان النداء هو طلب الإقبال ، فإن الأصل فيه أن يكون للتقريب الذى لا يجاوز امتداد صوت المتنادى ، ولاكنهم توسعوا فيه فتنادوا البعيد الذى لا يمكن أن يسمع صوت المتنادى ، أو بمعنى آخر الذى لا يمكن أن يصل إليه صوته ، وجعلوا لندائه أدوات ونداء التقريب أدوات . كما رأيت . . . . . ولم يتوقفوا عند نداء البعيد الذى لا يصله صوت المتنادى ، بل اتسع تعريفهم في النداء فنادوا غير الحي العاقل ، كالإناء والطير والوحش ، ومشاهد الطبيعة

(٢) - سورة طلاق آية ١ .

(١) - سورة التحريم آية ١ .

من برق وسحاب واقار وشموس وأشجار وأرض وسما وجبال ، وفيافي  
وقبور واطلال وديار ، كما نادوا أحوال النفس وعواطفها من حب وبغض  
وحسرة وويل ولذة . . . ونداء مثل هذه الأمور لا يكون لطلب الإقبال ،  
وإنما يكون لأغراض بلاغية ومقاصد يقصد إليها المتكلم .

قلت : إن النداء يكون بحروف نائمة متارة كـ : ، أ د و ، ، وهـ سـ نـ هـ  
المحروف قد تذكر ، كما في الآيات التي هـرت بك ، وكما في قولك أحمد . .  
يا خالد . هيا سلى . . وقد تحذف فتقول : محمد . خالد . سلى تريد  
نداهم . . وما ورد فيه حذف أداة النداء ، قوله تعالى : « يُوسُفُ أَعْرِضْ  
عَنْ هَذَا . . » (١) . . « يُوسُفُ أَيُّهَا الصَّادِقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ مَهْرَاتٍ  
مِمَّا نَ . . » (٢) . . « قَالَ : فَمَا حَتَّابِكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ » (٣) فقد حذف  
أداة النداء في الآيات الكريمة وتقديرها : أيوسف . . يا أيها الصديق . .  
يا أيها المرسلون . . ومن ذلك نداء الرب في أساليب القرآن الكريم ،  
فلا يسكاد يستخدم حرف النداء مع الرب بل ينادى بمجرداً من حرف النداء ،  
ولعل في ذلك تعبيراً عن شعور الداعي بقربه من ربه عز وجل ، كقوله تعالى :  
« وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُخَلِّقُ التُّرَاقِي . . » (٤) وعلى كثرة  
ما نادى الرب في القرآن الكريم ، لم يشر عليه . . سيقا بحرف النداء إلا في  
الآية الكريمة : « يَا رَبِّ إِنْ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ . فَأَصْفَحْ  
عَنَّهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَسْتَلِمُونَ » (٥) . . واسم في مجيء حرف النداء منع  
الرب في هذه الآية بصفة خاصة ، تعبيراً عن حالة نفسية ألت بالرسول  
عليه السلام . . وقد أفرغ نجهده في دعوة قومه وإنذارهم ، فلم يردم ذلك  
إلا تنادياً في كفرهم ، فأطبق الهم على فؤاده ، وكأنما شعر بتخلي الرب عن

(١) - سورة يوسف الآية ٢٩

(٢) - سورة يوسف الآية ٤٦

(٣) - سورة القدريات آية ٣١

(٤) - سورة البقرة آية ٢٦٠

(٥) - سورة الزخرف آية ٨٨ - ٨٩

نصرته بسبب كفر قومه وإعراضهم، فأراد أن يرفع صوته زيادة في الضراعة إلى الله واستجلاب رضاه، كما أن في امتداد الصمت هذا الحرف « يا » ما يلي بحالة الرسول النفسية، وكأنه وجد فيها متنفساً لإلامه وأحزانه ..

وفي نداء لفظ الجلالة يجوز استبدال ميم مشددة في آخره بحرف النداء فيقال : اللهم ، بدلا من : يا الله ، ومن ذلك قوله تعالى : « نَلِّمُ الْمَلِكِ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّنْ تَشَاءُ .. » (١)

هذا وقد ينزل الهميد منزلة القريب فينادي بالهمزة وأى، لغرض بلاغي وهو الإشعار بأنه حاضر في القلب لا يغيب عن الخاطر، حتى صار كأنه حاضر مشاهد .. ومن ذلك قول أبي فراس وهو أسير في بلاد الروم ينادي سيف الدولة :

أسيف الحمدى وقريب العرب      لإلام الجفاء وفيم الغضب ؟  
وما بال كتبك قد أصبحت      تنسكبي مع هذى النكب (٢)

فعلى الرغم من تباعدهما جاء النداء بالهمزة ليعبر عما يضره له من حُب، فهو حاضر في قلبه لا يغيب عن خاطره، وكأنه مشاهد أمامه ..  
ومثله قول الآخر :

أسكان نعمان الأراك تيقنوا      بأنكم في ربيع قلبي أسكان (٣)  
فهو ينادي أسكان هذا المسكان وقد عبر بالهمزة الموضوطة لنداء القريب لينبئ بأنهم قريبون منه ، لا يتركون فكره ولا يرحون خياله ..  
ومثله قول الآخر :

(١) سورة آل عمران آية ٢٦ .

(٢) قريب العرب : سيدهم . تنسكبي : تحبيني والمراد أن هذه نسكبة تضاف إلى نسكبة أسره .. وكتبك يسكون لثناء ضرورة : رسائك ، فردعا : كتاب ..

(٣) نعمان الأراك : اسم موضع .. والربيع : المنزل ..

أبي لا تبعد وليس بمخالد حتى ومن تصب المنون بعيد

فهو يتأدى أياً الذي أصابته المنون فصار بعيداً عنه يناديه بالهمزة أي عبر  
عن حضوره في قلبه واستقراره في فؤاده . . . وتقرأ « بسالة والد إلى  
ولده أرسلها له من مكان بعيد فقرأه يقول : « أي نهي عليك بالاستقامة  
وترك المعاصي فإن العلم نور ونور الله لا يهتدى لمعاصي ، فقد عبر بأبي في  
ندائه ابنه وهو بعيد عنه ليدل على أنه حاضر في قلبه لا يبرح خياله ولا يغيب  
عن فكره ووجدانه . .

كما قد ينزل القريب منزلة البعيد فينادي بنمير الهمزة وأبي لأغراض  
بلاغية أهمها :

١ - الإشعار ببعد منزلته وعلو مكانته ، فينزل بعد المنزلة وعلو المكانة  
منزلة البعد المسكاني ، كما في قوله تعالى : « يَا أَيَّتُهَا الْجِنُّ الشَّيْطَانُ إِن  
الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا . يَا أَيَّتُهَا النَّاسُ أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ ذَنَابٌ  
مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَسْكَونَ لِلشَّيْطَانِ وَإِيَّاهُ<sup>(١)</sup> يُؤْتِيهِم مِّنْهُم مَّا يَشَاءُونَ . يَا أَيُّهَا  
أَبَاهُ وَهُوَ قَرِيبٌ مِّنْهُ ، وقد استخدم « يا » الموضوع لنداء البعيد لينهي ببعد  
مكانته وسمو منزلته وهذا أدب الابن مع أبيه حتى ولو كان على غير دينه . .  
ومن ذلك نداءك لفظ الجلالة فتقول : « يا الله ، مع أنه أقرب إليك من  
حبيل الوريد . .

٢ - الإشعار بأن النادى وضع المنزلة منحط المسكينة وكأنه بعيد عن  
القاب ، فينزل ، هذا البعد النفس منزلة البعد المسكاني . . كما في قول جرير يهجو  
ابن أبي خليل :

نخل الفخر يا ابن أبي خليل وأد خراج رأسك كل عام

ومثله قول الفرزدق في هجاء جرير :

(١) سورة مريم آية ٤٤ - ٤٥ .

أولئك آباءى جنتى يمثلهم إذا جمعتنا يا جرير الجامع

٣- التنبيه على عظام الأمر المدعوله وعلو شأنه ، حتى كأن المنادى مقصر فيه غافل عنه مع شدة حرصه على الامتثال ، كما فى قوله تعالى : « يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ » (١) . ويحمل على ذلك كل النداءات الموجهة من الله تعالى إلى عباده : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا .. يَا أَيُّهَا النَّاسُ .. يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَمَخَّرْ .. يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ .. يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا .. » فالله عز وجل أقرب إلى عباده من حبل الوريد ، وقد جاء النداء ، بيا ، المرشحة لنداء البعيد للتنبيه على عظم الأمر الذى نودى من أجله وعلو شأنه ، وليبادر المنادى بالامتثال والاستجابة .. ومن ذلك قوله تعالى على لسان لقمان يوصى ابنه : « يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ .. يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ .. » (٢)

٤- أن يكون المنادى ناعماً أو سامعياً ، فيكون كل من النوم والسهو بمنزلة البعد الذى يقتضى علو الصوت ، كقولك : هيا عمرو استيقظ ، أيا خالد تشبه ولائسه ..

٥- أن الإشعار بقفلة المنادى عن الأمر العظيم الذى يقتضى اليقظة والانتباه ، كقولك : هيا فلان تمياً للحرب .. ومنه قول الشاعر :

يا أيها السادر المزور من صائف مهلا فإنك بالأيام متخددع

وكان غفلة هذا الغافل جعلتك تبديه عن ساحة الحضور وتزوله منزلة البعيد فتناديه نداءه .. ومنه قول مرة بن محسنان السعدي يتخاطب ربة بيته وينادىها :

ياربة البيت قومي غير صاغرة ضمى إليك رحال القوم والقربا

(١) سورة المائدة آية ٦٧ . (٢) سورة لقمان آية ١٣-١٧ .

الأغراض البلاغية التي يفيدها أسلوب النداء : - ويأتي أسلوب النداء مفيداً لمعان بلاغية كثيرة تفهم من السياق وقرائن أحواله ، فعندما تنادى القبور أو الخوق أو الهزق أو التعجب أو الويل ، فإنه يراد بهذا النداء ، مقاصد وأغراض يرعى إليها المتنادي ، كما قد يتبادى الحى العاقل لغرض آخر ، بالإضافة إلى طلب الإقبال . . . وإليك أم هذه المقاصد :

١ - الإغراء : وهو الخف على طلب الأمر الذي يتبادى له ، كقولك لمن يتظلم : يا مظلوم تسكلم ، فأنت تريد بهذا النداء إغراءه وحثه على فك الشكوى وإظهار التظلم . . وكقولك لمن يتردد في الإقدام : يا شجاع تقدم ، تريد حثه على المضي والتقدم . . .

٢ - الاختصاص : وهو تخصيص حكم علق بضمير باسم ظاهر صورته صورة المتنادى أو الماعرف بال أو بالإضافة أو بالعلية ، فقال كون الذالك على التخصيص صورته صورة المتنادى قولك أنا أفعل كذا أيها الرجل . . ونحن نقول كذا أيها القوم . . واغفر اللهم لنا أيها العصابة ، فالمراد بالمتنادى هو المتكلم نفسه والمعنى : أنا أفعل كذا متخصفاً من بين الرجال . . ونحن نقول . . تخصصين من بين الأنعام . . . واغفر لنا متخصفين من بين العصابة . . ولا مانع من نداء الإنسان نفسه كما في قول عمر رضي الله عنه : كل الناس أفتة منك يا عمر ، ومثال الاختصاص الماعرف بال : نحن العرب أسخى من نذل ، وبالإضافة قوله - صلى الله عليه وسلم - : نحن معاشر الأنبياء لأنور ، وبالعلية : بنا تمياً يكشف الضباب . . .

والغرض من الاختصاص إما تأكيد عدول الضمير . . كما في قولك : أنا أفعل كذا أيها الرجل . . وإما إظهار المسكنة والتواضع كقولك : أنا أيها المسكين أطلب الماعرف ، وإما الافتخار كقولك : نحن العرب أقرى للضيف



٣ - الاستغاثه : كقولك : يا الله . أى : أقبل علينا لإغاثتنا ..  
ومنه قول الشاعر :

يا القوم وبالأمثال قومي لأنا من عتسوم في ازدياد

٤ - الذبابة وهي بداء المذوجع منه أو المتفجع عليه ، كقولك يا رأساه ..  
يا عيناه .. واحمداه .. ومنه قول المتنبي :

واحر قلباه من قلبه شيم ومن بحسى وحالى عنده سقم

٥ - التعجب : كقولك وقد شربت ماء باردا حلوا : ، واللهاه تريد  
التعجب من برودته وخلوته .. ومنه قول امرئ القيس :

فيا لك من ليل كأن نحسومه بكل مغار الفشل شدت يئذيل  
وفول الفرزدق يهجو جريرا :

فوا عجباً حتى كليب نسبي كان أباهما نشل أو بمشاع  
وقول الآخر :

فوا عجباً كيف انفقنا فنامح وفي ومطوى علم الغيا خادر  
٦ - الزجر : كما في قول الشاعر :

يا قلب وبحك ما سمعت لنامح أما ارعويت ولا اتقيت كلاماً  
فهو يريد بالنداء زجر قلبه وتأنيبه لعدم استجابته للنصائح وارهواته  
من هواه وصباهته .. ومثله قول الآخر .

أفزادى متى فلتساب الماء تصح والشيب فوق رأسي إلى

٧ - الوعيد : كما في قول المهمل متوعدا آل بكر :

يا بكر أشروا لي كليباً بالبكر أن أن الفرار

٨ - التنبيه : وقد يأتي حرف النداء لجرد التنبيه وذلك عندما يدخل على الحروف ، كما في قوله تعالى « يَا كَيْتَبِي كُنْتُ مَمَّهْمُ فَأَفُوزُ فَوْزًا عَظِيمًا » . (١) ، وكما في قوله صلى الله عليه وسلم : « بَارِكْ كِبَاسَةً فِي الدُّنْيَا عَارِيَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

٩ - التحسر والتحزن : وذلك عند نداء الأطلال والمنازل والاطايا والقبور والأموات والويل والحسرة وما إلى ذلك ، كما في قوله تعالى : « وَيَوْمَ يَعْصُ الْقُلُوبُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا كَيْتَبِي أَنْخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا يَا وَبِلَسَى كَيْتَبِي لَمْ أَنْخِذْ فَلَانًا خَالِيًا . أَتَقْدُ أَصْلِي عَرِي الدُّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي . » (٢) وقوله تعالى : « أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ » (٣) ، فنداء الحسرة والويل في الآيتين يفيد التحسر والتحزن وإظهار الندم ، وكأنه يقول : يا وبلتني ويا حسرتني أقبلًا ، فهذا هو أرائكنا . وكأنه أي الكافر لفة ط ما هو فيه صار يتخيل أن الويل والحسرة يسمعان ويجيبان فناداهما . . وهذا يفوه عما بداخله من أحزان وآلام وتحسر وندم . .

ومن ذلك نداء القبر في قول الحسن بن مطير :

فتى عيش في معروفه بعد موته كما كان بعد السيل مجراه مرتعا  
أيا قبر معن كنت أول حفرة

من الأرض خطلت للسباحة مضجعا

ويا قبر معن كيف وأريت جوده ولو كان حبا عنقت حتى تصدعا

ونداء الميت في قول العتيبي بن مالك :

أعداء مال العيش بعدك لذة ولا لخليل بهجة بخليل

(١) سورة النساء آية ٧٣ .

(٢) سورة الفرقان آية ٢٧-٢٩ .

(٣) سورة قمر آية ٥٦ .

أعداء ما وجدى عليك بهين ولا الصبر إن أعطيته جميل

وفي قول الآخر :

دعوتك يا بني فلم تجبني فردت دعوتي بأساء عليا

وقوله :

يادرة نزع من تاج والدها فأصبحت حلية في تاج رضوان

ونداء المنازل والديار كما في قول الشاعر :

يادرمية بالعلباء فالسند أقوت وطال عليها سالف الأمد

وقول الآخر :

أما منازل سلمى أن سلك من أجل هذا بكيناها بكيناك

ونداء الناقة في قول حفص بن الأحنف السكاني :

نفرت قلوبهم من حجارة حرة بنيت على طاق اليمين وهرب

لا تنفري يا ناقة مننه فإنه شراب خر مسمر لحروب

ونداء البرق في قول أبي العلاء المبرور :

فيا برق ليس السكر خذاري وإنما رماني إليه الدهر منذ أبال

فهل فيك من ماء المصرة قطرة تفيث بها ظمآن ليس نسال

فهذا نداء تلك النداءات تمكن آلام الشعراء وأحزانهم وتصبرهم وكانهم  
لفرط ما يجدون من الوجد والاسى توهموا أن تلك الأشياء تحس وتشعر ،  
أو أرادوا أن يبرزوا ويصوروا للمخاطب أنها تشعر وتبكي ، وعليها أن  
تشاركهم آلامهم وأن تستجيب لنداءاتهم ، فالتبر في خيال الشاعر حتى يعقل  
وعليه أن يجيب نداءه ، والناقة تشعر بالآلام وتفرح لفرحها ونانس لتلك  
اللمحارة كما أنس . . والميت في قبره يشتم ويحيا ويرى ويسمع نوحاته . . .

والمنازل .. والبرق .. وغيرها .. تستجيب انداء المكروب وتشعر بالم  
المآل .. ووراء ذلك تمكن الآلامهم وأحزاهم التي تلبث من تلك  
النداءات .. وهذا هو السر البلاغى وراء نداء تلك الأشياء ...

هذا والنداء بصحب - قالبا - الأمر والنهى والاستفهام ، وكأنه يعسد  
الذفس ويهيوها لتلقى تلك الأساليب ، ولذا فهي تتقوى به ، لأن النداء يوقظ  
الذفس ويألف الذفن وينبه المشاعر ، فإذا ما جاء بمسده الأمر أو النهى  
أو الاستفهام صادى نفساً مهيأة يقظة ، فيقع منها موقع الإصابة حيث تلقاه  
بحس واع وذهن منتهبه .. ولذا كثر مصاحبة النداء لتلك الأساليب في  
"نظم الكرم على نحو ما ترى في الآيات الكريمة : يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا  
رَبَّكُمْ .. (١) .. ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ .. ) (٢) ..  
( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرُمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ .. ) (٣) ..  
( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ  
أَلِيمٍ .. ) (٤) ، وقد تجتمع هذه الأساليب جميعها كافي قوله تعالى : ( يَا أَيُّهَا  
الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ اللَّغْوِ إِنَّ نَمِّسَ الظَّالِمِينَ ) وَلَا تَجَسَّسُوا  
وَلَا يَنْتَبِهَنَّ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ أَن يَحْبِسَ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا  
فَكَرِهْتُمُوهُ .. (٥)

ويجد النداء في الآيات المذكورة - تقدم - تلك الأساليب وقد يتأخر  
عنها ، كافي قوله تعالى ( وَتَوَدُّوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ  
تُفْلِحُونَ ) (٦) .

وقد تتقوى هذه الأساليب بغير النداء ، وذلك بأن يقع بعدها ما يحث

- |                           |                          |
|---------------------------|--------------------------|
| (١) - سورة القصص آية ١    | (٢) - سورة المائدة آية ١ |
| (٣) - سورة المائدة آية ٨٧ | (٤) - سورة الصف آية ١٠   |
| (٥) - سورة الحجرات آية ١٢ | (٦) - سورة النور آية ٣١  |

عليها ، كما في قوله تعالى ( وَصَلَّ صَلَاتِهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ )<sup>(١)</sup> ، فقوله :  
( إن صلواتك سكن لهم ) حث على الصلاة وترغيب فيها .. ومنه قوله تعالى :  
( وَلَا تَعْتَلْ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِمْ إِنَّهُمْ كَفَرُوا  
بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ )<sup>(٢)</sup> فقوله : ( إنهم كفروا ) حث على  
الذهي وتنفير من الصلاة عليهم . ومن ذلك قول بشار :

بكرًا صاحبى قل المجهير

إن ذاك النجاح في التبرير

فقوله : . إن ذاك النجاح في التبرير ، حث على الأمر وترغيب فيه . . .

أسلوب التوبيخ : قالوا في تعريفه هو طلب أمر تحبه النفس وتميل إليه وترغب  
فيه ، رايكته لا يرجى حضوره إما لسكرته مستحيلًا ، أو لسكرته بعيداً لا يطمع  
في نيله . . والأداة المرشحة له هي : آيت ، تقول في تمني الأمر المحبوب  
الذي لا طمع فيه لسكرته مستحيلًا ، لا يمكن حضوره : ليت الشباب يعود يوماً . .  
ليت الكبروا كب تدنوا . . ومن ذلك قوله تعالى : ( فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى  
جِذْعِ النَّخْلَةِ قَائِلَةٌ : يَا لَيْتَنِي مِثُّ قَبْلِ هَذَا وَكَأَنِّي نَسِيًا مَنِيًّا )<sup>(٣)</sup> ،  
وقوله عز وجل : ( يَا لَيْتَنَّا كُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ  
الْمُؤْمِنِينَ )<sup>(٤)</sup> ، وقوله تعالى ( وَبِئْسَ الظَّالِمُ مَن يَدِينُ يَقُولُ :  
يَا لَيْتَنِي انْتَضَيْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا )<sup>(٥)</sup> . . فرم تعنى أن تكون

(٢) - سورة التوبة آية ٨٤ .

(٤) - سورة الأتنام آية ٢٧ .

(١) - سورة التوبة آية ١٠٣ .

(٣) - سورة مريم آية ٢٣ .

(٥) - سورة الفرقان آية ٢٧ .

قد ماتت قبل ذلك .. والكفرة يتمنون عند معاينة الحساب أن يردوا إلى الدنيا فيؤمنوا ولا يكذبوا ... والظالم يرض على يديه ندما ويتمنى أن يكون قد اتخذ مع الرسول سيلا ، وتلك الأمور الممتنعة لا يرجى حصولها أبدا لسكونها مستحيلة الوقوع . ومنه قول الشاعر :

ألا ليت الشباب يعود يوما      وأخبره بما فعل المشيب

وقول الآخر :

ليت الكواكب تدنو لي فأنظماها      عقود مدح فأرضى لكم كلبي  
فالأمر المتحى في البيت لا يرجى حصوله لسكونه مستحيل الوقوع .  
ومنه قول علي بن الجهم :

سقى الله ليلا ضمنا بعد فرقة      وأدى فؤادا من فؤاد معذب  
فيا ليت أن الليل أطبق مظلا      وأن نجوم الشرق لم تغرب

فقد ملأ لقاء الحبيب عليه نفسه ، ولم يدع فيها مجالاً لوعى أو فكر ، فأخذ يدمر بالسقيا الليل الذي ضمهما به — فرقة ، ولا معنى لسقيا الليل إلا فقدان الشاعر لوعيه وفكره ، ثم أخذ يتمنى أمراً محالاً لا يرجى حصوله وهو أن يظل الليل مطبقاً عليهما بظلامه ، وأن تبقى النجوم فلا تغرب .. وتقول في تمني الشيء المحبوب الذي يمكن حصوله ولكنه غير مطموح فيه بعد مثاله : ليت لي مالا فأحج منه ، ليتني ألقى فلانا فانتفع بمله ، والحمد هنا بعد نفسى ، مردد إلى شعور النفس وإحساسها بذلك شيء ، وقد لا يكون بعيداً بالنسبة للواقع أو العرف أو العقل ، ومن ذلك قوله تعالى :  
( فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُنَ الْإِثْمَانَ الَّذِينَ : يَا لَيْتَ لَنَا  
مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ )<sup>(١)</sup> فقد تمنوا أن يكون لهم

(١) سورة القصص آية ٧٩ .

مشبه تلك الكنوز التي تنزه مفاطمها بالعصاة أولى القوة وهي أمنية عجيبة  
لفنومهم ، وليست مستحيلة ، بل هي ممكنة الوقوع ، ولكنهم لا يطعمون  
فيها إلهد مثالم .. ومنه قول مالك بن الربيع :

الآيت شعري هل أبيتن ليلة

بحبب الغضا أرحى الفلاص النواجيا

فليت الغضا لم يقطع الركب عرضه

وليت الغضا ماشى الركاب لياليا

لقد ثمنى الشاعر في البيت الأول أن يبيت ليلة بحبب الغضا، ذلك الوادي  
الحبيب إلى قلبه ، وهذا غير محال ، ولكنه بعد المثال في نفس الشاعر الذي  
أحس بدنو أجله مخاطب صاحبيه :

فيا صاحبي رحلي دنا الموت فاحضرا

براية أني مقيم لياليا

وخطا بأطراف الأسننة مضجعي وردا على عيني فضل ردائيها

ولا تحسداني بارك الله فيكما

من الأرض ذات المرض أن توسعا ليأ

تذكرت من يبكي على فلم أجد

سوى السيف والروح الرديني يا كيا

أما ثمنه في البيت الثاني ألا يقطع الركب عرض الغضا وأن يمشى الغضا  
الركاب ، فهو ثمن للأمر المحال وقوعه وهذا ينبيء بمدى حب الشاعر وتعلقه  
بهذا الوادي .. فإذا كانت الممكن يطعم في حصوله ، صار طلبه ترجيا  
وعندئذ نستعمل فيه الألفاظ الدالة على الترجي كامل وصح .. ومن ذلك  
قوله تعالى : ( وَمَا يَذُرِيكَ لَعَلُّهُ يَزُكِّي أَوْ يَذْكُرُ فَعَفَيْتَهُ الْذُّكْرَى ) (١) ،

(١) سورة عبس آية ٣-٤ .

وقوله عز وجل: (فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْفَتْحُ أَوْ أَمْرٌ مِنْ دُونِهِ فَيُضْيِقُوا  
عَلَيْكُمْ مَا أَسْرَدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ يَكْفُرِينَ) (١) وكون الممكن مرجوا حصوله، مطبوعا  
فيه أو بعيد الحصول لا طمع فيه، مرده - كما أشرت - إلى نفس المتكلم  
وإحساسه، فمثلا إذا كنت تطلب حصول مال وتوقعه وتطمع في وجوده  
وتبته قلت مترجما: لعل لي مالا فأحج به، وإن كنت غير متوقع له ولا طمع  
لك في تمله، قلت متمننا: لبت لي مالا فأحج به ..

عرفت أن الأداة الموضوعية للتمنى هي «أيت»، وقد يتمنى بألفاظ  
أخرى غيرها لأغراض بلاغية.. ومن هذه الألفاظ أدوات الاستفهام مثل  
هل وأين ومتى، كما في قوله تعالى ( قَالُوا: رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَخْيَبْتَنَا  
اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ (٢) ) ، وقوله  
تعالى: ( فَإِذَا بَرِقَ الْبَعْرُ . وَخَسَفَ الْقَمَرُ . وَجَمَعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ . يَقُولُ  
الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفْرُ؟ . ه (٣) . ويقول من وقع في شدة بسببمذروء الما:  
متى الخلاص ؟ ، والسر البلاغي وراء التمنى بالاستفهام في الايتين هو أن  
هؤلاء لشدة دهشتهم وفرط حيرتهم طارت عقولهم فظنوا أن غير الممكن  
صار ممكنا ، فاستفهموا عنه ، ولذا فإن الدلالة على التمنى بطريق الاستفهام  
تجوز المستحيل - كما في الايتين - أو البعيد الحصول - كما في المثال - في  
صهرة المستفهم عنه الممكن الوقوع ، وهذا ينسب بكال العناية به وشدة  
الرغبة في وقوعه ..

وقد يتمنى بـ«كاف» في قوله تعالى: ( إِذْ تَبَرَأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ

(١) سورة المائدة آية ٥٣ .

(٢) سورة غافر آية ١١ .

(٣) سورة القامة آية ٧-١١ .



اتَّبِعُوا وَرَأُوا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ . وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا :  
لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَّقَرُ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأْنَا مِنَّا <sup>(١)</sup> ، وقوله تعالى : ( أَوْ تَقُولَ  
حِينَ تَرَى السَّذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ) <sup>(٢)</sup> ، وقوله  
عز وجل : ( فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ . وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ . فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً  
فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ) <sup>(٣)</sup> . فلو في هذه الآيات الكريمة نفي الذي يدل  
نصب المضارع بأن مضمرة بعد الفاء المسبوقة بها ، والفرق بين النفي بلو  
والمشتمى بليت هو أن النفي بلو يرداد المتنى فيه بعدا واستحالة وسباق الآيات  
الكريمة يذم بها ، فقد وقع هذا النفي بعد رؤيتهم العذاب وتيقنهم وقوعه ،  
وهذا ما يزيد شعورهم باليأس واستحالة الرجوع إلى الدنيا ، ويرجع ازدياد  
النفي بلو ، بعدا أو استحالة إلى طبيعة دلالتها إذ هي حرف امتناع  
لامتناع .. ومن النفي بلو شعرا قول القائل :

ولي الشباب حميدة أيامه لو كان ذلك يشتري أو يرجع

وأملك تشعر بشدة استحالة النفي في البيت وهو رجوع الشباب ،  
وازدياد بعده عن قولك : أيت الشباب يعود ، ومرد ذلك - كما قلت - إلى كون  
هـ لو ، حرف امتناع لامتناع .. <sup>(٤)</sup>

وقد يعنى بامل كما في قوله تعالى : ( وَقَالَ فِرْعَوْنُ : يَا هَامَانَ ابْنِ لِي  
صَرِّحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ . اسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلِهِ مُوسَى  
وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَاذِبًا ) <sup>(٥)</sup> ، فهلوى أسباب السموات من الأمور المستعجبة للنبي

(١) - سورة البقرة آية ١٦٧ . (٢) - سورة الزمر آية ٥٨ .

(٣) - سورة الشعراء آية ١٠٠ - ١٠٢ .

(٤) انظر دلالات التراكيب ٢١١ وبنية الإيضاح ٣٣/٢ .

(٥) سورة غافر آية ٣٦ .

لا يمكن وقوعها وهذا يقتضى استعمال أدا التمنى الأصاية : ، آيت ، ولكنه عدل عنها إلى دل ، الذى تقييد الترجي لغرض الاغى وهو إبراز التمنى المحال فى صورة الممكن القريب الحصول وذلك ل كمال العناية به وشدة الرغبة فى وقوعه . . . ومنه قول الشاعر :

أرب القطا هل من يعير جناحه

لعل إلى من قد هويت أطير

وكا تستعمل لعل فى مقام : التمنى ، فقد تستعمل آيت فى مقام الترجي ، كما فى قول جرير :

أقول لها من ليلة ليس طارها كطار الأيالى ليت صبحك نورا

فانبلاج الصبح وهو أمر مترتب الحصول أبرزه جرير فى صورة البعيد الحصول فغير عنه آيت ، وذلك لإبراز الشئ المرجو القريب الوقوع فى صورة الشئ البعيد إشعارا بعزته وامتناعه ، وهذا ينهى عن عاناة الشاعر وشعوره بامتداد الليل وطوله . . .

حروف التنديم والتحضيض : وهى : هلا وألا ولولا ولوما . . .

يرى السكاكى أن هذه الأحرف ، كأنها ما خردت من دل ، ولو ، بقلب الهاء همزة فى ، ألا ، مركبتين مع لا وما ، الزائدين ، لإفادتهما معنى التمنى ، وذلك ليتولد من التمنى الذى أفادته ، معنى التنديم فى الماضى ، كقولك : هلا أكرم صاحبك . . . لولا فأنك الأعداء ، ومعنى التحضيض فى المضارع ، كقولك : ألا تكرم صاحبك ، لوما فجهتد فى عملك ، لأن تمنى ما فات يتولد منه التنديم وتمنى ما هو آت يتولد منه التحضيض ، وهذا الوجه فى تحليل دلالة تلك الأحرف على معنئى التنديم والتحضيض مبنى على افتراض أن استعمال : هلا ولو ، فى التمنى سابق لاستعمال : هلا وألا ولولا ولوما ، فى التنديم والتحضيض ، لأنه يفترض أن المعنى الثانى ما تولد عن هذا الاستعمال ،

ولا وجه لإثبات ذلك الافتراض ، وبخاصة إذا لاحظنا أن هـل ولو لم  
توضعا للتعني ، فاستعمالها فيه لأبد أن يكون قد جاء في مرحلة متأخرة من  
استعمالها فيما وضعت له ، ويقترب على هذا أن يكون التنديم والتحضيض قد  
جاء في الطور الثالث من استعمال الكلمتين ، على الرغم من أن التنديم  
والتحضيض من المعاني التي يحسها الإنسان ويحتاج للعبارة عنها في نفس  
المرحلة التي يمر فيها عن معانيه القلبية والذهنية والتي منها التني والاستفهام  
وامتناع الشيء لامتناع غيره ، فإذا أضفت إلى هذا أن هـل ، كانت في  
الأصل بمعنى قد ، ثم أشربت معنى الاستفهام لتطول ملازمها الهمزة ، ازداد  
هذا الوجه بعداً (١) . . .

ولم يكن هذا البعد في وجه الدلالة خافياً على السكاكي ، ولذا تراه لم يقطع  
به ، بل بناه على الاحتمال حيث قال : ، وكان حروف التنديم والتحضيض ،  
هلا وألا بقلب الهاء همزة . ولولا ولوما ، مأخوذة منهما - أي من هـل ولو -  
مركبتين مع لا وما المزيدتين ، لتضمينهما معنى التني ، ليتولد منه في الماضي  
التنديم نحو : هلا أكرمت زيداً ، وفي المضارع التحضيض نحو : هلا  
تقوم . . . (٢) . . . ولذا فإني أرجح ما قاله النحاة في وجه دلالة هذه الأحرف ،  
حيث ذكروا أنها موضوعة للتنديم والتحضيض من أول الأمر . . .

التعبير بالخبر في موضع الإنشاء : يقع الخبر في موقع الإنشاء وذلك  
لأغراض بلاغية يقصد إليها البلاغي . . وأهمها ما يلي :

١ - التفاؤل وإظهار الخرص والرضا في وقوع المعنى الإنشائي وتحقيقه  
إدخالاً للسرور على المخاطب ، ويكون ذلك في ، الدعاء ، بأن يقصد المتكلم

(١) انظر دلالات التراكيب ٢١٣ .

(٢) انظر متناح العلوم ص ١٤٧ والإيضاح ج ٢ ص ٣٣ .

(١١ - عر الثاني ج ٢)

طلب الشيء وتكون صيغة الأمر هي الدالة عليه ، أو طلب الكف وتكون  
بصيغة النهي هي الدالة عليه ، فيعدل عنهما إلى صيغة الإخبار بالماضي الدالة  
على تحقق الوقوع ، وفيه إشعار بأن الدعاء للمخاطب قد حصل وتحقق ...  
من ذلك قولك لصاحبك : وفقك الله للتقوى والعمل الصالح وسدد خطبك  
ورحمك وظهر لك . والمعنى : اللهم وفقه وسدد خطاه وارحمه ، وقولك :  
لا سمعت مكرورها ولا رأيت شراً ، والمراد : اللهم لا تسمع مكرورها ، ولا تره  
شراً ، فعدل عن الأمر والنهي الدالين على الدعاء إلى الإخبار عنه بالماضي  
الدال على تحقق الوقوع تنازلاً وإظهاراً لحرص المتكلم على حدوث ذلك  
للمخاطب ، وإدخالاً للسرور عليه ... ومن ذلك قول الشاعر :

إن الثمانين - وبلغتها - قد أحوجت سمي إلى ترجمان

فقوله : وبلغتها ، دعاء للسامع ، [ والمراد : اللهم أطل عمره ، وبلغه هذه  
السن ، وقد عبر عن ذلك بالماضي إظهاراً لرغبته وحرصه على تحققه ووقوعه ..

ومثله قول الآخر :

جزى الله عنا جعفرأحسين أزلفت

بنا نعلمنا في الواحشين فزلت

وقول الشاعر في رثاء عمر رضي الله عنه :

جزى الله خيراً من إمام وباركك

يد الله في ذلك الأديم المرق

٣ - الاحتراز عن صورة الأمر أو النهي المشعرة بالاستعلاء تأديبا مع  
المخاطب حيث يقتضى المقام ذلك التأديب ، كقولك لمعلمك : ينظر إلى أستاذي  
لحظة ... لا يعاقبني أستاذي . . . ولو قلت : انظر بالأمر ، أو لا تعاقب بالسوى ،  
لكان قولك مغللاً بما يقتضيه المقام من تأديب التلميذ عند مخاطبة أستاذه . .

٣ حمل المخاطب على تحقيق المطالب وتحصيله وذلك كقول الصديق لصديقه : « تزورني غدا ، وقول الأستاذ لتلاميذه : تأتوني كل صباح .. » بدلا من زرتني واقتوني بصيغة الأمر ، وذلك لأن التعبير بصيغة الخبر يحمّل الصدق والكذب - كما عرفت - فلو أن الصديق لم يحضر لزيارة صديقه ألصق به الكذب ونسبه إليه ، وكذا التلاميذ إذا لم يأتوا كل صباح كما أخبر أستاذهم ، نسبوه إلى الكذب والصدق به ، والصديق حريص على أن ينزه صديقه ويبعده عن الكذب ، والتلاميذ يحرصون على أن يكون أستاذهم بمنأى عن الكذب ومنزها عنه ، ولذا كان التعبير بالخبر في موضع الإنشاء سائلا للمخاطب على تحقيق المطالب وتحصيله ... ومن ذلك قول النبي - صلى الله عليه وسلم - « لا يجتمع دينان في جزيرة العرب ، قلاد : لا يجتمعوا في جزيرة العرب ، بالنهي وقد جاء بصيغة الخبر حملا للسلين على تحقيق ذلك وتحصيله ، والجهاد في سبيل رفع راية الإسلام حتم ، لانعلوها راية .. » ومنه قوله تعالى « الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين »<sup>(١)</sup> قوله : « لا ينكح .. لا ينكحها » خبر أريد به النهي ، وفي بعض القراءات بالجزم على النهي ، وعلى قراءة الرفع يكون التعبير بالخبر في موضع الإنشاء أبلغ في الزجر وأكد ؛ لأنه يبين المنهى عنه في معرض الواقع المحقق رغبة في حدوثه وحرصا على تحقيقه وحثا على الامتثال وسرعة الإجابة .. »

ومثله قوله تعالى : « وإذا أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا »<sup>(٢)</sup> ، وقوله عز وجل : « وإذا أخذنا ميثاقكم لا تنفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم »<sup>(٣)</sup> فالمنهى

(٢) سورة البقرة آية ٨٣ .

(١) سورة النور آية ٣ .

(٣) سورة البقرة آية ٨٤ .

على النهى أي : لا تعبدوا إلا الله ، لا تسفكوا دماءكم ولا تخرجوا أنفسكم ، وقد عدل عنه إلى الخبر حملاً للمخاطبين على تحقيقه وتحصيله وحثاً لهم على سرعة الإجابة والامتثال ..

التعبير بالإشياء في موضع الخبر : وقد يقع الإشياء في موضع الخبر لأغراض ومقاصد يرمى إليها البلاغي .. أهمها :

١ - الاهتمام بالشئ ، كقوله تعالى : « قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ »<sup>(١)</sup> . والمعنى : « وإقامة وجوهكم عند كل مسجد ، فعدل عن الخبر إلى صيغة الأمر ، تنبيهاً إلى وجوب الاهتمام بالماءور به والحرص على تحقيقه ..

٢ - الرضا بالواقع حتى كأنه مطلوب ، كقوله صلى الله عليه وسلم : « من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار ، فالعقوب : « تبدأ مقعده من النار ، وقد عدل عنه إلى صيغة الأمر للدلالة على أنه مطلوب ، وأنه واقع يؤمر به ، وليس على الكاذب إلا الرضا وتنفيذ المطلوب وفي هذا ما فيه من الوعد والتحذير والزجر .

٣ - الاحتراز عن مساواة اللاحق بالسابق ، كما في قوله تعالى : « قَالَ : إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ »<sup>(٢)</sup> فالعنى : إني أشهد الله وأشهدكم فعدل عن ذلك إلى ما عليه النظم الكريم من التعبير بصيغة الأمر : « وأشهدوا » احترازاً عن مساواة شهادتهم بشهادة الله عز وجل ، وفيه أيضاً تعظيم لهود - عليه السلام - وإعلاء لشأنه وتحقير طؤلاء الكفرة المشركين ، حيث أبرزه الأمر في صورة الأمر الذي يوجه إليهم الأمر ، وعليهم أن ينفضوا ويدعفوا وأن يستجيبوا لما يأمر به ..

(٢) سورة هود آية ٥٤ .

(١) سورة الأعراف آية ٢٩ .

تنوع الأسلوب بين الخبر والإنشاء : وبعد أن عرفت الأساليب  
الإنشائية والخبرية ، وما بينهما من فروق دقيقة ، وما في اللغة العربية من  
طواعية لصرف الجملة عن الإنشاء إلى الخبر ، وعن الخبر إلى الإنشاء ...  
يلبغى لك أن تعلم أن المتكلم البليغ والأديب المقتدر هو الذي يعرف مواطن  
الكلام وما يقتضيه كل موطن منها ، فيورد كلامه وبضوح عباراته ملائمة  
للمقام ... وتنويع الأسلوب بين الخبر والإنشاء مما يجذب السامع ويحرك  
فكره ويدعوه إلى المشاركة بوجدانه وأحاسيسه ، فعلى البليغ مراعاة ذلك ،  
وأن يعرف المواطن التي تحتاج إلى حدة وانفعال وإثارة وتحريك فيورد فيها  
الأساليب الإنشائية من أمر ونهي واستفهام وتعجب وترج و تمن وفداء ،  
وأن يعرف المواطن التي تقتضى المرد والحسكاية ، فيورد بها الجمل الخبرية  
وأمم البليغ نماذج ثرية وأمثلة حية من الشعر العربي ... انظر إلى الشعر  
الجاهلي وتبين كيف كان الشاعر يتساءل ويأمر صاحبيه ويتمنى ويصف ناقته  
ورحلته ويتمعج بما يرى ويشاهد ، فتأتي أساليبه ملائمة للمقامات ومبنية على  
التنوع الذي يجذب السامع ويسرعه انتباهه .

## الفصل الثالث

### الفصل والوصل

الفصل والوصل بين المفردات أو بين الجمل باب دقيق الجزى لطيف المنرى ، جليل المقدار ، كثير القوائد ، عزيز الأسرار ... وقد تنبه العلماء قديماً لهذه هذا الباب وجعلوه البلاغة بأسرها حيث سئل أحدهم عن البلاغة فقال : البلاغة معرفة الفصل من الوصل (١) ... وقال عبد القاهر : ، وأعلم أنه ما من علم من علوم البلاغة أنت تقول فيه : إنه خفي غامض ودقيق صعب إلا وأعلم هذا الباب أغمض وأخفى وأدق وأصعب ... (٢)

والوصل معناه العطف ؛ عطف الكلام بعضها على بعض ، سواء أكان هذا العطف للمفردات أم للجمل ، وسواء أكان بالواو أم بنبرها كالفاء وشم ودأو... والفصل هو ترك العطف ، هذا ما ذكره السكاكي .. ولكن البلاغيين جرت عادتهم في حديثهم عن الفصل والوصل أن يتجاوزوا عطف المفردات وعطف الجمل التي لها محل من الإعراب ، مملين ذلك بأن عطف المفردات وكذلك الجمل التي لها محل من الإعراب ، أمره بين وبين ، إذ لا يقصد به سوى مجرد التشريك في الحكم الإعرابي ، أما دقة الفصل والوصل فإنما تظهر في الجمل التي لا محل لها من الإعراب ... كما تجاوز البلاغيون العطف بنبر الواو قائلين : إن الواو من بين حروف العطف هي التي لا تفيد سوى مجرد الإشراك في الحكم ومطلق الجمع ، فالعطف بها دقيق مشكل ، أما غيرها من حروف العطف فتفيد مع التشريك في الحكم معاني أخرى ، فالفاء تفيد :

(١) انظر البيان والتبيين ١/٨٨٠

(٢) دلائل الإعجاز ص ٢٣٧ .



الترتيب والتعقيب ، وشم تفيد الترتيب والتراخي و ، أو ، تفيد تردد الفعل بين شيئين أو التخيير أو الإباحة ، ولذا لم يشكل العطف بتلك الأحرف . (١) . وهذا الذي ذكره وإن كان لا يخلو من الصحة ، إلا أننا لا نعدم دقته وأسراراً خفية نجد ما كوامنه وراء العطف بغير الواو ، كما أننا لا نعدم وجوهاً أدق وأسراراً أخفى تكن وراء عطف المفردات والجل التي لها محل من الإعراب . . . ولذا فإننا سنبدأ دراستنا للفصل والوصل بالإشارة إلى هذه الدقائق وتلك الأسرار . . .

العطف بغير الواو : انظر إلى قول الله عز وجل : « وَآتَيْنَا خَلْقَنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ . ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَسْكِينٍ . ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَوَّنَّا الْإِنْسَانَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ » (٢) ، نجد أن الجمل قد وصلت في الآيات الكريمة بحرفي العطف ، ثم ، و ، والفاء ، و وراء الوصل بهذين الحرفين تكمن الدقائق والظوائف ، فقد بدأت بالخلق الأول ، خلق آدم عليه السلام من طين ، ولما أريد وصله بالخلق الثاني ، خلق التناسل ، عطف عليه بهم لما بينهما من التراخي ، ثم تحدثت الآيات عن أطوار الخلق ، فوصلت خلق العلقة بالنطفة ، بهم ، لما بينهما من التراخي ثم توالت الأحوار خلق المضغ فالعظام فكساء العظام لحماً ، موصولة بالفاء ، حيث لم يكن هناك تراخي بينها ثم وصل ثمرة ، إنساناً بكساء العظام لحماً بحرفي العطف ، ثم ، إشارة إلى التراخي بينهما (٣) . . هذا وعندنا تتاهل ما عطف بهم تجده أدق وأبعد ما عطف بالفاء ، فقد نزل الاستبعاد عقلاً أو رتبة منزلة التراخي والبعده

(١) انظر دلائل الإعجاز ص ٢٣١ والإيضاح ٦٢/٢ .

(٢) سورة المؤمنون آية ١٢ - ١٤ .

(٣) ارجع إلى الطراز ج ٢ ص ٤٤ ، ٤٥ .

الحسى ، فعطف بـثم ونزل القرب عقلا أو رتبة منزلة القرب الحسى ، فعطف بالفاء .. (١) ثم جاء قوله تعالى : « تبارك الله أحسن الخالقين » معطوفاً بالفاء على تلك الجملة التي جلت أطوار الخلق في هذا النظم المبدع لتنبه الإنسان إلى ما يجب عليه من المبادرة والإسراع إلى تعظيم الله عز وجل والإشادة بحسن خلقه وعجيب صنعه ، ولهذا نطق أكثر من صحابي بختام الآيات الكريمة : « تبارك الله أحسن الخالقين » قبل أن يليها النبي - صلى الله عليه وسلم - لسكاتب الوحي ، ويبتسم النبي عليه الصلاة والسلام قائلاً : « هكذا نزلت » .

وتأمل قوله تعالى : « قِيلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ . مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ . مِنْ نُطْقِهِ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ . ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرَهُ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ . ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ » (٢) ، ولاحظ كيف جاء تقدير الإنسان موصولاً بخلقته وإيجاده بالفاء : وخلقته فقديره ، تنبيهاً على أن التقدير مرتب على الخلق وأنه لا تراخي بينهما . وكذا عطفت إنباره على موته بالفاء أيضاً ، وأماته فأقبره ، إذ لا مهلة بين الموت والإقبار ، ولما كان المراد بين تيسير السبيل وتقدس خلقته ، وبين التيسير والإماتة ، وبين الإقبار والنشر جاءت هذه الجملة موصولة بـثم التي تفيد امتداد الزمن وإعطاله المسافة : ... فقدره ثم السبيل يسره ثم أماته فأقبره ثم إذا شاء أنشره . . . . . وخذ قوله تعالى : « الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ . وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ . وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ وَالَّذِي يُعِدُّنِي ثُمَّ يُحْيِينِ » (٣) وتأمل كيف عطفت الهداية هنا على الخلق بالفاء ، وخلقته فهو يهدين ، ، بينما عطفت على الخلق والتقدير في سورة هيس بـثم : « من نطقه خلقه فقدره ثم السبيل يسره . . . » ويرجع هذا الاختلاف إلى السياق والمقام ، فالآيات في سورة الشعراء تتحدث عن إبراهيم - عليه السلام - والعطف بالفاء يفي بقوة يقينه وكمال

(١) انظر روح المعاني ج ١٨ ص ١٥ .

(٢) سورة هيس آية ١٧ - ٢٢ . (٣) سورة الشعراء آية ٧٨ - ٨١ .

إيمانه بربه ، فقد بلغ إيمانه مبلغاً جعله لا يعتمد بما بين الخلق والهدايا من طول الزمن وامتداد المسافة ، ولذا عطف هدايته على خلقه بالفاء : « خلقني فهو يهدين » ، أما في سورة عبس فالحديث عن الكافر ، قتل الإنسان ما أكفره . . . ولهذا جاء العطف بضم . . . وانظر في بتمية الآيات تجد عطف السقى على الإطعام بالواو إذ المراد الجمع بينهما دون مراعاة لترتيب ، وقدم الإطعام على السقى مراعاة لحسن النظم ونساق الآيات . ثم جاء عطف الشفاء على المرض بالفاء ، إشارة إلى حدوث رجى والشفاء عقب المرض وربيه عليه ، وتليها إلى عظم المنة بالعافية بعد المرض بلا تراخ ، وانظر إلى حسن الأدب حيث أسند الشفاء إلى الله تعالى دون المرض ومرضت . . . يشفيني . . . ثم عطف الإحياء على الإمامة بضم لما بينهما من التراخي وامتداد الزمن .

وهذا السياق هو الذي يحدد كيفية الوصل بين الجمل ويبين حرف العطف الذي يتحتم استخدامه دون غيره ، انظر في قوله تعالى : « وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاؤُهُ إِنَّا جَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ آكِنَّةً أَنْ يَتَذَكَّرُوا فِي آذَانِهِمْ وَقُرْآءِ » (١) . ثم تأمل قوله عز وجل : « وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ » (٢) نجد أن سياق الآية الأولى يتحدث عن الكفرة الذين ما زالوا يحIRON . . . بما تدوز وبكابرون ، ويرفضون قبول الهداية . . . « وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْمَدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا » فهؤلاء يمرضون عن الآيات فور تذكيرهم بها ولذا ناسب العطف بالفاء التي تفيد التعقيب : « ذكر بإيات ربه فأعرض عنها » ، أما سياق الآية الثانية فتحدث عن الجرمين الذين انتهت حياتهم ومانوا على الكفر . . . « ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ

الَّذِي كَفَرْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ . وَلَتَذُقْنَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ دُونَ  
 الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ (١) فهو لاء قد استمرت تذكيرهم في الدنيا والآيات وامتد زمانا  
 بعد زمان ثم أعرضوا عنها [عرضا نهائيا بالموت وهذا بلاغته العطف بضم  
 التي تفيد الامتداد والترادف] . ذكر آيات ربه ثم أعرض عنها لئلا من  
 الجرمين منتقمون . . .

وبهذا يتضح أن العطف بغير الواو يكون وراه من الدقائق والأسرار  
 واللطائف ما ينبغي إظهاره وتجليته ولا يمكن إغفاله والتغاضي عنه . . .

عطف المفردات : يذكر بعض البلاغيين أن المفردات بعطف بعضها  
 على بعض بالواو إذا كانت متناسبة متجانسة ، كافي قوله تعالى :  
 « قُلْ إِنْ صَلَّيْتُمْ وَأُسْكِي وَتُحْيِيكَ وَتَمَّانِي اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ » (٢) فالصلاة  
 والنكاح والحيا والميات أسماء متناسبة ، وكذا قوله تعالى : « قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ  
 زَنَى الْفَوَاحِشِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِنَّمِ وَالْبَغْيِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ  
 تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ » (٣)  
 فالفواحش والإثم والبغي والشرك والقول على الله ما لا يعلمون ، النافذ  
 متجانسة متناسبة . ومثله قوله تعالى : « آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ  
 رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَعَلَائِكْتِهِ وَكُتِبَ لَهُمْ سُلُوكُ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ » (٤)  
 فالله والملائكة والكتب والرسل أسماء بينها تناسب وتوافق . وهذا الذي  
 ذكره البلاغيون غير شديد ولم يعلم لهم ، لأن التناسب بين الألفاظ والتلازم  
 والتجانس بين الكلمات مطلوب سواء أعطفت هذه الكلمات أم لم تعطف ،  
 وقد ذكرنا ذلك في علم البديع ونسوه : « مراعاة النظير » فقلت - كما ينبغي له

(١) سورة السجدة آية ٢٠ ، ٢١ (٢) سورة الأنعام آية ١٦٢  
 (٣) سورة الأعراف آية ٣٣ (٤) سورة البقرة آية ٢٨٥

أن يراعى التناظر والتجانس والتآلف بين ألفاظه وألا يباعد في القول ..  
ولذا عاب نصيب على السكيت قوله :

أم هل ظمائن بالمايا بالهنة

وإن تكامل فيها الأنس والشنب

فقد عقد عقدة عند سماعه ، ولما سأله السكيت : ماذا تعنى ؟ أجاب : خطأك ،  
باعدت في القول ، ابن الأنس ، من الشاب ؟ ألا قلت كما قال ذو الرمة :

لمياء في شفتها حبرة لعمس وفي اللثات وفي أسنانها شنب

وطاب النقد قول أبي تمام يمدح أبا الحسين محمد بن الهيثم :

رعمت هراك عفا العداة كما عفا عنها حلول باللوى ورسوم

لا والذي هو عالم أن النوى صبر وأن أبا الحسين ككرم

مازلت عن سنن الوداد ولافت

نفسى على إلف مسواك تحوم

حيث جمع بين مرارة النوى وكرم أبي الحسين وهما متباعدان لا تجانس  
بينهما ، والذي أرقع أبا تمام في هذا العيب هو محاولته التخلص من القول  
والانتقال إلى المديح ، ولكنه لم يحسن التخلص ووقع فيما وقع فيه من عدم  
التجانس بين مرارة الفراق وكرم الممدوح ... وقد انتهر البعض لأبي تمام  
فقالوا : الجامع خيالي لتفاوتهما في خيال الشاعر ، أو وهى وهو ما بينهما من  
من شبه التضاد ؛ لأن مرارة النوى كالضد لحلاوة الكرم ، أو التناسب ،  
لأن كلا منهما دواء فالصبر دواء للأمل ، والكرم دواء للفقر ، وكل هذه  
تكلفات باردة ، لا تبرر خطأ أبي تمام ، إذ الممتد به هو التناسب الظاهر بين  
الكلمات والألفاظ ... وخلاصة القول أن التناسب والتجانس والتآلف  
بين الألفاظ ليس مقصوداً على كونها معطوفة ، بل لابد من مراعاة النظر بين  
أفراد سواء أكانت معطوفة أم غير معطوفة ..

كما يذكر البلاغيون أن الصفات لا يعطف بعضها على بعض إلا إذا كانت متضادة كما في قوله تعالى : « هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ » (١) أما إذا كانت غير متضادة فإنها تذكر بلا عطف كما في قوله عز وجل : « هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ التَّوَكُّلُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُتَمَيِّنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُخَوِّصُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى » (٢) والنظر إلى قوله تعالى : « عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَفْنَا لَنْ نُؤْتِيَنَّكَ إِتْمَانًا كَمَا إِتْمَانًا كَرِيمًا » (٣) نجد أن الصفات قد توالت بلا عطف إلا في ثبوت وأبكاراً، فقد عطفنا لما بينهما من التضاد .

ومن ذلك قوله تعالى : « التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْمُؤْتَمِرُونَ السَّامِعُونَ الرَّاسِخُونَ الْأُمُورَ الْمُتَعَرِّفُونَ وَالْقَاهُونَ عَنِ الْكُفْرِ » (٤) توالت الصفات بلا عطف ماعدا صفتي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقد جاءت الواو بينهما لأنهما متضادان ... وعندما يرى هؤلاء البلاغيون أن الواو قد جاءت بين صفتين ليس بينهما تضاد يحاولون أن يتلمسوا وجهاً من التضاد بينهما ، كما في قوله تعالى : « حَمْدٌ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّلَوِّ » (٥) حيث عطف في الآية : « قابل التوب ، على غافر الذنب ، وهما غير متضادين ولا يمكن البلاغيين يتسفسفون عندما يحاولون إثبات وجه من التضاد بين الصفتين في الآية الكريمة ... فقد ذكروا أن المغفرة ترجع إلى السلب ، لأن معنى

- |                              |                                  |
|------------------------------|----------------------------------|
| (١) - سورة الحديد الآية ٣ .  | (٢) - سورة الحشر الآية ٢٣ ، ٢٤ . |
| (٣) - سورة التحريم الآية ٥ . | (٤) - سورة التوبة الآية ١١٢ .    |
| (٥) - سورة طه الآية ١ ، ٣ .  |                                  |

و غافر ، الذي لا يفعل العقوبة مع الاستحقاق ، وقبول التوبة يرجع إلى الإثبات ، لأن معناه قبول التندم والعذر وبين الساب والإثبات تضاد ... وقالوا أيضاً : إن الجمع بينهما لسر لطيف وهو إقادة الجمع للمذنب التائب بين رحمتين ، بين أن تقبل توبته فتسكتب له صاعة ، وبين أن تمنح ذنوبه ، كأنه لم يذنب ... وقالوا : إن المغفرة مختصة بالعبد وقبول التوبة مختص بالله تعالى ، فأنه عز وجل يفرح حيناً من تلقاء نفسه بفضلنا ، وحيناً يدعو عن المذنب بسبب ندمه واعتذاره وتوبته (١) ...

وما من ريب في أن هذا تعسف ظاهر ، ونحن في غنى عنه خاصة وأن ما قالوه من أن الصفات المتضادة يجب فيها لمعظم بالواو قول غير سديد ، فقد نرد الصفات متضادة وبدون عطف كما في قوله تعالى : « إِذَا وَقَعَتِ الرَّاغِبَةُ . لَيْسَ لِقَوْمِهِمْ كَأَذِيبُ حَافِضَةٍ رَائِقَةٌ » (٢)

وكما في قول امرئ القيس :

مكر مفر ، فقبل مدر ، وما كجلمرد صخر حطه السيل من ، عل

كما ترد الصفات غير متضادة ومطوقة ، مثل الآية المذكورة : « غافر الذنب وقابل التوب .. » ومثل قوله تعالى : « الَّذِينَ يَتُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا أَمْنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ . الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالْمُسْتَقِيمِينَ وَالْمُتَّقِينَ الَّذِينَ هَمَّ بِالْجَبْرِ » (٣) ، وقوله عز وجل : « إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَائِمِينَ » (٤) ، فالأولى والأجدر أن نهم الدراسة البلاغية بالبحث عن الأسرار الكامنة وراء الواو وأن تكشف وتجلي سر مجيئها حين تأتي و سر تركها حين تترك ، فذه ال أو تفيد

(٢) سورة الواقعة آية ١ ، ٣ .

(١) انظر الطراذ ٢٦/٢ .

(٤) سورة الأحزاب الآية ٢٥

(٣) سورة آل عمران الآية ١٧، ١٦

التغاير وعندما تأتي بين الصفات فإنها تفيد كمال انصاف الموصوفين بكل صفة منها على حدة ، انظر إلى قوله تعالى : ، الصابرين والصادقين والقانتين ... تجد أن الواو ذلك على كاطم في كل واحدة منها (١) .. ، عندما تترك الواو وتأتي الصفات متوالية بلا عطف فإنها تفيد كمال اجتماعها في الموصوف ، نجد قوله تعالى : ، الثائمين العابدون الحامدون السائحون ... الآية .. ، وقوله : .. مسلمات مؤمنات قانتات ... ، وتأمل ، فستجد أن ترك الواو أفاد أن هذه الصفات مجتمعة في الموصوفين ، وكأنها صفة واحدة ، فقد ذكر الواو بين الصفات يفيد أنهم كاملون في كل صفة على حدة ، وتركها يفيد أنها مجتمعة فيهم .. (٢)

وعلى هذا فقول امرئ القيس .

مكر مفر مقبل مدر معا كجلود صخر حطه السيل من عل  
يفيد أن هذه الصفات قد اجتمعت في الجواد في وقت واحد من غير أن تكون مستقلة متغايرة ، ولو أنه قال : مكر ومفر ومقبل ومدر ، لما صح أن يقول معا .. وكذا القول في الآية الكريمة ، ليس لوقتها كاذبة خائفة رافعة .. أي : منخفضة وترفع في زمن واحد ، ويقع منها الفعلان معا ، ولو قيل في غير القرآن خائفة ورافعة ، لم يند ذلك .. وكذا قولنا : فلان كاتب شاعر يخالف : فسلان شاعر وكاتب ، فالأول أفاد اجتماع الكتابة والشعر ، والثاني أفاد كمال انصافه بكل صفة على حدة ..

وكما تفيد الواو بين الصفات ، فقد تأتي بين الصفة والموصوف وبين الحال وصاحبها سواء أكانت الصفة مفردة أم جملة وسواء أكان الحال مفرداً أم جملة . انظر إلى قوله تعالى : لا وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ

(١) انظر الكشاف ١/٢١٢ .

(٢) انظر الكشاف ٢/٢٤٦ .



لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ»<sup>(١)</sup> فالفرقان صفة للكتاب ، وقد عطفت عليه بالواو ،  
وأقاد هذا العطف الجمع بين كونه كتاباً مبرلاً ، وفرقانا يفرق بين الحق  
والباطل ، وخذ قوله تعالى : « وَاتَّذِرْ آتِيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءُ  
وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ »<sup>(٢)</sup> ، ضياءً وذكراً ؛ حال متلدة للفرقان ، وقد جاءت  
بالواو لتفيد الجمع بين كونه فرقانا وضياءً وذكراً ..<sup>(٣)</sup>

واقراً قوله عز وجل : « سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّأَيْبُهُمْ كَذِبُهُمْ وَبِئْسَ الْقَوْلُ  
سَخِطَةً سَادِسْتُهُمْ كَذِبُهُمْ رَجْمًا بِالنَّبِيِّ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَنَامِيْنُهُمْ كَذِبُهُمْ  
قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِوُدِّيْنِهِمْ .. »<sup>(٤)</sup> فقد عطفت الواو جملة الصفة « نَامِيْنُهُمْ كَذِبُهُمْ »  
على الموصوف ، سبعة ، وهذا العطف أقاد - كما ذكر الزمخشري - شدة لصوق  
الصفة بالموصوف ، وهذا يزدن بثبات تلك الصفة وصوابها ، ولذا قال بعد  
القرآين الأولين ، رجماً بالنبي ، ، وجاء عقب هذا القول : « ما يعلمهم  
إلا قليل .. »<sup>(٥)</sup> .

وإقادة الواو لشدة لصوق الصفة بالموصوف ، يمكن وراء ما تفيد من  
معنى التخيير ، فكان القائلين قد قالوا قولين ، قالوا : سبعة وقولوا : ثامنهم  
كذبهم ، ويتضح هذا في قولنا : جاء محمد غلامه يسمى بين يديه ، وجاء محمد  
وغلامه يسمى بين يديه ، فالأول إخبار عن مجيء هذا حاله ، والثاني إخبار  
عن المجيء - وعن حاله وكأنك بعد الإخبار بالمجيء استأنفت إخباراً آخر عن  
حال المجيء ..<sup>(٦)</sup>

وتأمل الآيتين : « وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْبَةٍ إِلَّا لَمْ نَكُن مِّنْهُم مِّنْ شَرِّهِمْ .. »<sup>(٧)</sup>

- (١) - سورة البقرة الآية ٥٢ . (٢) - سورة الانبياء الآية ٤٨ .  
(٣) انظر الدلائل ص ١٣٣ والكشاف ١/١٠٤ . (٤) انظر الكشاف ٢/٥٥٧ .  
(٥) انظر الكشاف ٢/٥٥٧ . (٦) انظر الدلائل ص ١٤١ .  
(٧) سورة الشعراء الآية ٢٠٨ .

« وَمَا أَحْسَنَّا مِنْ قَرِينَةٍ إِلَّا وَهِيَ كِتَابٌ مَنكُومٌ... »<sup>(١)</sup> نجد أن الكتاب بما يمكن إخفاؤه وإنكاره ، أما المندزون فلا يتأتى إنكارهم ، ولهذا جاءت الواو بين الموصوف وجملة الصفة في الآية الثانية لتؤكد لصوق الصفة بموصوفها ، دفعا لما قد يقع من إنكار ، وجاءت الآية الأولى بدون الواو ، لأنها لا تحتاج إلى هذا التأكيد ، وجاء التأكيد - كما قلنا - من إقادة الواو لمعنى التغاير ، وكذلك تبديى بها إخبارا آخر ، ففرق بين أن تذكر قرينة هذه الصفة جزء منها ، وأن تذكر قرينة ثم تبديى وصفاً لها .<sup>(٢)</sup>

وقد زعم بعض البلاغيين أن الواو لا تدخل بين الصفة والموصوف فلا تقول : جاء زيد والكريم ، على أن الكريم هو زيد ، لأنه يستحيل عطف الشيء على نفسه ..<sup>(٣)</sup> ولا يخفى عليك الآن رد هذا الزعم ، كما لا يخفى عليك أن عطف الصفة على الموصوف ، ليس عطفاً للشيء على نفسه ، بل إن الصفة تفيد معنى آخر ومرجع ذلك إلى ما تفيد الواو من معنى التغاير ...

هذا وعندما ننظر في المفردات المعطوفة ، وترتيبها في الكلام وتقديم ما قدم منها وتأخير ما أخر ، نجد كثيراً من الدقائق واللطائف والاعتبارات البلاغية .. تأمل قوله تعالى : « وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ... »<sup>(٤)</sup> وقوله عز وجل : « وَذَعْنَى رَبِّكَ إِلَّا نَهَبُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا... »<sup>(٥)</sup> ، نجد أن عطف الوالدين والأرحام على ضمير لفظ الجلالة يدعو إلى الاهتمام بهم ، ويلفت وينبه إلى ما ينبغي لهم من حسن الرعاية ، وجميل المعاملة ، فلا يخفى عليك ما بين المعطوف والمعطوف عليه من تباعد وتباين وفي اقتراحه به تشریف وتعظيم وحث على مزيد من البر والعطف ...

(٢) انظر دلائل الإعجاز ص ١٣٣ .

(٤) سورة النساء آية ١ .

(١) سورة الحجر آية ٤ .

(٣) انظر الطراز ٣/٣٤ .

(٥) سورة الإسراء آية ٢٣ .

• وترى في قوله تبارك وتعالى :

« وَنُسَيْبِيهِمْ جَمًّا خَافِقْنَا أَنْعَامًا وَأَنْعَامِيْ كَثِيْرًا .. » (١) ، تقديمًا للأنعام على الأناسي ؛ لأن في حياة الأنعام حياة الأناسي . . . وقد يكون في التقديم تبظيم وتشريف للمقدم كما في قوله تعالى : « فَأَرْسَلْنَاكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالْمُسْتَضِيْعِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالْمَسَائِلِينَ وَحَسَنَ أَوْلَادِكَ رَافِعًا .. » (٢) وقوله عز وجل : « وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ .. » (٣) .

وقد يكون التقديم للترقي من العدد التاميل إلى العدد الكثير كما في قوله تعالى : « فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ .. » (٤) وقوله : « .. جَائِلِ السَّمَلَاتِ كَرِ رُسُلًا أُولِيْ أَجْبَحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ .. » (٥) أو للتعدي من الكثير إلى التاميل كما في قوله تعالى : « قُلْ إِنَّمَا أُعْطِكُمْ بِوَأَحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى .. » (٦) ، أو مراعاة للتقدم الزمني كما قوله عز وجل : « وَعَدْنَا نَلْقَيْكُمْ هَخَابًا فِي الْقُبُورَاتِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ .. » (٧) إلى غير ذلك مما يمكن وراء عطف المفردات من دقائق وأسرار ...

• • •

الوصل والمصل بين الجمل : - عرفنا فيما سبق أن الجمل نوعان : جمل لها محل من الإعراب ، وجمل لا محل لها من الإعراب ، كما عرفنا أن الجمل التي لها محل من الإعراب حكمها حكم المفرد ، لأنها تقع موقوفة وتأخذ حكم الإعراب ، فالمعطف عليها يكون بمثابة المعطف على المفرد ..

- |                             |                            |
|-----------------------------|----------------------------|
| (١) - سورة الفرقان آية ٤٩ . | (٢) - سورة النساء آية ٦٩ . |
| (٣) - سورة التوبة آية ١٠٠ . | (٤) - سورة النساء آية ٣ .  |
| (٥) - سورة فاطر آية ١ .     | (٦) - سورة سبأ آية ٤٦ .    |
| (٧) - سورة التوبة آية ١١١ . |                            |

يقول جيب القاهر : « الجمل المطفوف بعضها عنى بعض على ضربين ، أحدهما : أن يكون المطفوف عليها موضع من الإعراب ، وإذا كانت كذلك ، كان حكمها حكم المفرد ، إذ لا يكون للجملة موضع من الإعراب حتى تكون واقعة موقع المفرد ، وإذا كانت الجملة الأولى واقعة موقع المفرد ، كان عطف الثانية عليها جاريا مجرى عطف المفرد وكان وجه الحاجة إلى الواو ظاهرا ، والإشراك بها في الحكم موجودا . » (١) . . . وهذا لا يعنى أن الجمل التي لها محل من الإعراب لا تخضع لما تخضع له الجمل الأخرى التي ليس لها محل من الإعراب بل هي خاضعة لما تخضع له وما يجرى على هذه من أحكام الفصل والوصل يجرى على تلك ، بالإضافة إلى أن الجمل التي لها محل من الإعراب تختص بخضوعها لهذا الحكم الظاهر وهو وقوعها موقع المفرد ، فإذا أردنا إشراك الجملة الثانية للأولى في حكمها الإعرابي عطفنا بالواو مع مراعاة المناسبة أو الجهة الجامعة التي تسوغ العطف ، وإذا لم نرد التشريك في الحكم الإعرابي يمتنع العطف . . . فتمالوا ننظر في هذا الحكم الذي تختص به الجمل التي لها محل من الإعراب ، ثم نمضى بعد ذلك إلى مواضع الفصل والوصل التي تخضع لها جميع الجمل . . .

متى توصل الجمل التي لها محل من الإعراب ؟ ومتى يتعين فصلها ؟ : -  
توصل الجمل التي لها محل من الإعراب ، إذا قصد تشريك الثانية للأولى في حكمها الإعرابي ، وكان بينهما مناسبة ، أى : جهة جامعة تسوغ العطف ، كما في قوله تعالى : « مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ .. » (٢) جملة « يقبض » و« ت » خيرا للفظ الجلالة ، وجملة « يبسط » عطفت عليها بالواو ، لأن المقصد إشراك الثانية للأولى في الحكم الإعرابي وهو وقوعها خيرا للابتداء ، وبين الجملتين تناسب ، إذ المسند إليه في كل منهما واحد وهو الله عز وجل ، وبين

(١) دلائل الإعجاز ١٤٦ . (٢) -سورة البقرة آية ٢٤٥ .

المستدين ، يقبض ويبسط ، تضاد قهزاً متناسبان ، وضر بلاغة الوصل في هذا  
الموطن أن الآية الكريمة تصور عظمة القادر ، وأنه بيده الأمر وإليه المرجع ،  
فالجمع بين القبض والبسط مما يحقق ذلك ، ولو ترك العطف فقيل في غير القرآن :  
واقه يقبض يبسط بدون الواو ، لكان ذلك موهماً أن قولنا : يبسط ،  
رجوع عن قولنا : يقبض وإبطال له ، وما يبرز تلك العظمة أيضاً : عطف  
جملة ، وإليه ترجعون ، على جملة ، واقه يقبض ويبسط ، لما بينهما من التوسط  
بين السكابين وعدم المانع من العطف الآتي بيانه . وانظر إلى ما أفادته الآيات ،  
في قوله : فيضاعفه له ، من الترتيب والتعقيب ... نظم بديع ودقائق عجيبة ،  
المتصدق المنفق في سبيل الله كأنه يقرض الله قرضاً حسناً ، واقه عز وجل  
يسجل له الثواب بل ويضاعفه له أضعافاً كثيرة ، والذي يمدد بمضاعفه الثواب  
هو الله القادر .. الذي يقبض ويبسط وإليه المرجع والمآل ... حدث على  
البنل والعطاء وتأكيد للإجابة ما بعده تأكيد ..

ومن أمثلة العطف لقصد التثنية في الحكم الإعرابي قولنا : فلان يعطى  
ويمنع ويضر وينفع ويأمر وينهى ويحسن ويسوء ويحل ويحقد ... تجد أن  
الواو قد أضفت على الماهي قوة وظهوراً حيث أوجبت للمستند إليه الفعلين  
مما جعلته يفعله ما جميعاً ، ولو قلت : يعطى يمنع .. يضر ينفع ، من غير  
واو لم يجب ذلك ، بل قد يجوز أن يكون رجوعاً عن الأول وإبطالاً له ..  
وغالباً ما تستعمل مثل هذه الأساليب في مقام المدح الذي يحتاج إلى المبالغة  
وإظهار قوة الفعل (١) ...

تأمل قول أبي تمام مادحا :

طان علينا أن نقول وتفعلنا

. وتذكر بعض الفضل منك وتفعلنا

(١) انظر دلال الإعجاز ١٤٨ .

تجد أن جملة : « أن نقول ، قد رعت فاعلا للفعل ، هان ، ثم اشتركت معها بقية الجمل في هذا الحكم فعلقت بالواو ، ولو أردت إسقاط هذه الواو ما استطعت إلى ذلك سبيلا ؛ لأنك تجد المعنى يمتنع عليك ، حيث أراد أبو تمام أن يجمع بين مدحه وكرم المدوح وبين ذكره لبعض فضائل المدوح وزيادة المدوح في العطاء . . . فأى واو تطارعتك في الذهاب دون أن يضيغ المعنى الذي قصد إليه الشاعر . ؟

وتأمل قول الآخر :

لا تطمعوا أن تهينونا ونكرمكم  
وأن تكف الأذى عنكم وتؤذونا

تجده قصد قصد إلى الجمع بين الإهانة والإكرام وبين كف الأذى والإيذاء ، ولا يخفى عليك مدى الترابط بين هذه الجمل ، وأنت لو حاولت نزع جملة منها لاختل المعنى وضاع غرض الشاعر . .

ومن ذلك قول المتنبي :

وللسر منى موضع لا يناله نديم ولا يفضى إليه شراب  
فقد اشتركت الجملتان : « لا يناله نديم ، ولا يفضى إليه شراب » في وقوعهما صفة لموضع ، ومقام المبالغة في كتمان السر يقتضى هذه المشاركة . .  
ومثله قول المعري :

وحب العيش أهد كل حر وعلم ساقبا أكل المرار

اشتركت الجملتان : « أهد كل حر ، وعلم ساقبا أكل المرار » في وقوعهما خبرا للمبتدأ « حب العيش » ، ولو أسقطنا الجملة الثانية لضاع غرض المعري ، حيث أراد : أن حب الحياة حيا شديدا والجري وراء متاع الدنيا قد جعل الحر عبدا واضطر الإنسان إلى أن يحتمل الأذى ، وهذا المعنى لا يتحقق إلا بالجملتين معا . . .

وخذ قوله تعالى : « وَالَّذِينَ تَسْعَوْنَ مِنَ دُونِهِ لَا يَسْتَظِيحُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ . . »<sup>(١)</sup> تجمد الجملتين : « لا يستطيعون نصركم » و « لا أنفسهم ينصرون » ، قد وقعتا خبراً للمبتدأ ، والجمع بينهما يحقق ما تهدف إليه الآية الكريمة من تحقير هذه المعبودات ، وهذا لا يتم إلا بالجملتين معاً كما لا يخفى . . . إلى غير ذلك من الشواهد والأمثلة التي يكون هدف المتكلم من وراءها اشتراك الجملتين في الحكم الإهرابي . . كقولك : علي يقول ويكتب . . . ألم تعلم أنني أحترمك وأقدرك . . . لأن أحسنت وأساءت . . . يكتبك ما قلت وسمعت . . . أبحسن أن تنو عن شيء ونأتي مثله . . . ولا يخفى عليك وجه المناسبة بين الجملتين في كل ما مر من شواهد وأمثلة ، فإذا انعدمت المناسبة بين الجملتين امتنع اقترانهما ، فلا تقول : هو يكتب الشعر ويأكل السمك ، حيث لا مناسبة بين كتابة الشعر وأكل السمك . . . ولهذا عيب قول أبي تمام :

لا والذي هو عالم أن النوى صبر وأن أبا الحسين كريم

سواء أجعل من عطف المفرد على المفرد أي : عطف كريم أبي الحسين على مرارة النوى أم من عطف الجمل أي : عطف جملة : « أن أبا الحسين كريم » على جملة : « أن النوى صبر » ، ووقوعهما مفعولاً به لقوله « عالم » . . . وقد مر بنا البيت في عطف المفردات ووقفنا على دفاع من حاول الدفاع عن أبي تمام وأن يلتزم وجهاً للمناسبة بين كرم المندوح ومرارة الفراق . . .

وأذكرك هنا بما قلته هناك من أن المناسبة والتلازم والتآلف مطلوب بين المفردات وبين الجمل سواء أعطفت أم اقترنت بدون عطف ، فكما لا يجوز أن تقول : هو يكتب الشعر ويأكل السمك ، فإنه يمتنع أيضاً قولك :

هو يكتب الشعر يا كل السمك ، بدون واو وكذا يمتنع الجمع بين مرارة  
الفراق وكرم المدوح بلا عطف ... فلا وجه إذا لما صنعه البلاغيون من  
تصرم المناسبة على المفردات، والجمل المعطوفة ، لأن المناسبة بين المفردات  
أو الجمل مطلوبة عند اقترانها بالعطف أو بدون العطف .

هذا وقول البلاغيين : إن تصدت التثنية في الحكم الإعرابي عطفت ، (١)  
معناه : جواز العطف وأنه هو الغالب والأكثر ولا يفهم منه وجوب العطف ،  
لأن مرادهم أنك إذا لم تقصد التثنية في الإعراب يمتنع العطف حتى  
لا يتوهم خلاف المراد ، ومما يرجح هذا الزعم قوله تعالى : « الرَّجُلُ إِذَا  
الْقُرْآنَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّةَ الْبَيَانِ . » (٢) حيث اشتركت الجمل الثلاث في  
وقوعها خبرا للمستدأ ، وقد جاءت مفصولة كما ترى ... ومن ذلك قولنا :  
فلان أعناك بعد قمر . أعزك بعد ذل . كثرك بعد قلة . فعل بك ما لم يفعله  
أحد بأحد ، فإذا تذكر من إحسانه ... ؟

ومنه قول أبي هلال :

ووجه تشرب ماء النعيم      فلو عصر الحسن منه انعصر  
بمر فأمنحه      فأظري      فينشر وردا عليه الخضر

وجيء بهذه الجمل المشتركة في الحكم الإعرابي منقطعة يشعر بأن كل  
واحدة منها تنهض بالعرض وحدها من غير أن ينضم إليها غيرها (٣) ...

— وكما قلت — فإن الغالب والأكثر أن تجيء الجمل التي قصد تشريكها  
في الحكم الإعرابي معطوفة ، على نحو ما مر بنا من شواهد ، بل أحيانا نجد  
أن هذا العطف واجب قد تعين وأن تركه يوم خلاف المراد كما رأينا في قوله  
تعالى : « واقه يقبض ويبسط ، وقولهم ، فلان يعطى ويمنع ويحل ويقعد ... »

(١) انظر الإيضاح ٦٣/٧ . (٢) سورة الرحمن آية ١ - ٤ .

(٣) ارجع إلى دلالات التراكيب ص ٣٠٤ .



وقول الشام :

لا تطمعوا أن تهينونا ونكرهكم وأن تكف الأذى عنكم وتؤذونا  
فترك العطف في مثل هذه الشواهد يوم إبطال الجملة الأولى والرجوع  
عنها ، ومن ثم وجب وصلها حتى لا يتروم خلاف المراد . .

فإذا لم يقصد تشريك الجملة الثانية للأولى في الحكم الإمبرابي تعين فصلها .  
لأن الوصل عندئذ يوم خلاف المراد ، تأمل قوله تعالى : « وَإِذَا خَلَوْا  
إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَسَكُمُ الْإِنَّمَاءُ نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ . اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ  
بِهِمْ وَيَسْتَهْزِئُ فِي طُغْيَانِهِمْ يَقْتَرُونَ . . »<sup>(١)</sup> ، نجد أن جملة : « اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ  
بِهِمْ » ، قد فصلت عن جملة : « إِنَّا مَعَكُمْ » ، حيث لم يقصد التشريك بينهما في  
الحكم الإمبرابي ، جملة : « إِنَّا مَعَكُمْ » ، بقول القول ، وجملة : « اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ  
بِهِمْ » ، لإخبار من الله عن وجاه ، ولو وصلت بالأولى لأدى هذا الوصل إلى  
توهم أنها من «قول المنافقين» . فدفعاً لهذا التوهم تعين الفصل بينهما . . . أما فصل :  
« إِنَّا مَعَكُمْ » ، عن « إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ » ، فالكمال الاتصال الآتي بيانه ،  
وكذا لا يجوز عطف : « اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ » ، على جواب الشرط : « قَالُوا » ،  
لأن استهزاء الله بهم غير مقيد بوقت خلوعهم إلى شياطينهم . . . ولاحظ  
الوصل بين جملي : « يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ » ، و« يَدْعُوهُمْ فِي حَافِيَاثِهِمْ » ، لوقوعهما خيرا للفظ  
الجلالة ، فالعطف لقصد التشريك في الحكم . . .

ومن ذلك قوله تعالى : « وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا  
إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ . أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ . . »<sup>(٢)</sup>  
جملة : « أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ » ، لم يقصد تشريكها في الحكم الإمبرابي  
بجملة : « إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ » ، لأنها ليست من «قولهم بل هي مراد . . . كلام

(٢) - سورة البقرة آية ١١١ ، ١٢٠ .

(١) - سورة البقرة آية ١٤ ، ١٥ .

رب العزة، إخبار منه تعالى، ولذا وجب الفصل بينهما حتى لا يتوهم غير المراد . .

ومثله قوله تعالى: « وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آيَةُ الرَّبِّ آتَيْنَاكَ آيَةً أَنْزَلْنَا مِنْ سَمَاءٍ مَاءً طَيِّبًا فَاسْقُوا حَيْثُ أَنَّكُمْ وَالسَّيِّئِينَ لَا يُغْنَوْنَ » (١)  
 فقد فصل: « ألا إنهم هم السفهاء » عن: « أنؤمن كما آمن السفهاء » حتى لا يتوهم أنها من كلام المنافقين، إذ هي من كلام رب العزة، إخبار منه تعالى، والوصل برهم أنها من مقول المنافقين، وهو مالا يخفى فساد . . . ولاحظ في الآيتين الوصل بين جملة: « إنهم هم السفهاء » ولكن لا يشعر به وبين جملة: « إنهم هم السفهاء » ولكن لا يعلمون، « والواصل بينهما للتوسط بين الكمالين مع عدم المانع من المطف - كما سنرى في مواضع الوصل

هذا وتصد التشريك في الحكم الإمبراني أو عدم تصده وإن كان ظاهرا بينا في كثير من التراكيب، إلا أنه قد يدق ويلطف بحيث يحتاج إلى مزيد من التأمل والنظر . . انظر في قوله تعالى: « فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَئِن لَّدُنِّي لَذَكَّرٌ لَّا أَنتُنِي وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهُمَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ . . » (٢) فقد يقول صاحب النظرة العاجلة إن الجمل: « رب إنى وضعتها أنثى . . » ليس بالذكر كالأنثى، وإنى سميتها مريم، وإنى أعيذها، من مقول مريم، أما جملة: « والله أعلم بما وضعت، » فن كلام الله تعالى وقد جاءت موصولة بمقولات مريم، ولكن عندما يتأني هذا العاجل ويتأمل يتضح له أن هذه الجملة: « والله أعلم بما وضعت، » جملة اعتراضية وليست مبطونة على مقولات مريم، وهناك قراءة بضم تاء: « وضعت، » وعلى هذه القراءة تكون الجملة من

(٢) - سورة آل عمران آية ٣٦ .

(١) - سورة البقرة آية ١٢ .

مقولات مریم ، ويكون في التركيب التفتات من الخطاب في درج ، إلى الغيبة في : ، واته ، ثم التفتات ثان إلى الخطاب في : ، وإن أعينها بك . . . ، ووراء هذا الالتفات سر بلاغي دقيق وهو الإشارة إلى بعد المنزلة وعلو المسكاة وكال علمه تعالى ثم إلى قربه من عباده فهو أقرب إليهم من جبل الوريد ، وإذا عندما دعت مریم خاطبت : ، رب إني . . . وإني أعينها بك وذريتها . . . وعندما أخبرت عن علمه ، التفت إلى الغيبة : ، والله أعلم بما وضعت ، ففي هذا الالتفات إنباء ببعده المنزلة وعلو المسكاة وكال علم الله ببارك وتعالى . . .

و خلاصة القول أن الجمل التي لها محل من الإعراب إذا قصد إشراكها في الحكم الإعرابي وصلت ، وقد ترد نادرا بلا وصا . . . وإذا لم يقصد التشريك وجب فصلها ، لأن الوصل عندئذ يوهم خلاف المراد . . . وهذا الحكم يختص بما هو واضح بالجل التي لها محل من الإعراب ، ثم هي تخضع لأحكام فصل ووصل الجمل التي ليس لها محل من الإعراب ، والتي ستحدث عنها الآن . . .

مواضع الفصل : ذكر البلاغيون أن الفصل بين الجمل ينحصر في خمسة مواضع هـ :

١ - كمال الاتصال : وهو أن تتفق الجملتان في الإنشائية أو الخبرية لفظا ومعنى أو معنى فقط ، ويكون بينهما من الاتصال والاتحاد والتلاحم ما يمنع العطف بالواو ، لأن العطف وصل خارجي ، وهذه الجمل قد صار ما بينهما من التلاحم والاتصال والترابط أقوى وأشد من الربط الخارجي ، ولذلك ينبغي أن نقول : ترك العطف بين هذه الجمل لقوة اتصالها وشدة ترابطها ، ولا يقال : فصل بينهما ، وترجع قوة اتصال تلك الجمل وشدة ترابطها إلى أمور ثلاثة : ..

الأول : أن تكون الجملة الثانية مة كدة للأولى تأكيداً لفظيا أو معنويا

انظر إلى قوله تعالى : « قَسَمَ الْكَافِرِينَ أَهْمَانَهُمْ رُؤُوسِهِمْ » (١) ، تجد أن الجملة الثانية : « أهملهم رؤوسهم » ، توافق الجملة الأولى في اللفظ والمعنى وأنها تؤكد لفظي لها ، ولذا صارت الجملة قوية بين الجملتين فلا تحتاج إلى ربط بالواو ، لأن التوكيد والمؤكد كالشيء الواحد ، ومن ثم ترك العطف لعدم صحة عطف الشيء على نفسه ..

وتأمل قوله تعالى : « ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ » (٢) تجد أن الجملة الأولى : « ذلك الكتاب » ، أفادت : أن القرآن الكريم هو الكتاب الكامل الذي بلغ الغاية القصوى في كمال الهداية وترجع هذه الإفادة إلى تعريف الطرفين : تعريف المسند إليه ، باسم الإشارة الدال على البعيد ، ذلك ، إشارة إلى بعد المفردة وعلو المسكاته ، وتعريف المسند بالالف واللام ، الكتاب ، ، ، ، وجملة « لا ريب فيه » ، تفيد في الريب عنه وأنه لا يتطرق إليه شك ، وهذا تقرير وتأكيد لمعنى الجملة الأولى ، إذ لزوم من بلوغ القرآن الكريم درجة الكمال ألا يكون محلا للريب والشك ، فجاءت جملة « لا ريب فيه » مقرررة لهذا المعنى ، ومؤكدة له .. وجملة « هدى للمتقين » ، تفيد بلوغ القرآن في الهداية مباحثا لا يدرك كمه ، حتى كأنه هداية محضة ، وهذا ما خرد من تنكير « هدى » الذي يدل على التظيم ، ومن أنه لم يقل « هاد » ، بل « هدى » ، وهدى خير لمبتدأ محذوف أي هو هدى ، فهو الهداية نفسها . ولا يخفى عليك تأكيد هذه الجملة بمعنى الجملة الأولى : « ذلك الكتاب » ، ولذا ترك العطف بين هذه الجمل لأن بينها اتصال قوى فهي لا تحتاج إلى ربط بالواو ..

وخذ قوله تعالى : « وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شِيَابِئِهِمْ نَسُوا : إِنَّا مَعَكُمْ لَاتَمَّ

(٢) - سورة البقرة آية ٢

(١) - سورة الطارق آية ١٨ .

تَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ<sup>(١)</sup> ، جملة « إنما نحن مستهزون » ، مؤكدة بجملة « إنما معكم » ، ولأهم ما دأبوا مستهزئين بالإسلام وأهله ، فهم مستهزون في معية شياطينهم ... ولاحظ أن الجملتين قدوة متا مقولا للقول وهذا يؤكد ما قلناه لك من أن الجمل التي لها محل من الإعراب تخضع لمواضع الفصل والوصل التي تخضع لها الجمل التي ليس لها محل ... وتأمل قوله تعالى : « إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ . خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ . وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ . يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا . . .<sup>(٢)</sup> » تجد أن جملة : « لا يؤمنون » مؤكدة بجملة : « سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم » ، لأن معنى الثانية : يستوى عندهم الإنذار وعدمه ، وجملة : ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم ... ، تأكيد ثان أبلغ من التوكيد الأول لأن من كان حاله إذا أنذره بل حاله إذا لم ينذر ، كان في غاية الجهل وكان مطبوعا على قلبه لا محالة ، ولذا ترك الماطف بين هذه الجمل الثلاث لما بينها من كمال الاتصال .. كما تجد أن جملة : « يخادعون الله والذين آمنوا » مؤكدة بجملة « آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين » . لأن من يفسر خلاف ما يظهر فإنه يخادع .. وانظر في قوله تعالى : « وَإِذَا نَتَلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَنَلَىٰ مُشَاطِسَاطِ كَرَانَ لَمْ يَسْمَعَهَا كَرَانَ فِي أَذُنِهِ وَقَرَأَ<sup>(٣)</sup> » تجد أن جملة « كان في أذنيه وقراء » مؤكدة بجملة : « كان لم يسمعها » ، لأن معنى « كان لم يسمعها » : أنه لم يسمعها بصادقة أو تصدأ لعدم سماعها ، ومعنى الثانية : أنه لم يسمعها لتفساد سمعه ، فلما كانت الثانية مقررة ومؤكدة للأولى ترك المطف لما بينهما من كمال الاتصال ...

(٢) - سورة البقرة الآيات ٦ - ٩ .

(١) سورة البقرة آية ١٤ .

(٣) سورة لقمان آية ٧ .

هذا - وكما ذكرت لك - أن الجملة الثانية المؤكدة للأولى ، إما أن تكون بمثابة التوكيد اللفظي ، وهو ما يكون مضمون الجملة الثانية فيه مؤكداً لمضمون الجملة الأولى لاتفاق مفهوميهما كما رأينا في الآية الكريمة : « فويل للكافرين أنهم لم يؤمنوا » . وكما في الآية الكريمة : « ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين » ، الجملة « هدى للمتقين » يتفق مفهومها مع جملة : « ذلك الكتاب » . لأن السكال فيهما كمال في الهداية - كما رأينا - ، وإما أن تكون الثانية منزلة من الأولى منزلة التوكيد المعنوي وهو أن يختلف مفهوم الجملتين ، ويكون معنى الثانية مقرراً لمعنى الأولى على نحو ما رأينا في الشواهد المذكورة ، وهذا يعني أن الجملة الثانية تتضمن معنى جديداً ، وليكنه يؤكد معنى الأولى . . . تأمل الآية : « كان لم يسمعها كان في أذنيه وقرا » ، نجد أن الجملة الثانية تحمل معنى جديداً يخالف معنى الأولى ، وليكنه يؤكد ويقرر . . . وتأمل الآية : « ذلك الكتاب لا ريب فيه » ، نجد أن جملة : « لا ريب فيه » تحمل معنى جديداً وهو نفي الريب عن القرآن ، وهذا المعنى يؤكد ويقرر معنى الجملة الأولى : « ذلك الكتاب » . وانظر في قوله تعالى : « اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ . . . » (١)

وتأمل شدة التلاحم وقوة الاتصال بين الجمل في هذا القول الكريم ، ثم لاحظ أن كل جملة تحمل معنى جديداً يتغير معنى الأخرى ، وليكنها تصب جميعاً في جهة واحدة ، وتهدف إلى غاية واحدة ، ألا وهي توكيد الوحدة . . . (٢)

ومن أفوالهم في هذا الصدد قول المتنبي :

وما الدهر إلا من رواق تصاندي إذا نلت شعراً أصبح الدهر منشداً

(٢) ارجع إلى دلالات التراكيب ٣١٥ .

(١) سورة البقرة آية ٢٥٥ .

هالشطر الثاني لم يعطف على الشطر الأول ، لأنهما قد اتحدتا في المعنى واللفظ ، فلا حاجة إلى وصلهما بالواو لقوة الرابطة وشدة الاتصال بينهما ..  
وقول الأحوص :

إذا رمت عنها سلوة قال شافع من الحب ميعاد السلو المقابر  
سبق لها في مضمرة القلب والحشا  
سريرة حب يوم تبلى السرائر

الجملة : « متبقة لها .. » مؤكدة ومقررة لجملة : « ميعاد السلو المقابر »  
ولذا ترك العاطف ، لأن شدة الترابط وكال الاتصال بينهما لا يجران إليه ..

الثاني : أن تكون الجملة الثانية منزلة من الأولى منزلة بدل السكل أو البعض  
أو بدل الاشتمال ، من ذلك قوله تعالى : « وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْعَمَ عَلَيْكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ .  
أَنْعَمَ عَلَيْكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَيْنَ وَجَنَاتٍ وَعُيُونٍ »<sup>(١)</sup> فصات الجملة الثانية : « أَنْعَمَ  
بِأَنْعَامٍ .. » عن الأولى : « أَنْعَمَ بِمَا تَعْلَمُونَ » ، لأن الثانية بمثابة بدل البعض  
من الأولى ، حيث إن النعم الأربع المذكورة بعض من النعم التي يعلمونها ،  
فبين الجملتين ترابط قوي ، وكال اتصال ، لا يحتاج معه إلى ربط بالواو .. ومثله  
قوله تعالى : « يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ »<sup>(٢)</sup> .  
فقوله : « يفصل الآيات » بدل بعض من قوله : « يدبر الأمر » ، لأن  
تدبير الأمر يشمل تفصيل الآيات وغيره .. وخذ قوله تعالى :  
« سَبِّحْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوْلِيُونَ . قَالُوا إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا  
لَمُحْسِنُونَ »<sup>(٣)</sup> تجد أن الجملة الثانية بمثابة بدل السكل من الجملة الأولى .. وقوله

(١) - سورة الشعراء آية ١٣٢ - ١٣٤ . (٢) - سورة الرعد آية ٢ .

(٣) - سورة المؤمنون آية ٨٢ ، ٨١ .

عز وجل : « قَالَ يَا قَوْمِ أَتُنَبِّئُوكُم بِمَا تَكْفُرُونَ . أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ آلَ مَرْيَمَ عَلَى اللَّهِ عِزٌّ مُبِينٌ » (١) ، فصلت الآية الثانية « أتنبؤوا من لا يسألكم أجرا » من الأولى : « أتنبؤ المرسلين » لأن الثانية بمنزلة بدل الاشتغال من الأولى ، إذ المراد من الأولى حمل المخاطبين على اتباع الرسل ، والجملة الثانية أرفى بهذا ، لأن معناها : لا تخشرون شيئا من دنياكم وترجون صحة دينكم ، فيكون لكم حظكم الدنيا وجواز الأضحية قبيحاً .

ولا ينبغي عليك أن الجملة الظنية التي هي بمثابة البدل أرفى بتأدية المعنى من الإبرار بقوله : « أمدكم بأنعام وبنين وجنات وهيون ، أرفى بتأدية المعنى المراد من قوله : « أمدكم بما تعلمون » حيث دلت على المعنى بالتفصيل من غير إشالة إلى علمهم وعم المعاندون . . . وانظر في قول القائل :

أقول له أرحل لا تقم عندي وإلا فكن في السر والجهر مسلماً  
 تجد أن قوله : « لا تقيم » بدل اشتغال من قوله « أرحل » ، وقوله « لا تقيم » أرفى بتأدية المراد ، إذ المقصود : إظهار شدة الكراهة لإقامته بسبب خلاف سره العان ، وقوله : « لا تقيم » يحقق ذلك ، لأنك إذا قلت : لا تقيم عندي ، لم تقصد كفه عن الإقامة لحسب ، وإنما تقصد إظهار الكراهة لإقامته .

الثالث : أن تكون الآية الثانية بياناً للجملة الأولى ، كما في قوله تبارك وتعالى : « فَرَسَّوْا إِلَيْهِ الشَّيْطَانَ قَالَ يَا آدَمُ كُلْ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ وَلَا تَقْرَبْ هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَكُنَا مِنَ الْغَالِبِينَ » (٢) في الآية الأولى : خفاء وإبهام ، وفي الثانية بيان وإيضاح له ، والبيان والمبين كالشيء الواحد فلا يعطف أحدهما على الآخر لما بينهما من قوة الترابط وكال الاتصال . . . وتكمن بلاغة هذه السورة في

(٢) سورة طه آية ١٢٠ .

(١) سورة يس آية ٢١ ، ٢٢ .



أن للبيان بعد الإبهام وقعا في النفس وأثراً حسناً ، فالشيء إذا أبهم تطلمت  
إليه النفس واشتاق لبيانه ، فإذا ما جاء البيان صادف نفوساً يقظة متطلعة ،  
فيتمكن فيها فضل تمكن ...

ومن شواهد ذلك قوله تعالى : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ  
عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَائِفٍ لِقَائِ اللَّهِ يَرْتَدُّكُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ؟ » (١)  
جملة الاستهتام بيان لقوله : « اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ » ... وقوله عز وجل :  
« وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيَئَتِهِمْ قَالُوا : مَا أُنْفِئُ  
عَنْكُمْ بِجُنُحِكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ » (٢) جملة : « قَالُوا : مَا أُنْفِئُ  
عَنْكُمْ » ، بيان لجملة « نَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ » .. وانظر في قول لبيد :

ذهب الذين يعاش في أكنافهم وبقيت في خلف كجلد الأجر ب  
يتأكلون مغالة وخيانة ويماب قائلهم وإن لم يشغب  
تجد أن قوله : « يتأكلون مغالة وخيانة » ، بيان لقوله : « بقيت في خلف  
كجلد الأجر » ...

وخذ قوله تعالى : « وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ  
الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ .. » (٣) ، نجد أن جملة :  
« يدبِّحون أبناءكم » ، والجملة المنطوقة عليها : « ويستحيون نساءكم » ، بيان  
ولإيضاح الجملة : « يسومونكم سوء العذاب » ، ولذا لم يعطفا عليها بالواو  
لما بينها من شدة ترابط وقوة تلاحم وكال اتصال ...

ثم انظر في قوله عز وجل : « وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ

(٢) - سورة الأعراف آية ٤٨ .

(١) - سورة طهار آية ٣ .

(٣) - سورة البقرة آية ٤٩ .

عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُودُونَ بَسُودَاتِكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيَذَّبُحُونَ  
أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَعْبِدُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ (١) ،  
تجد أن الواو في هذه الآية من سورة إبراهيم قد وصفت جملة : ، يسومونكم  
سوء العذاب ، ، ويذبحون أبناءكم ، وذلك لأن المقام مقام تذكير بنعم الله  
تعالى ... ، اذكروا نعمة الله عليكم ... ، وهذا يقتضى تعداد النعم ، لجعل  
الإجاء من سوء العذاب نعمة ، وإجاء الأبناء من التذبيح نعمة أخرى ،  
وكان التذبيح جنس آخر لأنه أرفى على جنس العذاب وزاد عليه ، ثم جاء  
إجاء النساء من الاستحباب نعمة ثالثة ، أما في سورة البقرة فلبس المقام مقام  
تذكير بالنعم ، بل هو سرد للنقص وعرض لها وهذا قد اقتضى أن تكون  
الجملة الثانية وما عطف عليها : ، يذبحون أبناءكم ويستعبدون نساءكم ، بيانا  
وتفسيرا للجملة الأولى : ، يسومونكم سوء العذاب ، وليستا جنسين آخرين  
مغايرين لسوء العذاب ...

يقول الزمخشري : ، فإن قلت : في سورة البقرة ، يذبحون ، وفي  
الأعراف : ، يقتلون ، وههنا : ، ويذبحون ، مع الواو ، فما الفرق ؟ قلت :  
الفرق أن التذبيح حيث طرح الواو جعل تفسيرا للعذاب وبيانا له ، وحيث  
أثبت جعل التذبيح لأنه أرفى على جنس العذاب وزاد عليه زيادة ظاهرة كأنه  
جنس آخر ... (٢) :

وهذا هو شأن الواو عندما تأتي بين الجمل التي بينها كمال اتصال وقسوة  
ترابط ، لأن ما فيها من معنى التغاير الذي لا يرحها ينعكس على هذه الجمل  
فيوم أنها معان متباينة ومختلفة ، ووراء ذلك تمكن الأمرار والدقائق اللطيفة .  
انظر إلى قوله تعالى : ، قَالُوا : إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمَسْحُورِينَ . مَا أَنْتَ إِلَّا  
بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٣) ، ثم إلى قوله عز وجل

(١) سورة إبراهيم آية ٦ . (٢) لكشاف ٣٦٨/٢ .

(٣) سورة الشعراء آية ١٥٣ ، ١٥٤ .

في نفس السورة عن قوم شعيب : « قَالُوا : إِنَّا أَنْتَ مِنَ الْمَسْحُورِينَ .  
 وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَتْلُوكَ لِيَنَّ السَّكَادِينَ . فَاسْقِطْ عَلَيْنَا  
 كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ » (١) ، نجد أن الواو قد ذكرت  
 بين جملي : « إِنَّا أَنْتَ مِنَ الْمَسْحُورِينَ » ، « وما أنت إلا بشر مثلنا » في مقالة  
 أصحاب الأيكة لشعيب ، وتركت في مقالة ثمود لصالح ، ويعمل الزحزحى  
 ذلك بقوله : « فإن قلت : هل اختلاف المعنى بإدخال الواو هنا وتركتها في  
 قصة ثمود ؟ ، قلت : إذا أدخلت فقد تعد معنيان كلاهما منافي الرسالة عندم :  
 التسخير والبشرية ، وأن الرسول لا يجوز أن يكون مسحراً ولا يجوز أن يكون  
 بشراً ، وإذا تركت الواو فلم يقصد إلا معنى واحد وهو كونه مسحراً ثم قرر  
 بكونه بشراً مثلهم .. » (٢) . . . وكان أصحاب الأيكة أرادوا أن يعددوا في  
 مقالاتهم الأسباب المذافية للرسالة ، ولذا أضافوا : « وإن نظمت لمن السكادين » ،  
 فصارت الأسباب ثلاثة : كونه مسحراً وكونه بشراً وكونه من السكادين ،  
 أما ثمود فكانهم لم يقصدوا تعدد هذه الأسباب ولذلك ذكروا سبباً واحداً  
 وهو كونه مسحراً ثم قرروه بكونه بشراً . . . وخسبنا قوله تعالى :  
 « وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَا هُمْ مِّنْ  
 عَذَابِ غَلِيظٍ » (٣) .. وقوله عز وجل : « وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ  
 وَمِنكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ  
 مِيثَاقًا غَلِيظًا » (٤) وتأمل تجد أن جملة : « ونجيناهم من عذاب غليظ » ،  
 مؤكدة ومقرزة للجملة قبلها : « نجينا هوداً .. » ، وكذا جملة : « وأخذنا  
 منهم ميثاقاً غليظاً » ، مؤكدة لقوله : « أخذنا من النبيين ميثاقهم .. » ، فبين

(١) سورة الشعراء آية ١٨٥ - ١٨٧ . (٢) الكشاف ٣/ ١٢٧ .

(٣) سورة هود آية ٥٨ . (٤) سورة الاحزاب آية ٧ .

(١٢ - ١٣ - من المعاني ج ٢)

الجلتين كال اتصال، وعلى الرغم من ذلك لم تترك الواو، بل جرى بها لغرض لطيف وسر دقيق، وهو التنويه بشأن الميثاق، والتفخيم والتمويل من شأن العذاب، ولذا وصف كلا منهما بالغلظ، فالعطف بالواو مع الوصف بالغلظ يوهم أن الميثاق المأخوذ من النبيين صار كأنه ميثاق آخر مغاير للأول، وأن العذاب الذي نجي منه هود ومن معه صار كأنه عذاب آخر غير الأول وفي هذا ما ينسى بعظم الميثاق ويؤمى إلى هول العذاب وفضاعته .. وانظر في قول الشاعر :

أبى إن أهلك فإني قد بنيت لكم بنية  
وجعلتكم أبناء سادات زنادكم ورية

تجد أن جملة : « جعلتكم أبناء سادات » ، بيان لجملة : « بنيت لكم بنية » ، وقد وصلها الشاعر بالواو التي تقتضى المغايرة ، وذلك لتبين المعنى الذي دخلت عليه الواو في باب الشرف والسيادة ، وكأنه يريد أن يجعله فوق ما ذكره في البيت الأول ومتميزا عنه ...

ثم تأمل الآيات الكريمة : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِإَدْبٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ .. » (١) .. « فَإِذَا أَنْصَبْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَأذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْرِقِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا حَدَاكُمْ ... » (٢) .. « يَا مَعْرِبِيُّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ .. » (٣) .. « أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْيُنِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ » (٤) .. « أُولَئِكَ عَلَىٰ عَذَابِنَا مِنْ دُونِ مَا كَانُوا يَكْفُرُونَ » (٥) ..

(٢) - سورة البقرة آية ١٩٨ .

(١) - سورة الحجر آية ١٨ .

(٤) - سورة البعد آية ٥ .

(٣) - سورة آل عمران آية ٤٢ .

(٥) - سورة البقرة آية ٥ .

عجىء الواو في هذه الآيات بين جمل بينها قوة ترابط وشدة تلاحم وكال اتصال ، وأن هذا العجىء ينهى بيمان دقيقة وأمر لطيفة ، فتكرار الأمر بالتقوى ، وعطف أحدهما على الآخر يؤذن بأن الأمر الثاني غير الأول ، ووراء ذلك إعلاء لشان التقوى وحث عليها . وكذا وصل الأمرين بالذكر ، فاذا ذكروا الله . . . واذكروهم . . . ، إعلاء لشان الذكر وحث عليه ، وكان الأمر الثاني غير الأول . . . وفي عطف الاصطفاة على الاصطفاة : إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك . . . لإيهام بأنهما متغايران وكان الله اصطفاها أولاً ثم رجع فاصطفاها ثانياً ، وفي هذا مزيد تكريم ، ومثله عطف الفلاح على الهدى . . . أولئك على هدى . . . وأولئك هم المفلحون . . . وفي آية الرعد أبرزت الواو ثلاث صور متغايرة للدين كفروا ، في كل صورة منها من البشاعة والشناعة ما يجعلها شيئاً قائماً برأسه ، مستقلاً عن غيره (١) . .

وهكذا يتضح لنا أن عجىء الواو بين الجمل التي قد اشتد ترابطها وقوى تلاحمها وكمل اتصالها ووراء من الأسرار واللطائف مالا يخفى على المتأمل الواعى والناظر البديق . . .

• • •

٢ - كان الانقطاع بلا إيهام : وهو أن يكون بين الجملتين تبين تام وانقطاع كامل ويرجع ذلك إلى اختلافهما في إنشاء وخبراً لفظاً ومعنى ، أو معنى فقط ، أو إلى فقدان المناسبة بينهما . . .

ويجب أن تعلم أن البلاغيين لا يجوزون بهذا تفسكك الكلام وتشافر جملة وعدم ارتباط أجزائه وتباعد معانيه بحيث لا يضمه سياق ، ولا يجمعه قران ، هم لا يقصدون بكال الانقطاع جواز الجمع بين الجمل المتشادة ، لأن هذه الجمل لا يضمها سياق واحد ، ولا يجمعهها قران واحد سواء أخطفت

(١) ارجع إلى دلالات قران كيب ص ٣٢٢ وما بعدها . .

أم لم تعطف، وإنما يريدون به فقدان المناسبة الخاصة التي تسوغ التعطف، وتجوز الوصل... وسيوضح لك هذا من خلال النصوص والشواهد...

ذكر البلاغيون أن كمال الانقطاع يتحقق في ثلاث صور :

الصورة الأولى : أن تختلف الجملتان خبراً وإنشاءً ، لفظاً ومعنى كما في قوله تعالى : « وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ، ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ . »<sup>(١)</sup> فالجملة الأولى : « لَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ » خبرية لفظاً ومعنى ، والجملة الثانية : « ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ » ، إنشائية لفظاً ومعنى ، والفصل بينها لا يوم خلاف المقصود ، ولذا وجب الفصل بينهما . . ونظير ذلك قوله تعالى : « وَأَنْصِبُوا أَنْفُسَكُمْ لِلَّهِ لِحُبِّ الْغَيْرِ »<sup>(٢)</sup> ، وقوله عز وجل : « بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَيُّ شَيْءٍ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً »<sup>(٣)</sup> ، وقوله جل وعلا : « وَالزَّيْتُونَ وَالزُّمَانُ مِثْلَهُنَّ وَغَيْرَ مُنْتَابِهٍ انظُرُوا إِلَىٰ قَوْمِ إِدْرِيمَ إِذَا أَقْبَرُوا وَبَنَوْا فِي ذَلِكُمْ لِقَوْمٍ يُؤْتُونَ »<sup>(٤)</sup> ، فقد فصل بين الجمل في هذه الآيات الكريمة لاختلافها إنشاءً وخبراً لفظاً ومعنى ، ولأن الفصل بينها لا يوم خلاف المقصود . . وانظر في قوله تعالى : « وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ يَحْسَبُ اللَّهُ قَتْلَهُمْ إِبْطَامًا »<sup>(٥)</sup> ، وقوله عز وجل : « وَصَلَّ عَلَيْنِهِمْ إِنْ سَلَّاتَكَ سَكَنٌ مِنْهُمْ »<sup>(٦)</sup> ، وقوله تعالى : « وَلَا تَعْلَمُ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَوْ دَا وَلَا تَنْتُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِمْ أَسْمُهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَشُوا »<sup>(٧)</sup> .

(٢) - سورة الحجرات آية ٩ .

(٤) - سورة الأنعام آية ٩٩ .

(٦) - سورة التوبة آية ١٠٣ .

(١) سورة فصلت آية ٣٤ .

(٣) سورة الأنعام آية ١٠١ .

(٥) سورة الأنعام آية ١٥١ .

(٧) سورة التوبة آية ٨٤ .

تجد أن الجمل الخبرية : ونحن نردكم . إن صلاتك سكن . . إنهم  
كفروا بالله . . ، قد فصلت عن الجمل الإنشائية قبلها ، وهذا الفصل إما أن  
يكون سببه كمال الانقطاع حيث اختلفت الجملتان خبرا وإنشاء لفظا ومعنى ،  
وإما أن يكون سببه شبه كمال الاتصال الآتي بيانه حيث وقعت الجملة الثانية  
جوابا لسؤال أنارته الأولى . .

ومن ذلك قول الشاعر :

وقال رائدهم أرسوا نزاوطا فكل حتف امرى، يجرى بمقدار

فقد فصل جملة : نزاوطا ، عن جملة : أرسوا ، لكمال الانقطاع  
أو لشبه كمال الاتصال ، ومثله قولك : لاندن بن الأسد يأكلك ، برفع  
و يأكل . . .

هذا ونرى كثيرا من الجمل التي اختلفت لإنشاء وخبر اللفظا ومعنى قد  
جاءت موصولة بالواو ، انظر إلى قوله تعالى : « وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ  
أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَإِنَّهُ لَفَيْضٌ »<sup>(١)</sup> ، وقوله عز وجل : « اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ  
لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى . وَحَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى »<sup>(٢)</sup> ، وقوله عز قاتلا :  
« فَإِنْ لَمْ تَفْتَلُوا وَلَنْ تَفْتَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَابُ  
أَيْدَتُ الْكَافِرِينَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنْ لَهُمْ جَنَّاتٍ  
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ . . . »<sup>(٣)</sup> ، وقوله عز من قائل : « وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ  
وَوَصَّلَ الْخُلَطَبِ وَحَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْفُلْجِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ . . . »<sup>(٤)</sup> ،  
تجد أن الواو قد جاءت بين الجمل المختلفة لإنشاء وخبر اللفظا ومعنى . . ومن

(٢) - سورة طه آية ٨ ، ٩

(٤) - سورة ص آية ٢٠ ، ٢١

(١) سورة الانعام آية ١٢١

(٣) سورة البقرة آية ٢٤ ، ٢٥

ذلك المثال المشهور : لا تأكل السمك وتشرب اللبن برفع ، وتشرب ، وقولنا :  
باسم الله وصل اللهم على نبينا محمد ، إلى غير ذلك .. وهذه الواو قد ذهب  
النحاة في توجيهها إلى أنها سا ، وار الاستئناف ، وليست عاطفة للخبر على  
الإشياء ، حيث يذكر ابن هشام أن الواو في قوله تعالى : « وَاتَّقُوا اللَّهَ  
وَيَسْمِعْكُمْ اللَّهُ »<sup>(١)</sup> ، وفي قولهم : « لا تأكل السمك وتشرب اللبن »  
وفي قولك : « دعني ولا أعود » : الاستئناف ، وليست للعطف إذ لو كانت  
للعطف الزم عطف الخبر على الأمر أو النهي ...<sup>(٢)</sup>

وذهب البلاغيون إلى أنها لعطف القصة على القصة أي لعطف ، مضمون  
كلام على مضمون كلام آخر ... يقول الزمخشري في توجيه العطف في  
قوله تعالى : « أَمِدَّتْ كَافِرِينَ . وَبَشَّرِ الَّذِينَ آمَنُوا » : « فإن قلت  
علام عطف هذا الأمر ولم يسبق أمر ولا نهي بصح عطفه عليه ؟ قلت : ليس  
الذي اعتمد بالعطف هو الأمر حتى يطلب له مشاكل من أمر أو نهي به عطف  
عليه ، إنما المعتمد بالعطف هو جملة وصف أبواب المؤمنين ، فهي معطوفة  
على جملة وصف عقاب الكافرين كما تقول : زيد يمانب بالقييد والإرهاق ،  
وبشر عمرا بالعفو والإطلاق ،<sup>(٣)</sup> وهذا هو معنى الاستئناف الذي ذكره  
النحاة ، فهو عطف لقصة على قصة ، أو بمعنى آخر : عطف مضمون كلام على  
مضمون كلام ، أو عطف جمل مسوقة لفرض على جمل مسوقة لفرض آخر ،  
سواء أجهات هذه الواو بين خبر وإشياء ، كما في الشواهد المذكورة ، أم بين  
خبرين ، كقوله تعالى : « ... ثُمَّ مِنْ مُصْنَعِ خَلْقِهِ وَخَيْرِ خَلْقِهِ لِنَبِيِّنَ  
لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى »<sup>(٤)</sup> ، وقوله عز وجل :

(١) سورة البقرة آية ٢٨٢ .  
(٢) انظر المنى ٢/٣٣٠ .  
(٣) الكشاف ١/٢٥٣ .  
(٤) سورة الحج آية ٥ .



« مَنْ يُضِلِّ اللهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْتَمُونَ »<sup>(١)</sup>  
وكافي قول الشاعر :

على الحكم المأثري يوما إذا قضى قضية الآ مجور ويقضد

أم بين إنشاهين كقوله تعالى : « قُلْ مَلِئْتُ قُلُوبِي الْإِنَّمَى وَالْبَصِيرُ  
أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ . وَأَنْذِرْ بِيَدِ الَّذِينَ يَتَخَفُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ  
مِنْ دُونِ رَبِّي وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ »<sup>(٢)</sup> وقوله عز وجل : « فَإِذَا  
اطْمَأَنَّكُمْ فَأْتُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا .  
وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَنَكَّرُوا تَأْتُونَهَا فَأْتَوْهَا بِالْقُرْآنِ كَمَا  
تَأْتُونَ . . . »<sup>(٣)</sup>

والفاء في ذلك مثل الواو في إعادة الاستئناف ، والفرق بينهما أن الواو  
لمطلق الجمع فهي تفيد جمع قصة إلى قصة ، أي : تضم جملة مسوقة لفرض  
إلى جملة مسوقة لفرض آخر ، أما الفاء فترتب قصة على قصة ، أي ترتب  
مضمون كلام على مضمون كلام آخر . . .<sup>(٤)</sup>

وختلاصة القول أن الواو عندما تذكر بين الخبر والإنشاء فهي إما واو  
الاستئناف التي تفيد حذف الفصلة على القصة - كما وضحتنا - ، وإما أن تكون  
عاطفة لجملة على جملة ، ويكون في الكلام حذف ، والذي يحدد نوع الواو  
أهي عاطفة أم الاستئناف ، إنما هو السياق وامتصاص الأحوال .. انظر في

(١) سورة الأعراف آية ١٨٦ .

(٢) سورة الأنعام آية ٥١ ، ٥٠ .

(٣) سورة النساء آية ١٠٣ ، ١٠٤ .

(٤) ارجع إلى دلالات التراكيب ص ٣٤٦ وما بعدها .

قوله تعالى : « وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا وَاتَّخِذُوا<sup>(١)</sup> »  
نجد أن الأمر ، اتخذوا ، مقول لقول محذوف والتقدير : وقتلنا اتخذوا ،  
فالواو عاطفة بجملة خبرية على أخرى مثلها . . . ومثله قوله تعالى :  
« كَلِمًا أَرَادُوا أَن يُخْرِجُوا مِنهَا مِنْ نَّمِّ أَعْيَدُوا فِيهَا وَذُرُّوا عَذَابَ  
الْحَرِيقِ »<sup>(٢)</sup> ، أى : وقيل لهم ذوقوا عذاب الحريق . . . وخذ قوله تعالى :  
« قَالَ : أَوَأَمِيبَ أَنتَ مِن آلِ يَتِي كَأَبِرَاهِيمَ لَئِن لَّمْ تَنفَعِ لَأَرْجُبَنَّكَ<sup>(٣)</sup>  
وَافْجُرْنِي وَاهْجُرْنِي » ؛ فالأمر « اهجرني » معطوف على محذوف والتقدير :  
فاحذرني واهجرني . . . أى أن الواو وصلت الجملة الإنشائية بأخرى مثلها . .  
الصورة الثانية : أن تختلف الجملتان إنشاء وخبراً معنى فقط وتتما افظاً ،  
كقولنا : مات فلان رحمه الله ، وقال عمر رحمه الله عنه ، بجملة : « رحمه الله ،  
« رحمه الله عنه ، كل منهما خبرية لفظاً وإنشائية معنى ، لأنهما دعائيتان ،  
ولذا فصل بين كل منهما وبين الجملة السابقة لاختلاف الجملتين خبراً وإنشاء  
معنى فقط ، ومن ذلك قول الشاعر :

ملكته حبسلى ولكنه ألقاه من زهد على غارى  
وقال : إني فى الهوى كاذب انتقم الله من الكاذب

بجملة : « انتقم الله . . . جملة دعائية فهى خبرية لفظاً إنشائية معنى ولذا  
فصل بينها وبين جملة : « قال إني فى الهوى كاذب ، ، ويجوز أن يكون الفصل  
لشبهه كمال الاتصال بتقدير : قلت ، حيث تقع جملة « قلت : انتقم الله من  
الكاذب ، جراباً لسؤال أثارته الجملة قبلها . .

هذا ويشترط للفصل ألا يورم خلاف المراد كافي الأمثلة المذكورة ، فإن  
أورم خلاف المقصود وجب الوصل كقولك لصديق لك : أشقى أخوك ؛  
فيجيبك : لا وعافاك الله ، وجب الوصل بين جملتى الجواب ؛ لأن الفصل

(٢) - سورة الحج آية ٢٢ .

(١) - سورة البقرة آية ٢٥٠ .

(٣) - سورة مريم آية ٤٦ .

يوهم خلاف المراد ، وهو أن "صديق يدعو عليك لالك ، وسبأني إيشاح ذلك وبيانه . .

الصورة الثالثة : أن تتفق الجملتان خبراً أو إنشأاً لفظاً ومعنى ولكن ينقد الجامع بينهما ، أى لا توجد المناسبة المعينة الخاصة التى تصحح "معطف" وذلك نحو قول أبي العتاهية :

الفقر فيما جاوز الكفاة من اتقى الله رجاء وخافا

نقد اتفقت الجملتان في الخبرية لفظاً ومعنى ، ولكن لم توجد المناسبة التى تدوخ عطف الثانية على الأولى ، ولذا فصل بينهما ، ومثله قول الآخر :

إنما المرء بأصغريه كل امرئ رهن بما لديه

فلا يوجد الجامع الذى يصحح عطف الجملتين على الرغم من اتفاقهما في الخبرية لفظاً ومعنى ولذا فصل بينهما في البيت . . .

ويعنى البلاغيون بالجامع أو التناسب بين الجملتين ، أن يكون المستند إليه في إحداهما بسبب من المستند إليه في الأخرى وكذلك المستند ، هذا ما أجمع عليه البلاغيون ، والجمهور يرى أن تتوفر المناسبة أيضاً في المتعلقات ، وسنفضل القول في هذا عند حديثنا عن مواضع الوصل ، والذي نريد أن ننبه إليه الآن هو أن البلاغيين لا يهتمون بفقدها أن الجامع جواز الجمع بين جمل شاردة متنافرة ، لا يتأني أن يضمها سياق واحد ، وأن يعد الفصل بين تلك المتنافرات مبرراً لو ضمها في قران ، وجمعها في سياق واحد ، بل إن مرادهم بفقدها الجامع : المناسبة الخاصة التى أشرنا إليها ، لا المناسبة العامة التى ينبغى توافرها بين الجمل سواء أعطفت أم لم تعطف ، انظر مثلاً إلى تلك الجملة : "سأل زكريا ربه أن يهبه ولياً يرثه واختلاف النقاد في شعر أبي تمام والضاحك يبطل الصلاة ويشهد الحر صبغاً واليهود أعداد العرب ، . . هـ هذه انجما ، لا يقال في سياق واحد هكذا فهى قاسدة سواء أفصلت أم وصلت ، وإذا نبه البلاغيون

إلى وحدة السياق وإلى مراعاة النظير ، وتقدم عن يقول البيت وأخاه على من يقول البيت وابن عمه ، وذكرنا حسن التلخيص من غرض إلى آخر . . . .  
فالمناسبة إذا نوحان ، مناسبة خاصة وهذه إذا فقدت صبح اقتران الجمل ولكنها تكون مفصلة لسكالم الانقطاع وهو فقدان هذا الجامع الخاص ، ومناسبة عامة وهذه لا بد من وجودها بين الجمل الموصولة والمفصلة ، وإلا فسدت الكلام . . . . وما فقدت فيه المناسبة الخاصة قوله تعالى : « الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِمَّا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » (١) . فقد فصل بين الذين يؤمنون ، وإن الذين كفروا . . . . لعدم وجود المناسبة التي تدوخ العطف ، أما المناسبة العامة التي تصحح جميع الجملتين في سياق واحد فهي ، التضاد بينهما ، وهو رابط حتى ومشير لما يتضمنه من التشويق إلى معرفة القصة الثانية ، قصة السلفرة . بعد الوفوف على قصة المؤمنين . . . . ونظير الآية قوله تعالى : « طَسَّ - تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ . هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ . الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ . إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زِينَا لَهُمْ أَشْأَلَهُمْ فَهُمْ يَمْتَرُونَ » (٢) ، وخذ قوله تعالى : « الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلِمَهُ الْبَيَانَ - الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ » (٣) ، نجد أن الترابط قوى بين الشمس والقمر بحسبان ، وبين ما قبله ، فسياق الآيات يبرز قدرة الخالق الرحمن الذي خلق الإنسان وعلمه البيان والذي أحكم حركة الشمس والقمر . . . . أما المناسبة الخاصة التي تدوخ العطف فهي غير موجودة ولذا فصل بين الشمس والقمر بحسبان ، وبين

(٢) سورة النمل آية ١ - ٥ .

(١) سورة البقرة آية ١ - ٦ .

(٣) سورة الرحمن آية ١ - ٥ .

ما قبلها . . إلى غير ذلك مما ترى المناسبة الخاصة فيه غير قائمة ، والمناسبة العامة واضحة جلية . .

هذا . . وكما ذكرت . . أن الواو إذا وجدت بين جمل بينها كمال انقطاع ، فهي واو الاستئناف التي تفيد عطف القصة على القصة ، سواء أوقعت تلك الواو بين خبر وإنشاء أم بين خبرين أم بين إنشائين ، على نحو ما مر بك من شواهد ، وتكثر هذه الواو الاستئنافية في القصص القرآني ، بحيث تعطف بها القصة على القصة ، انظر في قوله تعالى « وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ . . فَتَوَلَّىٰ رِكْبَتِهِ وَيَأْتِي سَاحِرًا أَوْ يَجْنُونَ . . فَأَخَذْنَا لَهُ جُنُودَهُ لَنَبْذُلَنَّهُمْ فِي الْيَمِّ وَمَوْءِمًا . . وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ . . مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَمَلَةٌ كَالْمُجْهَمِ . . وَفِي نَمُودٍ إِذْ . . وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ »<sup>(١)</sup> نجد أن الواو قد عطفت أحداث قصة موسى على ما تقدمها من الحديث عن إبراهيم وحذيفة ، ثم عطفت قصة عاد وأحداثها على قصة موسى ، ثم نمود . . . . . وهكذا . . . . . وتسمى هذه الواو كالقلنا دوار الاستئناف ، ، ومثلها ، فاء الاستئناف ، وقد مر الفرق بينهما . . . . . فالاستئناف ثلاثة أنواع : استئناف بالواو أو الفاء ، واستئناف بغير الواو والفاء وهو ما يكون في تلك الجمل التي تتفق لإنشاء أو خبرها لفظا ومعنى ولا يوجد بينهما الجامع المسوخ للعطف فتأتي الجملة الثانية وقد استؤنف أي : ابتدئ بها معنى جديد ، واستئناف بياني وهو شبه كمال الاتصال الذي نتحدث عنه الآن . .

• • •

٣ - شبه كمال الاتصال : ويسمى أيضا بالاستئناف البياني وهو أن تكون

(١) سورة الذاريات آية ٣٨ - ٤٦ . .

الجملة الأولى متضمنة لسؤال تقع الجملة الثانية جواباً له كما في قوله تعالى :  
 « قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ » (١) فالجملة الأولى :  
 « إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ » ، أثارت سؤالاً الجواب : كيف لا يكون من أهلي وهو  
 ابني ؟ وجاءت الجملة الثانية جواباً لهذا السؤال المنار : « إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ » ،  
 ولا يكون الجملة الثانية جواباً لسؤال تتضمنه الجملة الأولى ، وينبثق منها ،  
 كانت مرتبطة بها ارتباطاً وثيقاً ، كما يرتبط الجواب بالسؤال ، ومن ثم ترك  
 العطف بينهما لأن الجواب لا يعطف على السؤال ، لما بينهما من ترابط وثيق  
 وصلة قوية . . انظر إلى قوله تعالى : « وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمَّهُ حَامِيَةٌ  
 وَمَا أَذْرَاكَ مَاهِيَةٌ . نَارٌ حَامِيَةٌ » (٢) ، وقوله عز وجل : « وَمَا أَذْرَاكَ  
 مَا التَّقِيَّةُ فَكَرْتَبَةٍ » (٣) ، وقوله جل وعلا : « قُلْ أَنَا نَبِيُّكُمْ بِشَرِّهِ مِنْ  
 ذَلِكُمُ النَّارِ وَعَدَمًا اللَّهُ الَّذِينَ كَذَّبُوا » (٤) ، نجد الجواب قد فصل عن  
 السؤال المصرح به في هذه الآيات الكريمة ، وفصل الجواب عن السؤال  
 المصرح به ، إما لسكال الاتصال لما بين السؤال والجواب من صلة قوية ،  
 وإما لسكال الانقطاع . لأن جملة السؤال إنشائية ، وجملة الجواب خبرية  
 وكما فصل الجواب عن السؤال المصرح به ، فإنه يفصل كذلك عن السؤال  
 المقدر الذي اقتضته الجملة الأولى وأثارته في ذهن المخاطب وقد ذكر البلاغيون  
 أن سبب الفصل عندئذ هو الاستئناف البياني أي شبه كمال الاتصال ، وليس  
 لسكال الاتصال الذي مر ، لأن الجواب ليس بياناً للجملة الأولى ، بل لشيء  
 ينبعث منها وهو السؤال الذي أثارته واقتضته ، وقد سمى الاستئناف هنا  
 استئنافاً بيانياً وهو غير الاستئناف بالروا أو الفاء أو الاستئناف بالجملة ، أي :  
 القطع ، لأنه استئناف بوضح ويبين جواب السؤال المنار المنبثق من الجملة

(٢) سورة القارة آية ٨ - ١١ .

(١) سورة هود آية ٤٦ .

(٤) سورة الحج آية ٧٢ .

(٣) سورة البلد آية ١٢ ، ١٣ .

الأولى ، فالجملة الثانية ليست منفصلة عن الأولى في الواقع ، ومنقطعة عنها ، بل مبيّنة وموضحة لشيء فيها ، ولذا سميت الثانية مستأنفة استئنافاً بيانياً . . . هذا والسؤال المنبعث من الجملة الأولى قد يكون عن السبب العام . . . كما في قول الشاعر :

قال لي كيف أتت ؟ قلت عليل سهر دائم وحزن طويل

الجملة : ، قلت عليل ، ، أثارت سؤالاً عن سبب العلة ، تقديره : ما سبب علتك ؟ ، وجاءت الثانية : ، سهر دائم وحزن طويل ، جواباً له . أما جملة : ، قلت عليل ، ، ففصلت عن السؤال المصريح به بلها الكمال الاتصال أول كمال الانقطاع ، كما أوضحنا . .

ومن ذلك قول أبي العلاء المبرور :

وقد غرخت من الدنيا فمهل زمني

معط حياتي لغير بعد ما غرختا

جربت دهرى وأهليه فما تركت

لي التجارب في ود امرئ غرختا (١)

فقد أشار البيت الأول تساؤلاً عن سبب سأمه وضجره ، فكان قائلاً قال له : لم تقول هذا ويحك ؟ وما الذي جعلك تطوى عن الحياة إلى هذا الحد كسحك ؟ ، فأجاب البيت الثاني هذا التساؤل المنبعث من البيت الأول : ، جربت دهرى وأهليه . . ، ولذا أصل أو قل : ترك المطف بينهما لما بين السؤال والجواب من اتصال وثيق ، وترايط قوى . . . وخذ قوله تعالى : « وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا

(١) غرخت : بكسر الراء : مل وسئم وضجر وبنتحها : حاجه . والغر : النفا .

وما غرختا : لم يشجر الحياة بعد كما ضجرت . .

حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ<sup>(١)</sup> ، نجد أن جملة : « تراود فتاها من  
نفسه ، قد أثارنا سؤالاً عن سبب تلك المرادة وهو سؤال عن السبب العام ،  
وقد جاء جوابه : « قد شغفها حباً ، ثم إن هذا الجواب أثار تساؤلاً آخر  
لخواء : وما رأيك في هذا ؟ ، فأجيب : « إنا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ ، وتلاحظ أن  
هذا التساؤل الثاني ليس عن السبب ، بل هو عن رأيك فيما صنعتته امرأة  
العزير من المرادة الناجمة عن حبها فتاها .

وقد يكون السؤال للمثار عن السبب الخاص ، أي عن سبب معين محدد ،  
كما في قول الشاعر :

إذا ما الدهر جر على أناس كلاكه أناخ بآخرين  
فقل للشامتين بنا أفقرنا سياتي الشامتون كما لقبنا

فقد انبثت من شطر البيت الثاني تساؤل عن سبب معين ، وكان سائلاً  
سأل : لم تقول لهم أفقرنا ؟ هل سياتقوا كما لقيم ؟ ، فأجيب سياتي الشامتون  
كما لقبنا . . . ومن هذا قوله تعالى : « وَمَا أَرْسَىٰ نَفْسِي إِلَّا نَفْسًا لِأَمَارَةٍ  
بِالسُّوءِ<sup>(٢)</sup> ، حيث فصلت جملة : « إن النفس لأماراة بالسوء ، عما قبلها ،  
لأنها وقعت جواباً لسؤال تضمنته وهذا السؤال عن السبب الخاص ، إذ فخراء :  
لم نغيت التبرئة عن النفس ، هل النفس أماراة بالسوء ؟ ، بل جاء الجواب :  
إن النفس لأماراة بالسوء . . . ومنه أيضاً قوله عز وجل : « وَقَالُوا هَذِهِ أُنْعَامٌ  
وَسَحَابٌ مِّمَّا يَخْلُقُ الْإِنسَانَ مِنْ نُفُوسٍ غَافِيَةٍ أَنْعَامٌ مِنْ حَمِيمٍ  
لَهُمُودٌ وَأُنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتَاءً عَلِيمٌ ، سَيَجْزِيهِمْ بِمَا  
كَانُوا يَفْتَرُونَ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذِكْرِنَا وَمَحْرَمٌ  
عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مِنْهُ قِطْرٌ مِّمَّا يَشْرَبُونَ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ

(٢) سورة يوسف آية ٥٣ .

(١) سورة يوسف آية ٣٠ .



إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (١) ، فقد فصلت الجملتان : « سيجزيهم بما كانوا  
يفترون » . . . « سيجزيهم وصفهم » . . . عما قبلهما أشبهه كال الاتصال ، حيث  
ولعت كل منهما جوابا لسؤال اقتضته الجمل قبلها ، وكانت سائلا سأل :  
لم هذه الافتراءات ولم تلك الأوصاف الجائرة ؟ هل سيجزون على ذلك ؟

لجاءت الإجابة : « سيجزيهم بما كانوا يفترون » . . . سيجزيهم وصفهم » .  
وواضح أن السؤال المتار في الآيتين عن السبب الخاص . . . وقد يكون  
السؤال المنبعث من الجملة الأولى عن غمير السبب . . . كما في قوله تعالى :  
« قُلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ . إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا :  
سَلَامًا قَالِ : سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ . فَرَأَى إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِمِجْلِ سَمِينٍ .  
فَقَرَّبَهُمْ لِأَبْنَيْهِ قَالَ : آلَا تَأْكُلُونَ . فَأَرْجَسَ فِيهِمْ خَيْفَةً قَالُوا لَا نَخَفُ  
وَبَشَرُوهُ بِبَنَاتِكُمْ عَلِيمٌ (٢) ، فقد فصلت الجمل : « قال : سلام » « قل :  
آلانا كلون » ، . قالوا : لا نخف » عما قبلها لأنها أجوبة لما تضمنته تلك الجمل  
من أسئلة أثرت في ذهن السامع ، وكأنه سأل فإذا قال إبراهيم ؟ فأجيب :  
« قال : سلام . . . قال : آلانا كلون » ، وماذا قالت الملائكة ؟ قالوا لا نخف  
وبشروه . . . ومثل هذا كل ما تراء في التنزيل من لفظ « قال » مفصولا  
عما قبله ، غير معطوف عليه بما طاف . . . ومن أمثالهم في هذا الصدد ،  
قول الشاعر :

زعم العواذل أنني في غمرة صدقوا ولكن غمرة لا تنجلي (٣)  
فالجمل الأولى : « زعم العواذل أنني في غمرة » ، حركت السامع وأثارت  
في ذهنه سؤالا : أصدقوا في ذلك الزعم أم كذبا ؟ ، فأخرج الكلام بخرجه

(١) - سورة الأنعام آية ١٣٨ ، ١٣٩ (٢) - سورة الذاريات آيات ٢٤-٢٨

(٣) - النمرة : الشدة . وتنجلي : تنكشف وتزول . . .

لو كان ذلك قد قيل له ، ففصل جملة : « صدقوا . . . » ، ومثله قول جندب  
ابن عمار :

زعم العواذل أن ناقة جندب  
بمجنوب خبت عريت واجمت  
كذب العواذل لو رأين مناخنا  
بالقادسية فلن : لج وذلك (١)

فقد فصل البيت الثاني عن الأول لوقوعه جوابا لسؤال فحواء أصدقن  
أم كذبن في زعمن ؟ ، وتلاحظ أن واو الجماعة في البيت الأول في نسو له  
« صدقوا » ، قد عادت إلى لفظ « العواذل » ، إما على أنه جمع عاذل جمعا  
سماعيا مثل فارس : فوارس ، أو على أنه جمع عاذلة بمعنى جماعة عاذلة من  
الذكور . . أما في بيت جندب فقد عاد إليه ضمير النسوة : رأين وقلن ، على  
أنه جمع عاذلة أي جمع مؤنث . . كما تلاحظ أن الجملة المستأنفة أي : جملة  
الجواب في بيت جندب قد وضع فيها الظاهر موضع المضمرة ، فإزداد بهذا  
أمر الاستئناف تأكيداً ، من حيث وضعه وضعا لا يحتاج فيه إلى ما قبله ،  
وإني به ما نفي ما ليس قبله كلام . . ومثله - وقد مر بك - قول الشاعر :

فقل للشامتين بنا أفيقوا . سياتي الشامتون كما لقينا

فلم يقل « سيقوا » بل وضع الظاهر موضع المضمرة ليزداد الاستئناف  
تأكيداً . . ومن الشواهد أيضا قول أبي تمام :

ليس الحجاب بمقص عنك لي أملا

إن السماء ترجى حين تحتجب

---

(١) هربت واجمت : أهملت وأزبل عنها رحابها لاستراحت . لج وذلك : اشتد في

فكان سائلا سئالة : كيف لا يحول الحجاب بينك وبين تحقيق آمالك  
ومآربك ؟ فأجاب : إن السماء ترجى حين تحتجب ..

وقول الآخر :

يرى البخيل سبيل المال واحدة إن الكريم يرى في ماله سبلا

و كان المخاطب عندما سمع نشطر الأول سال ، وما رأى الكريم في ماله ؟  
فأجاب : إن الكريم يرى في ماله سبلا .. وقول الآخر :

فغنا وهي لك الفداء إن غنا الإبل الحداء

فعندما قال الشاعر : غنا وهي لك الفداء ، توهم أن سائلا سألة : وما غنا  
الإبل ؟ أغناؤها الحداء ؟ أم أنك تقصد شيئا آخر غير الحداء ؟ فأجاب : إن  
غنا الإبل الحداء .

وترجع بلاغة هذا الأسلوب إلى ما يفيد من إثارة المخاطب وتحريك  
ذهنه ، فهذا السؤال المنبثق من الجملة الأولى ، قد انبعث في ذهن المخاطب  
أو في ذهن المشكك الذي أدرك أن الجملة ينبعث منها هذا السؤال ، وأن  
المخاطب ينتظر جوابا له وبيانا فعمدا يأتي البيان ويرد الجواب يقع في النفس  
أحسن موقع وأفضله . ولذا يقول المبرد عند حديثه عن بيت امرئ القيس :  
كان قلوب الطير رطبا وباهسا لدى ركرها العناب والحشف البالي  
فهذا مفهوم المعنى ، فإن اعترض معترض فقال : فهلا فصل فقال : كأنه  
رطبا العناب وكأنه باهسا الحشف البالي ؟ قبل له : العربي الفصيح الفطن يرى  
بالقول مفهوما ، ويرى ما بعد ذلك من التكرير عيا . (١) ...  
ولما قال خفاف الأحمر لبشار وقد استمع لبيته :

(١) انظر الكامل ج ٢ ص ٣٦ .

بكرًا صاحبًا قبل الهجير إن ذاك النجاح في التبيكير

لو قلت يا أبا معاذ : بكرًا فالنجاح ، كان أحسن ، فقال بشار : إنما  
بذبتنا أعرابية وحشية .. ولو قلت : بكرًا فالنجاح ، كان من كلام المولدين ..  
ومرادُه أن التكرار ، أي تكرار فعل الأمر أفاد التأكيد بوجه ظاهر لادقة  
فيه ، أما ما تضمنه فقد أفاد التركيز بوجه خفي دقيق ، مرجعه إلى التبعات  
السؤال من الجملة الأولى وإجابة الجملة الثانية عنه .. وقد أجمل القروي في  
سر بلاغة هذا الأسلوب في قوله : « وتزِيلُ السُّؤالَ بالفحوى منزلة الواقع  
لا يصار إليه إلا لجهات لطيفة : إما لتزييه السامع على موقفه ، أو لإغوائه أن  
يسأل ، أو لتلا بسمع منه شيء ، أو لتلا ينقطع كلامك بكلامه ، أو لتقصد  
إلى تكثير المعنى بتقليل اللفظ. وهو تقدير السؤال وترك العاطف ، أو لتزيد  
ذلك بما يتخربط في هذا السلك . » (١)

هذا ومن الاستئناف ما يأتي بإعادة اسم ما استترف عنه كقولك :  
أحسنتم إلي زيد ، زيد حقيق بالإحسان ، ومنه ما يبني على صفتة . كقولك :  
أحسنتم إلي زيد ، صديقك القديم أهل لذلك ، وهذا أبلغ لانعطائه على بيان  
سبب الإحسان ..  
وقد تأتي الجملة المستأنفة أي جملة الجواب بلا حذف شيء منها ، كما في  
قول المتنبي :

وما هفت الرياح له علا عفا من حدا بهم وساقا

وكا في قول الوليد بن يزيد الأموي :

عرفت المنزل الخالي عفا من بعد أحوال

عفا كل حنان عسوف الوهل هطال (٢)

(١) الإيضاح ٧٩/٢ .

(٢) عفا : درس والمراد بالأحوال : الأحوال التي سمدا بها بأحبابه وسكانه .  
والحنان : العذاب وعسوف الريل : شديد المطر .

لما نفى المتخبر العفاء عن الرياح ، ولما ذكر الوليد عفاء المنزل كان مظنة أن يسأل عن الفاعل من هو ؟ أو ما هو ؟ فأجابا عن ذلك : عفاء من حندا بهم وساقا . . . عفاء كل حنان ، ولم يحذف شيء من جملة الجواب ، إذ لو حذف الفعل فقبل : من حنابهم . . . كل حنان ، لما دل دلها عليه . و ذكر جملة الاستئناف كاملة بلا حذف يجعلها أشد انفصالا وأتم استقلالاً عن الجملة الأولى التي انبعث منها السؤال . . .

وقد يحذف صدر الاستئناف لقيام قرينة عليه ، ويكثر هذا عند ذكر الشعراء للديار والأطلال ، وكذا عند المدح أو الفخر أو الرثاء أو الهجاء ، حيث يقطع الكلام ويستأنف معنى جديد . . .  
من ذلك قول الشاعر :

اعتاد قلبك من ليلى عوائده      وماج أهواءك المكنونة العائل  
ربيع قواء أذاع المصبرات به      وكل حيران سار ماؤه خمتل<sup>(١)</sup>

لما ذكر أن العائل قد ماج أهواءه المكنونة ، اشتات النفس إلى معرفة خسر هذا العائل وصفته ، و كأنها سألت : ما خسر هذا العائل ؟ وما صفته ؟ ، فاستأنف الشاعر حديثاً عنه ، وبنى الكلام على حذف صدر الاستئناف ، المسند إليه ، فقال : ربيع قواء أذاع المصبرات به . . .

ومثله قول ذي الرمة :

إلى لوائح من أطلال أخوية      كأنها خيلٌ مَوْشِيَّةٌ تُسَبُّ  
دار لينة إذى ناعندا      ولا يرى مثلها عجبم ولا عرب<sup>(٢)</sup>

(١) المصبرات : السحاب وكذا الحيران والسارى . أذاع به : ذهب . والخمتل :

الكثير . والقواء : الموحش . . .

(٢) اللوائح : ما تبين ولاح . . . وأحسوية : بيوت مجتمعة واحدها حواء . . .

والخيل : بطائن أجنان السيف واحدها : خلة . وموشية : منقرشة . والشب : جدد

استأنف مدينا شأن الأطلاق ، وحذف صدر الاستئناف ، إذ المراد :  
تلك دار لمة .. ومنه في المديح قول الشاعر :

م حلوا من الشرف الملى      ومن حسب العشيبة حيث شاموا  
بناة مكارم وأساة كرم      دماؤهم من الكلب الشفاء<sup>(١)</sup>

وقول الآخر :

سأشكر حمرا إن تراخت منية      أيادي لم تمنن وإن هي جلت  
قى غير محبوب الغنى عن صدقة      ولا مظهر الشكوى إذا الفعل زلت  
وقوله :

أضادت لهم أحسابهم ووجوههم      دجى الليل حتى نظم الجرع ناقبه  
نجوم سما. كلما انقض كوكب      بدا كوكب تأرى إليه كواكب<sup>(٢)</sup>

إلى غير ذلك مما يقطع فيه الشعراء كلامهم ويستأنفون معاذ أخرى  
في حذفون عندئذ صدر الاستئناف لدلالة الدليل عليه .. فإن قلت : الأيودي  
.. حذف صدر الاستئناف إلى احتياج جملة الاستئناف إلى ما قبلها ، وعندئذ  
لا يكون اتصالها تاما واستقلالها كاملا ؟ .. قلت : ليس كل حذف يؤدي  
إلى الاحتياج وعدم الاستقلال ، بل إن الحذف ، في الشئ اهد المذكور قد  
مساعد على استقلال الجمل المستأنفة وعدم احتياجها إلى ما قبلها ويتضح لك  
هذا عندما تقدر المحذوف فتقول : ذلك ربع فواء .. تلك دار مروة ..  
.. ناة مكارم هو قى غير محبوب الغنى .. هم نجوم سما .. إذ تجد أن  
اسم الإشارة والضمير تسند جملة تلك الجمل مرتبطة بما قبلها محتاجة إليه ،  
أما الحذف فيجعلها مستقلة عنه .. ولاحظ أن هناك فرقا بين هذه الأهد

(١) الكلب : الجرح . والكلب : داء يصيب الإنسان إذا عنته كلب ..

(٢) الجرع : خرز فيه بيض وسواد ..

ويبين بقاء المتين والوليد، إذ الحذف في بيتي المتنبي والوليد يؤدى إلى التوضيح  
واللبس لعدم وجود دليل يدل على المحذوف ، وانرا : وما عفت الرياح له  
مخلاً من حدائهم . . . عفا من بعد أحزان كل حنان عذوب الويل . . . نجد المعنى  
لا يستقيم عند الحذف ، ولو فرضنا استقامته فستجد أن جملة الاستثناء  
محتاجة إلى ما قبلها . . . أما حذف نظير الاستثناء في الشواهد المذكورة ،  
فقد ساعد على استقلالها وعدم احتياجها إلى ما قبلها ، كما وضع لك . . .  
ومما حذف في صدر الاستثناء من آي الذكر الحكيم قوله تعالى : « يُسَبِّحُ  
لَهُ فِيهَا بِالْفُؤَادِ وَالْأَصْوَالِ . رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ مِّنْ  
ذِكْرِ اللَّهِ . . . »<sup>(١)</sup> بقراءة يسبح مبنياً للمفعول ، وكان سائلاً :  
من يسبح ؟ فأجيب : رجال يحذف صدر الاستثناء وهو هنا المسند . . .  
ومن ذلك أسلوب نعم وبئس مثل نعم الرجل خالد ، وبئس رجلاً عمرو ، على  
اعتبار أن المخصوص بالمدح أو الذم خير مبتدأ محذوف ، وكان سائلاً :  
من الممدوح ومن المذموم ؟ فأجيب : الممدوح خالد والمذموم عمرو .

وقد يحذف الاستثناء كله ويقوم ما يدل عليه مقامه ، كقول الجاسق :

وعنتم أن إخوتكم قریش لهم إلف وليس لكم إلاف

فقد أثار صدر البيت سؤالاً تقديره : أكد بنا أم صدقنا ؟ فأجيب : كذبتم  
في وعظكم ، وقد حذف هذا الجواب ، وأقيم قوله : لهم إلف وليس لكم إلاف  
مقامه لدلالته عليه ، ويجوز اعتبار قوله : لهم إلف وليس لكم إلاف ،  
جواباً لسؤال انتضاء الجواب المحذوف ، وكأنه لما قيل : كذبتم ، قالوا : لم  
كذبنا ؟ قال : لهم إلف . وليس لكم إلاف ، فيكون في البيت على هذا  
استثنافان . ويجوز أن يكون الفصل في البيت أشبه كل الاقطاع الآتي  
بيانه . . .

وقد يحذف الاستئناف كله لدلالة السياق عليه كقوله تعالى :  
 « وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَنُوسِعُونَ . وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ  
 لِلْمَاهِدُونَ » (١) . . . أي : نعم الماهدون نحن ، وقوله عز وجل : « إِنَّا وَجَدْنَاهُ  
 حَارِباً نِعْمَ التَّيِّدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ » (٢) ، أي : نعم العبد أيوب . .

هذا وقد تأتي الجملة الواقعة موقع الجواب بالفاء أو الواو ، وتسمى  
 الفاء فاء الاستئناف وكذا الواو تسمى واو الاستئناف ، ولكن الاستئناف  
 بهما يختلف عن الاستئناف البياني ؛ لأن الاستئناف بالواو يؤذن باستقلال  
 الكلام وانفصاله ، إذ يكون المراد عطف القصة على القصة أو عطف جمل  
 مسوقة لغرض على جمل مسوقة لغرض آخر ، كما مر بك . . ومن ذلك  
 قوله تعالى : « يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضِيعُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا  
 مُؤْمِنِينَ . قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضِيعُوا أَنْتُمْ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ  
 الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ . وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضِيعُوا لِلَّذِينَ  
 اسْتَكْبَرُوا بَلْ سَكْرٌ آتَيْنَاهُمُ وَالنَّهَارِ . . » (٣) :

حيث جاءت الآية الثانية بدون الواو ، فأفاد ذلك أنها متولدة عن الآية  
 الأولى ، إذ وقعت جواباً لسؤال تضمنته ، وجاءت الآية الثالثة بالواو فأذنت  
 بالاستقلال ، وصار الكلام معها من قبيل عطف القصة على القصة . .  
 ومن ذلك قول الشاعر :

أرى بصرى عن كل يوم وابلة

يكل وخطوى عن مدى الخطر يقصر

ومن يصحب الأيام تسمين حجة يغيره والدهر لا يتغير

(٢) سورة ص الآية ٤٤

(١) سورة الداريات الآية ٤٧ ، ٤٨

(٣) - سورة سبأ آية ٢١ ، ٢٣ .



حيث جاء البيت الثاني مستأنفا بالوار التي تؤذن بالاستقلال .  
• الاستئناف بالفاء يجعل الكلام مرتباً بمعنى على بعض ، وليس متولداً  
بعضه من بعض . انظر إلى قول أبي تمام:  
لأنه كرى عطل الكريم من الخفى      فالسبل حرب للسكان العمالى

تجد أن الفاء قد جعلت الكلام مرتباً بمعنى على بعض ... وخذ  
قوله تعالى : **وَقَالَتَا : لَا نَسْبِقُ حَتَّىٰ يُسْأَرَ الرَّعْدُ وَابْرَأُنَا ذَبْحًا كَثِيرًا فَنَسُقَ  
لَهُمَا شَمًّا تَوَاتَىٰ إِلَىٰ لِلظُّلْمِ قَتَالَ : رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ قَدِيرٌ .  
فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَىٰ اسْتِغْيَابٍ ...** (١) ، تجد أن هذه الفاءات :  
• فسق لهما .. فقال رب .. فجاءته إحداهما .. ، قد جعلت الكلام مرتباً  
بمعنى على بعض ..

أما الاستئناف البياني فالكلام فيه يتولد بمعنى من بعض ، إذ ينبعث من  
أجزائه الأولى سؤال وتقع الثانية جواباً له ، فالثانية مرتبطة بالأولى ارتباط  
الجواب بالسؤال وهو ارتباط داخلي وثيق ، وليس ارتباطاً لفظياً ظاهراً ،  
كافي الاستئناف بالفاء ، ولا استقلالاً وتبانياً كما في الاستئناف بالوار ..

٤ - شبه كال الانقطاع : وقد عرفناه بقولهم : أن تكون الجملة مسبوقه  
بجملتين يصح وصلها بالأولى منهما لوجود المناسبة التي تسوغ الوصل ،  
ولا يصح عطفها على الثانية ، فيترك العطف دفماً لتوهم العطف على الثانية ،  
وتصبح الجملة الثالثة منزلة المنقطعة عن الأولى ، بهذا الحائل ...  
من ذلك قول الشاعر :

وتأتان سلبى أتى أغير بها      بدلا أراها في الضلال نهم  
فتد فصل جملة : ، أراها في الضلال ... ، عن الجملة الأولى : ، تظن

سلي . . . ، لأن عطفا عليها يوم أنها معطوفة على جملة : . . . أبغى بها  
يدلا ، فتكون بهذا من مظهرات سلي ، وهي من كلام الشاعر ، لا من  
مظنوناتها ، فدعنا لهذا التوهم وجب الفصل . . ومثله قول الآخر :

يقولون : إني أحمل الضيم عندهم  
أعوذ بربي أن يضاء نظيري

فصل جملة : « أعوذ بربي » عن جملة : « يقولون » مع جـسـواً عطفا  
عليها ، حتى لا يتوهم عطفا على جملة : « أحمل الضيم . . . » فتكون من  
مقوله وهو ليست منه ، بل هي من كلام الشاعر .

ويمكن أن يكون من هذا الموضع قول الجاسي :

زعمتم أن إخوانكم قريش لهم ألف وليس لكم إلا

فيكون فصل جملة : « لهم ألف . . . » عن جملة : « زعمتم » فدعما لتوهم  
عطفا على جملة : « أن إخوانكم قريش » ؛ إذ هي ليست من زعمهم بل من  
كلام الجاسي . . وانظر في قوله تعالى : « وَإِذَا خَلَا إِلَى شِيَاطِينِهِمْ قَالُوا :  
إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ . اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ »<sup>(١)</sup> ، فقد مر بك  
امتناع عطف جملة : « الله يستهزئ بهم » على جملة : « إنا معكم » ، أو على  
جملة : « قالوا » ، أما عطفا على جملة الشرط وجوابه : « إذا خالوا إلى  
شياطينهم قالوا » ، بخلاف ، ولكن يمنع منه توهم عطفا على إحدى الجملتين  
المدكورتين . . وكذا القول في الآيات الكريمة : « وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا  
فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ . إِلَّا لَهُمْ هُمُ الْهَادُونَ وَالَّذِينَ  
لَا يَشْعُرُونَ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا : أَنُؤْمِنُ كَمَا  
آمَنَ السُّفَهَاءُ إِلَّا إِنَّمَا هُمُ السُّفَهَاءُ . . »<sup>(٢)</sup> ؛ ولا يخفى عليك أنه يمكن رد

(١) سورة البقرة آية ١٤ ، ١٥ . (٢) سورة البقرة آية ١١ - ١٣ .

سبب الفصل في هذه الشواهد إلى شبه كمال الاتصال كما نبه كثير من البلاغيين وبذا يلغى هذا الموضوع من مر صرح الفصل .

٥ - الفصل لعدم الاشتراك في القيد : أو كما عرفه بعض البلاغيين بالتوسط بين السكاليين مع وجود المانع من العطف وهو عدم الاشتراك في الحكم . . وقد استشهدوا لهذا بقوله تعالى : وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شِيَاظِ يَوْمِهِمْ فَأُورُوا إِثْمَ كُمْ إِنَّمَا تَحْنُ مَسْتَهْزِئُونَ . اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ . (١) ، وقد فصل جملة : والله يستهزئ بهم عن جملة : قالوا ، لأن قولهم مقيد بوقت خلوعهم إلى شياطينهم أما استهزاء الله بهم فدائم في كل ان ، وليس مقيد ابدا الوقت ، ولذا وجب الفصل لعدم الاشتراك في القيد . . . وأما فصل هذه الجملة : والله يستهزئ بهم ، عن جملة : إنا مهمل ، فعدم قصد التشريك في الحكم الإعرابي - كما مر بك في الجمل التي لها محل من الإعراب . . . بقوله : أن أذكرك بما نهيتك إليه من أن الجمل التي لها محل من الإعراب تفضع لما تخضع له الجمل التي لا محل لها من الإعراب من مواضع الفصل المذكورة ، وانظر مثلاً في قوله تبارك وتعالى : وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدْيَنَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ ، قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ، إِنَّا نَنظُرُهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٢) ، نجد ان الجمل الثلاث : امرأة العزيز ترارود . . . قد شغفها حبا . . . إنا ننظرها في ضلال . . . قد وقعت مقولا لقول النسوة فلها محل من الإعراب محل ، وقصد فصل بينها لشبهه كمال الاتصال ، إذ أثارت الجملة الأولى سه الأفعال ما سبب تلك المرارود ٤ ، فجاء التعليل : قد شغفها حبا ، وكذا تضمنت الثانية سؤالا تقديرية : وما رأيكن ٤ ، فأجيب بالجملة الثالثة : إنا ننظرها في ضلال مبين . . . وارجع إلى ما سبقناه من شواهد في مواضع الفصل المذكورة ليتضح لك أن الجمل جميعها سواء في تلك المواضع ، وأنت لا تستطيع أنصر هذه المواضع على الجمل التي لا محل لها من الإعراب . .

(١) - سورة البقرة آية ١٤ ، ١٥ . (٢) - سورة يوسف آية ٣٠ .

وهذا نكون قد فرغنا من مواضع اتصال بين الجمل وانتقل الآن إلى  
مواضع الوصل ...

مواضع الوصل بين الجمل : - وقفنا - فيما سبق - على أن الجمل التي لها عمل  
من الإعراب ، يوصل بينها إذا قصد التضمين في الحكم الإعرابي ، ووجدت  
المناسبة المرسوخة للعطف ، ولم يكن هناك مانع يمنع من الوصل .  
وقد ذكر البلاغيون ، ضمنين آخرين الموصول بين الجمل وهما :

١ - التوسط بين الكلمتين ، والمراد بالكلماتين : كمال الاتصال وكمال  
الانقطاع ، وقد مر مره بقولهم : أن تتفق الجملتان خسبها أو إنشاء لفظا  
و معنى ، أو معنى فقط ، فمثال اتفاقهما في الخبرية لفظا ومعنى قوله تعالى :  
« إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَكَن فِي جَحِيمٍ » (١) ،  
وقوله عز وجل : « قُلِ اللَّهُمَّ مَا لِكِ الْمَلِكِ نُؤْتِي الْمَلِكَ مَن نَّشَاءُ وَنُنزِعُ  
لِلْمَلِكِ مَن نَّشَاءُ وَنُجِزُ مَن نَّشَاءُ وَنُنزِلُ مَن نَّشَاءُ بِيَدِكَ الْخَلْقُ إِنَّكَ عَلَى  
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . كَوَلِّجُ الْأَيْسَلَ فِي النَّهَارِ وَنَوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ  
وَ نُنزِرُ الْجَلِيَّ مِنَ السَّمَاءِ وَنُنزِرُ الْجَلِيَّ مِنَ السَّمَاءِ وَنُنزِرُ مَن  
نَّشَاءُ بِقَدْرِ حِسَابٍ » (٢) ، فقد اتفقت الجملتان : « إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ »  
، « إِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ » ، في الخبرية لفظاً ومعنى ، ووجدت المناسبة  
المرسوخة للعطف ، ولم يمنع من العطف مانع ، ولذا وصل بينهما كما ترى .  
وكذا القول في الآيتين : « قُلِ اللَّهُمَّ ... » ، ولا يخفى عليك ما يفيد به الجمع بين  
الجمل في الآيتين ، من إبراز قدرة الله عز وجل في أسى ما يشاء ، وتأمل :  
تؤتي الملك من تشاء وتنزع وتمن من تشاء وتنزل ... توصل الليل في النهار

وتولج النهار في الليل . . . وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب . . . لا يقدر على تلك الأضداد إلا الخالق القادر المهيمن ذو السلطان والملك . . . ومثال ما اتفقت فيه الجملتان في الإنشائية لفظاً ومعنى قوله تعالى : « يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ مِمَّا كُنْتُمْ مَسْجُودًا وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ »<sup>(١)</sup> ، فقد اتفقت الجملتان : خذوا زينتكم . . . كلوا . . . اشربوا . . . لا تسرفوا ، في الإنشائية لفظاً ومعنى ، ومن ثم وصل بينهما . . . ومما اتفقت فيه الجملتان في الإنشائية معنى ، قوله تعالى : « وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَالْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالسَّكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا . . . »<sup>(٢)</sup> في الآية ثلاث جمل ، الأولى : لا تعبدون إلا الله ، والثانية حذف فيها فعل الأمر وتمسديرها : واحسنوا بالوالدين إحساناً ، والثالثة : وقولوا للناس حسناً . . . والجملتان الثانية والثالثة إنشائيتان لفظاً ومعنى كما ترى ، أما الأولى ظهرياً لفظاً ، إنشائية معنى ، لأنها تعنى النهى أى : لا تعبدوا إلا الله ، وبهذا يكون اتفاق الجمل الثلاث في الإنشائية في المعنى فقط دون اللفظ . . . ومما اتفقت فيه الجملتان في الظهرياً معنى قوله تعالى : « قَالَ : إِنِّي أَنشَدْتُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ »<sup>(٣)</sup> جملة : « واشهدوا . . . » إنشائية لفظاً ظهرياً معنى ، إذ المراد : إن أشهد الله وأشهدكم ، وبهذا يكون اتفاق الجملتين في الظهرياً معنى لا لفظاً . . . وإنما عسدت مثل هذه الجمل ، توسطاً بين الكمالين . . . لانفاقها في الخبرة أو الإنشائية مسح وجود المناسبة الموسوعة للوصول ، فليست من قبيل كمال الاتقاطع الذى عرفته . . . كما أنها ليست من قبيل كمال الاتصال لعدم وجود الروابط والصلات القوية بينها والفرع عنها في صور كمال الاتصال . . . ولذا سمى البلاغيون هذا الموضوع بالتوسط بين الكمالين .

(٢) سورة البقرة آية ٨٣ .

(١) سورة الأعراف آية ٣١ .

(٣) سورة هود آية ٥٤ .

٣ - كمال الإقطاع مع الإيهام : أقول لك لتاجر : أنتبيع هذه البضاعة ؟  
 فيجيبك : لا يوافقك الله ، وقولك : تطدبق لك المعنى ، وكذلك ؟ فيجيب :  
 لا يوافقك الله به ، وقولك : أتأب العاصم الأفتجانبك لا وتهم بمراة من غلبين  
 الجملةين كما ترى كمال الإقطاع ، لأن جملة : لا يه خير من لفظ : الحق ،  
 والجميل : ما فاك إجماعاً . أطاب الله به ، ويهد به الله من خيرية النظائر ، والجملة : معنى ،  
 وكمال الإقطاع : كما درست ، ويرجى الفصل بين الجملةين ، لأن  
 الفصل هنا يوم خلاف المراد ، إذ يتوهم أن الجواب يدعو بعدم العافية وعدم  
 اللطف وعدم الكفاية ، وأنه قد أجاب بجملة واحدة منفية ، ساطت فيها ، لا ،  
 بل ، ما يندفها وليس بجملةين ، قدفما لهذا الإيهام يجب الوصل بين الجملةين ،  
 ولذلك إذا اندفع هذا الإيهام بأن بسكت المتكلم قليلاً بعد النطق بالحرف  
 ، لا ، أو يذكر الجملة المنفية كاملة ، فيقول : لا أيهه ، ثم يذكر الجملة  
 التوافقية : ما فاك الله ، ، عندئذ يجب الفصل ، إذ لا إيهام . . .

الجامع أو التناسب بين الجملةين : عرفت أن اتفاق الجملةين في الخبرية  
 أو الإنشائية يوجب الوصل بينهما إذا وجدت المناسبة أو الجامع المسوخ  
 للوصل ، وكذا عند قصد التشريك في الحكم الإعرابي ، فأراد البلاغيين  
 بهذا الجامع أو بتلك المناسبة ؟ يريد البلاغيون بذلك : أن يكون المسند إليه  
 في الجملة الأولى بسبب من المسند إليه في الجملة الثانية ، وكذا المسند  
 فيهما ، يقول عبد القاهر ، واعلم أنه يجب أن يكون المحدث عنه في إحدى  
 الجملةين بسبب من المحدث عنه في الأخرى ، كذلك ينبغي أن يكون  
 الخبر عن الثاني مما يجري مجرى الشبيه والنظير أو النقيض للخبر الأول  
 غلو قلت : زيد طويل القامة وعمره شاعر ، كان خافاً ، لأنه لا مشاكلة  
 تؤولاً تعلق بين طول القامة وبين الشعر ، وإنما الواجب أن يقال : زيد كاتب  
 وعمره شاعر ، وزيد طويل القامة وعمره قصير ، وجملة الأمر أنها - يقصد  
 الواو - لا تجزى ، حتى يكون المعنى في هذه الجملة لفظاً لمعنى في الأخرى وهو ضاماله ،  
 مثل أن زيد أعمراً إذا كانا أخوين أو نظيرين أو مشبكي الأحوال على الجملة ،

كانت الحال التي يكون عليها أحدهما من قيام أو قيود أو ما شاك ذلك مصدرة في التنفس إلى الحال التي عليها الآخر من غير شك ، وكذا السبيل أدب والمعاني في ذلك كالأشخاص ، وإنما قلت مثلاً : العلم حسن والجهل قبيح ، لأن كون العلم حسناً مضموم في المقول إلى كون الجهل قبيحاً ، واعلم أنه إذا كان الخبر عنه في الجملتين واحداً كقولنا : هو يقول ويفعل ويضرب وينمى ويسوى ويحسن ويحل ويعقد وأشبه ذلك ، ازداد معنى الجميع في الواو قوة وظهوراً وكان الأمر حينئذ صريحاً . . . (١)

وقد اختلف البلاغيون في المتعاقبات ، دل بذنهم أن يتصور فيها التناسب أيضاً ؟ والصواب أنه لا يعتبر في ذلك إلا إذا كانت مقصودة بالذات ومرادة في الجملتين ، كقوله تعالى : « يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَذْتُ الذُّبَابَ وَتَدُّهُ عُوْنِي إِلَى النَّارِ » (٢) . . . وكافي قول الشاعر :

أريد حياته ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مراد

هذا وقد تكون المناسبة بين الجمل دقيقة خفية وعندئذ تحتاج إلى تأمل السياق ومعرفة قرائن الأحوال به . . . انظر إلى قوله تعالى : « وَأَقْلَابًا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ سَخِلََتْ إِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُيِّمَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ » (٣) نجد أن المناسبة بين الإبل والسماء والجبال والأرض ، لا تتضح لك إلا بالتأمل وإطالة النظر ، إذ عند التأمل تعرف أن أهل الوبر تكون عنايتهم مصروفة إلى الإبل ، حيث يتفهمون بها في جل معاشهم وانتفاعهم بها لا يحصل إلا بأن ترعى وتشرب وذلك يكون بتزول المطر ، فيكثر قلب وجوهرهم في السماء . ثم لا بد لهم من أن يرى يتحصنون به ، ولا شيء لهم في ذلك كالجبال ، ثم لا غنى لهم لتعلم طول مكثهم في منزل من التثقل من أرض إلى سواها . . . وهذا يتضح لك أن الإبل والسماء والجبال والأرض متناسبة في ذهن البدوي وأخيلة أهل الوبر . . .

(١) دلائل الإعجاز من ٢٢٢، ٢٢٣ .

(٢) سورة غافر آية ٤١ .

(٣) سورة النازية آية ١٧-٢٠ .

كما أنه قد يتحد كل من المسند والمسند إليه ولا توجد مسوغاً للوصل على نحو ما ترى في قولك : انظر إلى غزارة علم عمرو ... وانظر إلى هذا القطع في ثوبك، فمثل هاتين الجملتين لا يجمعهما سياق واحد لا منفصلتين ولا موصولتين، على الرغم من اتحاد المسند والمسند إليه في كل منهما ... وقد يختلف كل منهما في الجملتين وتوجد المناسبة المناسبة للمسوغ للوصل، على نحو ما ترى في قوله عز وجل : « قَلَمًا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا إِنَّمَا إِلَهُكُمُ الرَّحْمَنُ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَعْقِلُونَ » (١) فالسند إليه بهما : « الفجر وإخوة يوسف » مختلفان لاتناسب بينهما ، وكذلك المسندان : « المس والمجىء » ، وعدل الرعم من هذا وصل بين الجملتين لوجود المسوغ للوصل وهو ان المس سبب في المجيء ...

محسنات الوصل : ومن محسنات الوصل أن تتناسب الجملتان في الاسمية والفعلية ، وفي المضي والمضارعة، وفي الأمر والنهي، وفي الإطلاق والتقييد... انظر إلى قوله تعالى : « إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ » (٢) تجد تناسب الجملتين في الاسمية ... ومنه قول الشاعر :

أسود إذا ما أبدت الحرب ناهيا      وفي سار الدهر الغيوث المواطرا

ومن تناسبهما في المضي قوله تعالى : « ... فَأَوَّاكُم مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَبَشِّرِ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ إِذَا أُذِنُوا لِلْعِبَادَةِ قَالُوا يَا حَسْبُكَ اللَّهُ لَأَتَّكِفِي مَعَ رَبِّي لَأُحَدِّثَ لَكَ نَسْرًا وَأَنبَأُكَ بِمَفْعَلِهِمْ خُذْ أَمْْرًا مِّنْ أَمْرِي فَاعْبُدْهُ وَذَرِكُمْ مِّنْ آلِهَاتِكُمْ تَعْلَمُونَ » (٣) .. وقول الشاعر :

أعطيت حتى زكيت الريح حاضرة      وجدت حتى كان الغيث لم يها  
ومن تناسبهما في المضارعة قوله تعالى : « قُلِ الْآمَنُ مَالِكٌ لِّذَلِكَ نَتُوبُ

(٢) سورة الانعام آية ١٣ ، ١٤ .

(١) سورة يوسف آية ٨٨ .

(٣) سورة الأنفال آية ٢٦ .



لَلَّكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلَكُ يَمُنُّ تَشَاءُ .. (١) .. وقول الشاعر :  
روح ونفوس لحاجتنا وحاجة من ماش لانتقاض

ومن تناسبهما في الأمر والنهي قوله تعالى : « وَكُلُوا وَاشْرَبُوا  
وَلَا تُسْرِفُوا » (٢) ، وقوله عز وجل : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُوبِ  
إِنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَعْتَدَ لَكُمْ عَذَابًا عَظِيمًا » (٣) ، وقوله عز وجل : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا  
لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا هُمْ يُضِلُّونَ أَسْبَابَ الْمَوْتِ كَمَا ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ لَآتِي  
بِكُلِّ شَيْءٍ حَسَابًا » (٤) ، وقوله عز وجل : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا  
هُم يُضِلُّونَ أَسْبَابَ الْمَوْتِ كَمَا ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ لَآتِي بِكُلِّ شَيْءٍ حَسَابًا » (٥) .

ومن تناسبها في التقييد قول الشاعر :

دنوت تراضعا وعلوت جدا فشانك انحدار وارتفاع

ولما يعد التناسب فيما ذكر من محسنات الوصل ما لم يدع داع إلى المخالفة،  
فلو دعا داع إلى المخالفة كان الحسن في تلك المخالفة التي دعا إليها هذا الداعي  
واقترانها المقام ، انظر في قوله عز وجل : « إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ  
خَادِعُهُمْ » (٦) .

فقد آثر التعبير بالمضارع ، بخادعون ، ليفيد أن خداع المنافقين حادث  
متجدد ، وبالاسم ، خادعهم ، ليفيد أن فعل الله ثابت ودائم في جميع الأحوال،  
وفي هذا زيادة في التشكيل والتعذيب .. ومن ذلك قوله تعالى :  
« فَفَرِّقُوا كَذِبُكُمْ وَقَرِّبُوا تَفْتُلُونَ » (٧) . . . يقول الزمخشري في بيان السر

(١) سورة الأعراف آية ٣١ .

(٢) سورة النساء آية ١٤٢ .

(٣) سورة آل عمران آية ٢٦ .

(٤) سورة لقمان آية ١٧-١٩ .

(٥) سورة البقرة آية ٨٧ .

البلاغي للمخالفة في الآية : ، فإن قلت : هلا قيل وفريقا قتلتم ؟ قلت : هره ،  
وجهين أن تراد الحال الماضية ، لأن الأمر فظييع فأريد استحضاره في النفوس  
وتصوره في القلوب ، وأن يراد : وفريقا تقتلونهم بعد لاسكم تحرمون  
حول قتل محمد صلى الله عليه وسلم لولا أني أعصمه منكم .. (١) ، وبهذا  
يتضح لك أن المقام قد يقتضى عدم تناسب الجمليتين فيما ذكر ، وعندئذ  
يكون الحسن فيما اقتضاه المقام ودعا إليه الحال . .

فروق في الجملة الحالية : سر بك جواز مجيء الواو بين الصفة وموصوفها  
وبين الحال وصاحبها سواء أكانت الصفة مفردة أم جملة وسواء أكانت الحال  
كذلك مفردة أم جملة ، وعرفت ما يمكن وراء مجيء الواو أو تركها من  
دقائق وأسرار .. ونريد هنا أن تفصل لك القول في الحال عندما تأتي جملة ،  
مى تقترن جملة الحال هذه بالواو ، ومى تنتج الواو ، ومى يجوز الإتيان  
بالواو ويجوز تركها ، وقبل أن تفصل لك القول في تلك الجملة الحالية  
ننمك إلى ما ذكرناه آنفا من أن الواو بلا فيها من معنى المغايرة فوى تؤذن  
بالاستقلال ، وكان ثقاتل عندما يقول : جاء زيد وغلامه يسعى بين يديه ،  
قد أخبر إخبارين ، أخبر بمجىء زيد ثم بحاله عند المجىء .. وهذا من شأنه أن  
يؤكد جملة الحال وأن يفيد شدة لصوقها بصاحبها .. أما إذا قال القائل :  
جاء زيد غلامه يسعى بين يديه ، فهو يخبر خبراً واحداً ، يخبر عن مجىء هذه  
حاله وتلك هيئته .. تأمل قول عبد القاهر : ، وإذا قد عرفت هذا فاعلم أن  
كل جملة وقت حالاً ثم امتنعت من الواو فذاك لأجل أنك عمدت إلى الفعل  
الواقع في صدرها فضممته إلى الفعل الأول في إثبات واحد ، وكل جملة  
جاءت حالاً ثم اقتضت الواو فذاك ؟ لك مستأنف بها خبراً وغير قاصد إلى  
أن تضمها إلى الفعل الأول في الإثبات . تفسير هذا أنك إذا قلت جاءنى زيد  
يسرع كان بمنزلة قولك : جاءنى زيد مسرعاً في أنك تثبت مجيئاً فيه إسراع

وتصل أحد المعنيين بالآخر ، وتعمل الكلام خيراً واحداً وتريد أن تقول  
جاءني كذلك ، وجاءني بهذه الهيئة ، وهكذا قوله :

وقد علوت فتود الرجل يسقني يوم قديديمة الجزاء مسموم<sup>(١)</sup>

كأنه قال : وقد علوت فتود الرجل بارزاً للشمس ضاحياً ، وكذلك  
قوله :

متى أرى الصبح قد لاحت مخالبه واللبل قد مرقت عنه السراويل

لأنه في معنى : متى أرى الصبح بادياً لانحاً بيناً متجلباً ، وعلى هذا  
القياس أبداً ... وإذا قلت : جاءني وغلامه يسمى بين يديه ورأيت زيداً وسيفه  
على كتفه ، كان المعنى على أنك بدأت فأنبت الحى - والرؤية ، ثم استأنفت  
خبراً وابتدأت إثباتاً ثانياً لاسمى الغلام بين يديه ولشكون السيف على كتفه ،  
ولما كان المعنى على استئناف الإثبات احتيج إلى ما يربط الجملة الثانية بالأولى  
لجى - بالواو كما جى - بها في قولك : زيد منطلق وعمر وذاهب ، والعلم حسن  
والجمل قبيح ، وتسميننا لها واو الحال ، لا يخرجها عن أن تكون مجتلية  
لضم جملة إلى جملة<sup>(٢)</sup> . وإياك أن يلتبس عليك الأمر فنظن أن جملة الحال  
قد انفصلت بهذه الواو عن صاحبها وتباعدت عنه ، إن الأمر على عكس هذا  
لأن هذه الواو قد قربت الحال من صاحبها وأبرزتها جليلة واضحة شديدة  
الاتصاق به ، مؤكدة الانساب إليه - كما وضعت لك - وإذا قد هرفت ذلك  
فاعلم أنت الجملة الحالية قد يجب اقترانها بالواو وقد يمنع وقد يجوز ...  
واليك البيان .

(١) الفتود بضم الفاء جمع فتد وهو خشب لرحل السمود . وسنمه : السعة بجره  
فغير لونه ، وسنمه النار كذلك . وقديديمة : اسم ليدام طرف مكان . والجزاء :  
من منازل الشمس . ويوم مسموم : هبت فيه ريح السموم بكثرة وهي ريح حارة . . .  
(٢) دلائل الإعجاز ص ٢٢٤ ، ٢٢٥ .

إذا كانت الحال جملة فعلية فعلها مضارع مثبت غير مقرون بقد امتنع  
اقترانها بالوار كما في قوله تعالى : « وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ  
بِالْفُتَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَقْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ  
الدُّنْيَا » (١) . وقوله عز وجل : « وَلَا تَنْتَهِنُ نَسْتَكْرِي » (٢) . وقوله جل وعلا :  
« وَتَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ » (٣) . وقوله عز من قائل : « وَسَيُجَنَّبُهَا  
الْأُنثَى الَّذِي بُوْئِيَ مَالَهُ يَتَزَكَّى » (٤) . ومنه قول الشاعر :

وقد علوت فتود الرجل يسفني يوم قد يديعة الجوزاء مسموم  
وقول الآخر :

ولقد اغتدى يداقع ركني أحوذي ذوميمة إضربح (٥)  
أما ما جاء من نحو قول العرب : قت وأصك عينه ، وقول عبد الله  
ابن همام السلولي :

فلما خشيت أظافيرهم نجوت وأرهنهم مالكا  
وقول هنترة العبسي :

علقتها عرضا وأنتل قوهها زعما لعمر أيلك ليس بمنهم

فقيل : إن ما في المثال شاذ وما في البيتين ضرورة ، وقيل إنه على حذف  
المبتدأ والتقدير : قت وأنا أصك .. نجوت وأنا أرهنهم .. علقتها عرضا  
وأنا أنتل .. وقال عبد القاهر : ليست الواو للحال بل هي للعطف والفعل  
المضارع في تأويل الماضي والمعنى : قت وعسككت .. نجوت ورهننت ..  
علقت وقتلت ..

(١) - سورة الكهف الآية ٢٨ .

(٢) - سورة المدثر الآية ٦ .

(٣) - سورة الأنعام الآية ١١٠ .

(٤) - سورة الليل الآية ١٧ ، ١٨ .

(٥) الأحوذي : السريغ في السير وفي غيره ، وصف اللرس ، والإضربح : اللرس  
الجداد ، الواح الأمان الشديد المدوء وذو ممة : ذوابونة وسهولة في السير ..

وإن كان المضارع مقرونا بقدم واجب اقتران الجملة بالواو كما قوله تعالى :  
« وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ كُفَرْتُمْ بِلِقَاءِ رَبِّي وَقَدْ تَنذَرْتُمُونِ أَنِّي رَسُولُ  
اللَّهِ إِلَيْكُمْ .. » (١) ، وكقولهم : لم لم تستمد وقد ترحل غدا ..

وإن كان المضارع منفيا جاز أمرا : اقتران الجملة بالواو ، وترك الواو ،  
والمضارع المنفي يظل مضارعا إذا كان المنفي بغير لم ولما ، أما المنفي بلم ولما  
فهو ماضٍ معنى ؛ لأن لم ولما يقلبان إلى الماضي ، وهو أي المنفي بلم ولما معاجوز .  
فيه الأمران أيضا .. فما جاء بالواو قوله تعالى : « فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَمَنَّيَا » (٢) ،  
في قراءة من قرأ بتخفيف النون ، وكقولهم : كنت ولا أخشع بالذئب ، ،  
أي : لا أخوف به ... وكقولهم : يصيب ولا يدري ويقول ولا يفعل ..  
وكقول مسكين الدارمي :

أكسبته الورق البيض أيا      وبعد كان ولا يدعى لأب

ولقول مالك بن ربيع وكان قد جنى جناية فطلبه مصعب بن الزبير :

بغاني مصعب وبنو أبيه      فإني أحميد عنهم لا أحميد  
أفادوا من دمي وتعدوني      وكنت وما ينهني الوعيد

فكان في هذه الشواهد تامة بمعنى : وبعد وقد اقترنت الجملة الحالية بالواو  
كما ترى وفعلها مضارع منفي .. وما جاء بغير الواو قوله تعالى : « وَمَا لَنَا  
لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ » (٣) وقوله عز وجل : « وَمَا آتَاكُمْ لَا تُنَاقِلُونَّ فِي سَبِيلِ  
اللَّهِ .. » (٤) وقول الشاعر :

إن تلقى لارني غيري بناظرة      نفس السلاح وتعرف جهة الأسد

(٢) سورة يونس آية ٨٩ .

(٤) سورة النساء آية ٧٥ .

(١) سورة الصف آية ٥ .

(٣) سورة المائدة آية ٨٤ .

وقول الآخر :

لو أنتِ قوما لا ارتفاع قبيلة دخلوا السماء دخلتها لا أحجب

وقوله :

عهدتك ما تصبر وفيك شبيبة فا بالك بعد الشيب صبا متيا

وكذلك إذا كانت الجملة الحالية جملة فعلية فعلها ماضى لفظا أو معنى جاء الأمران أيضا اقترانها بالواو ، وعدم اقترانها ، والماضى لفظا لا يقع حالا إلا وهو مقرون بقدر ظاهرة أو مقدره ، والماضى معنى هو المضارع المنقبط أو لما - كما ذكرت - . فلما جاء بالواو قوله تعالى : « أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ وَانرَأَيْ عَاقِرٌ » (١) ، وقوله هز وجل : « أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا » (٢) ، وقول امرئ القيس :  
أبتغاني وقد شغفت فزادها كاشتفت المهشوة الرجل الطال  
وقوله أيضا :

فجئت وقد نضت نفوس ثيابها لدى للستر إلا ليسة المتفضل  
فالجملة الحالية كأنرى فعلها ماضى لفظا وقد اقترن بالواو . وما جاء فعلها ماضيا معنى وقد اقترن بالواو أيضا قوله تعالى : « وَمَنْ أَكْظَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْدَشِي » (٣) ، وقوله هز وجل : « أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشْرٌ وَلَمْ أَكُ سَابِقًا » (٤) .

وقول كعب بن زهير :

لاناخذني بأقوال الوشاة ولم اذنب وإن كثرت في الاقاويل  
وقوله هز من قائل : « أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ

(٢) سورة مريم آية ٨٠ .

(٤) سورة مريم آية ٢٠ .

(١) سورة ال عمران آية ٤٠ .

(٣) سورة الأنعام آية ٩٣ .

مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ . . . (١) . . . وما جاء بلا واو قوله تعالى :  
« أَوْ جَاءَكُمْ حَصِيرَاتٌ مِنْهُنَّ رُؤُوسُهُنَّ » (٢) . . . وقول الشاعر :

وإني لتعروفني إذ ذاك مرة      كما انتفض العصفور بلله القطر  
وقول الآخر :

متى أرى الصبح قد لاحت غدايله      والليل قد مرقت عنه السراويل  
وقوله تعالى : « فَأَتَقَلَّبُوا يَتَمَتَّةٍ مِنْ اللَّهِ وَفَضَّلِمْ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ » (٣)  
وقوله عز وجل : « وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَنَظَرِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا . . . » (٤)  
وقول زهير :

كأن فئات المهن في كل منزل      نزلن به حب الفنا لم يحطم (٥)  
وإذا كانت جملة الخال اسمية فالأولى أن تأتي بالواو كقولك جاء زيد  
وعمر وأمامه ، وأتاني وسيفه في يده . وكقول اسرى القيس :  
أبتلني والمشرقي مضاجعي      ومسنونة زرق كأنياب أغوال  
وقوله أيضا :

ليالي يدعوني الهوى فأجيبه      وأعين من أهوى إلى روان (٦)  
وقد يأتي بدون الواو كقولك : كلمته نوره إلى في ، ورجع عوده على يده .  
وقول الشاعر :

رلولا جنان الليل ما أب عامر      إلى جعفر سرباله لم يمزق  
فإن كان المبتدأ في الجملة الحالية ضمير صاحب الخصال وجبت الواو

---

(١) سورة البقرة آية ٢١٤ .      (٢) سورة النساء آية ٩٠ .  
(٣) آل عمران آية ١٧٤ .      (٤) سورة الأحزاب آية ٧٥ .  
(٥) اللغات : اسم لما انتم وتقطع من الشيء . والهن : الصوف المصبوغ .  
والفنا : عنب الثعلب . . .  
(٦) روان : جمع رانية أي : مديعات للنظر .

ولا تصلح جملة الحال بدونها البتة ، كقولك : جاء زيد وهو راكب ودخلت عليه وهو على الحديث .. فلا يجوز أن تقول : « جاء زيد وهو راكب » ، ولا دخلت عليه وهو على الحديث ، ومن ذلك قوله تعالى : « فَلَا تَجْعَلُوا فِيهِ أُنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ »<sup>(١)</sup> ؛ وقوله جل وعلا : « وَلَا تَبَاشِيرٌ لَهُمْ وَأَنْتُمْ مَا كَفَبُونَ فِي الْمَسَاجِدِ .. »<sup>(٢)</sup>

وإن كان الخبر في الجملة الحالية ظرفا أو جارا ومجرورا وقدم على المبتدأ كثر فيها أن تجيء بغير الواو كقولك : قدم المقاتل على كنفه سيف وأقبل في يده سوط ، وقول بشار :

إذا أنكرتني بلدة أو نكرتها      خرجت مع البازي على سواد<sup>(٣)</sup>  
وقول الآخر :

فاشرب هنيئا عليك التاج مرتفعا      في رأس غمدان دارا منك محلا<sup>(٤)</sup>

ويقل مجيئها عندئذ بالواو كقولك : جاء وعليه ثوب ، ومر وفي يده سيف وقد جاءت في النظم الكريم بالواو وبدونها ..

قال تعالى : « وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَآمًا كِتَابٌ مُسْمُومٌ »<sup>(٥)</sup> ، وقال عز قائله : « وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ »<sup>(٦)</sup> ، وقد مر بك السر البهلاغي السكامن وراء ذكر الواو وتركها في الأبيتين السكريتين .. و« ما يجيء بالواو في الأكثر ، ثم يأتي بغير الواو في مواضع فيلطف مكانه ، الجملة قد دخلتها ، ليس . تقول : أتاني وليس عليه ثوب ، ورأيتك وليس معك

(١) سورة البقرة آية ٢٢ . (٢) سورة البقرة آية ١٨٧ .

(٣) البازي ويقال له أيضا قبان ، ضرب من الصقور وعلى سواد : أي بقية من الليل .

(٤) غمدان بضم الغين : حصن بصنماء . ومحلال : ابنة سهبة يحمل الناس بها كثيرا ،

والبيت لأمية بن أبي الصمات في مدح سيف بن ذي يزن .

(٥) سورة الحجر آية ٤ . (٦) سورة الشعراء آية ٢٠٨ .



شيء ... هذا هو الكثير المستعمل ، وقد جاءت بدون الواو لحسن موقعها ولطف ، كما في قول الاعرابي :

لغافقي . وحيدا الإفتاء تعرفه الأرسان والدلاء  
إذا جرى ، في كفه الرشاه خيل القليب ليس فيه ماء (١)

وقد تجد أن الجملة الاسمية جاءت بغير واو لحسنت ، ثم تنظر وتتأمل فتجد أن سبب الحسن دخول حرف على المبتدأ ، كما في قول الفرزدق :

فقلت عسى أن تبصريني كأنما بني حواري الأسود الحوار (٢)

فإنه لولا دخول د كان ، على المبتدأ لم يحسن الكلام إلا بالواو بأن يقال : عسى أن تبصريني وبني حواري الأسود ..

وشبهه بهذا أن ترى الجملة قد جاءت حالا عقب مفرد فلطف مكانها وحسن ، ولو أردت أن تجعلها حالا من غير أن يتقدمها هذا المفرد لم يحسن ، كما في قول ابن الرومي :

والله يبقيك لنا سالما برداك تبجيل وتعظيم

ف قوله : ، برداك تبجيل ، في موضع حال ثانية ، ولو لم أنك أسقطت «سالما» من البيت فقلت : والله يبقيك برداك تبجيل وتعظيم لم يكن شيئا (٣) ..

وقد تجد الجملة الحالية جملة اسمية والمبتدأ فيها ضمير يعود إلى صاحب الحال وعلى الرغم من هذا تنتسح الواو بلاغة ، كما في قوله تعالى :

---

(١) الأرسان : جمع رسن وهو الخيل . والرشاه : جبل اللؤلؤ . والقليب : البئر .. وخيل القليب : تركه .

(٢) الحوارد : الانتصاب مترددة حارده .

(٣) انظر دلائل الإعجاز ص ٢٢٢ .

« وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا سَيِّئًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ » (١٩) ،  
لجملة : « هم قائلون » ، سال ثانية وقد صدرت بضمير يعود إلى صاحبها ،  
لحقها أن تكون بالواو ، ولكن الواو امتنعت هنا ، وامتناعها لسر  
بلاغه ، وهو كراهة أن يتوالى حرفا عطف ومما « او والواو » في اللفظ ،  
فلما استقيح تواليهما امتنعت واو الحال ..

• • •

## الفصل الرابع

### الإيجاز والإطناب

لكل مقام مقال ، والبلاغة كما عرفها البلاغون ، طائفة الكلام لمقتضى الحال ، فالحال قد تقتضى الإيجاز فى القول وطى الكلمات وعندئذ تكون البلاغة فى أن يوجز المتكلم ويختصر كلامه ، وقد تقتضى الإطناب وإطالة القول وعندئذ تكون البلاغة فى الإسهاب وإشباع القول وإطالة الكلام . . ولذا قال الأعرابي عندما سئل عن البلاغة : « البلاغة : الإيجاز فى غير عجز والإطناب فى غير خطل » ، وسأل معاوية صحار العبدى ، ما تمدون بالبلاغة فيكم ؟ فقال صحار : الإيجاز . قال معاوية : وما الإيجاز ؟ فأجاب : أن تجيب فلا تبطل ، وتقول فلا تخطل . (١) . .

وقال عبد الله بن المقفع : « البلاغة اسم جامع لمعان تجرى فى وجهه كثرة ، فمنها ما يكون فى السكوت ومنها ما يكون فى الاستماع ومنها ما يكون فى الإشارة ومنها ما يكون فى الاحتجاج ومنها ما يكون جوابا ومنها ما يكون شعرا ومنها ما يكون سجعا وخطبا ومنها ما يكون رسائل ، فعمامة ما يكون من هذه الأبواب الوحى فيها والإشارة إلى المعنى والإيجاز هو البلاغة ، فأما الخطب بين الساطين وفى إصلاح ذات البين ، فالإكثار فى غير خطل والإطالة فى غير إملال ، وليكن فى صدر كلامك دليل مل حاجتك ، كما أن تحير أبيات الشعر البيت الذى إذا سمعت صدره عرفت قاقيته ، فقبل له : فإن مل السامع الإطالة التى ذكرت أنها حتى ذلك الوقت ؟ ، قال : إذا أعطيت كل مقام حقه ، وقت بالذى يجب من سياسته ذلك المقام ، وأرضيت من

(١) انظر البيان والتبيين ١/٩٦ .

يعرف حقوق الكلام ، فلا تتم لما فاتك من رضا الحاسد والعدو ، فإنه لا يرضيهما شيء ، وأما الجاهل فلست منه وأيس منك ، ورضا جميع الناس شيء لا تناله ، وقد كان يقال : رضا الناس شيء لا ينال . . . (١) . . . وقد امتدحوا الإيجاز كثيرا فقالوا : البلاغة إجماع اللفظ وإشباع المعنى . . البلاغة لغة دالة . . البلاغة كلمة تكشف عن البقية . . . ولعل السبب في هذا يرجع إلى أمة العرب ، وإلى أنهم أمة صافية الذهن ، دقيقة الحس ، سريرة الفهم ، فالعربي تكفيه الإشارة وتغنيه اللمحة ، وغير العربي يحتاج إلى الإطالة وإشباع القول ، وبهذا عل الجاحظ إيجاز القرآن الكريم عند خطاب العرب والأعراب ، والبسط والإطالة عند خطاب بني إسرائيل . (٢) وهذا ما يفسر لنا أيضا سر السؤال الذي وجه إلى ابن المقفع في قوله المذكور والذي تدرك منه رائحة الاعتراض على مدح الإطناب في موضعه وفي مقامه الذي اقتضاه : فإن من السامع الإطالة التي ذكرت أنها حق ذلك الموقف . . . . .

وبهذا يتضح لك أن الإيجاز مقامات تقتضيه ، ومواضع تلائمه ، كالحكم والأمثال ، كما أن الإطناب مقامات تقتضيه ، ومواضع تلائمه ، كالمدح والتفخر والوعظ ، وما يحسن فيه الإيجاز لا يحسن فيه الإطناب ، وكذلك ما يحسن فيه الإطناب لا يحسن فيه الإيجاز ، ومن مقامات الإيجاز مقامات الخلف التي عرفتها في باب المسند إليه والمسند ومتعلقات الفعل ، كما أن من مقامات الإطناب تلك المقامات التي وقفت عليها عند دراستك لذكر المسند والمسند إليه ومتعلقات الفعل (٣) . . .

الإيجاز : معناه وأوصافه : وقد عرفوا الإيجاز بأنه : اندراج المعاني المتكاثرة تحت اللفظ القليل . . أو عرض المعاني الكثيرة في ألفاظ قليلة مع الإبانة والإفصاح ليسهل تعلقها بالذهن وتذكرها عند الحاجة إليها في المناسبات المختلفة . . وهو نوعان :

(١) البيان والنبين ١/١١٥ . (٢) انظر الحيوان ١/٩٣ . (٣) ارجع إلى الجزء الأول من هذا الكتاب .

١ - إيجاز قصر . ٢ - إيجاز حذف .

فإيجاز القصر هو الدلالة على المعاني الكثيرة بالفاظ قليلة ، أى : تضمين العبارات القليلة القصيرة معانى كثيرة غريبة ، دون أن يكون فى تراكمها لفظ محذوف . . . كما فى قوله تعالى : « خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ »<sup>(١)</sup> ، فقد جمع فى هذه الآية الكريمة جميع مكارم الاخلاق ؛ لأن فى « العفو » الصفح والإغضاء . ومساحة من أساء والرفق فى كل الأمور ، وفى الأمر بالعرف ، صلة الأرحام ومنع اللسان عن الكذب والغيبة ، وغض الطرف عن كل محرم ، والقيام بمتطلبات الدعوة إلى الله عز وجل ، وفى الإعراض عن الجاهل : الصبر والحلم وكظم الغيظ . . . فهذه ألفاظ قليلة وقد قامت معانيها إلى الخاية ، وزادت عن الحد إلى غير نهاية . . . ومن ذلك قوله تعالى : « أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ »<sup>(٢)</sup> فقد دلت هذه الجملة من الآية الكريمة على استقصاء جميع الأشياء والشئون ، حتى روى أن ابن عمر رضى الله عنهما قرأها فقال : « من بقى له شيء فليطلبه » . . . ومنه قوله عز وجل : « أُولَئِكَ لَهُمْ لَأْمُنٌ »<sup>(٣)</sup> ، فهذه الجملة يدخل تحتها كل أمر محبوب ويفتنى بها كل صنوف المنكارة . . . وقوله تعالى : « انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا »<sup>(٤)</sup> ، فتلك ثلاث كلمات حوت معانى غريبة ، إذ شملت الأمر بالتفير العام الجهاد ، وقطعت جميع الميجع والدرائع المعوقة عن الجهاد . . . وقوله عز وجل : « أَخْرِجْ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْءًا مَّاءَهَا »<sup>(٥)</sup> ، فقد دلت هذه الآية الكريمة على جوع ما أخرج من الأرض قوتنا ومتاعاً للناس ولذواب من عشب وشجر وحطب ولباس وراز وما . . . وغير ذلك . . . وانظر إلى قوله عز من قائل فى وصف

(٢) - سورة الأعراف آية ٥٤ .

(٤) - سورة التوبة آية ٤١ .

(١) - سورة الأعراف آية ١٩٩ .

(٢) - سورة الأنعام آية ٨٢ .

(٥) - سورة التنازهات آية ٣١ .

انتهاء الطوفان : « وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَالِينَ » (١)  
فقد قصت القصة مستوحاة بحيث لم يخل بشيء منها في أوجز عبارة وأخصر قول .. ومن المشهور في هذا الباب قوله تعالى : « وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ » (٢) ، إذ المراد به أن الإنسان إذا علم أنه متى قتل قُتِلَ كان ذلك داعيا قويا له إلى أن يكف عن القتل ولا يقدم عليه فأوجب ذلك حياة الناس ، فانظر كيف اندرجت المعاني المتكاثرة تحت هذه الألفاظ القليلة .. وقد كان أوجز كلام قيل في هذا المعنى ، قول العرب : « القتل أنى للقتل » ، ولكن الآية الكريمة بتنظيمها الدقيق المدجج ، وبلاغتها السامية ، فاقت هذا القول من وجوه متعددة أهمها :

- ١ - فيما قالوه تكرار ، والنظام الكريم لا يكرر فيه ..
- ٢ - ليس كل قتل نافيا للقتل ، إذ لا ينفي القتل القتل إلا إذا كان على حكم القصاص ، وهذا ما تقيده الآية الكريمة دون القول المذكور .
- ٣ - في الآية طباق لطيف بين القصاص والحياة .. والضحدي يظهر حسنة الضد ..
- ٤ - الآية جعلت القصاص كالأصل للحياة وذلك بدخول الحرف « في » عليه ، وفي ذلك مالا يخفى من المبالغة الجميلة والتخييل العجيب ، إذ جبه لنا الفناء محلا للحياة ..

- ٥ - الآية الكريمة أو جز من القول المذكور .
- ٦ - في تنكير كلمة « حياة » ، زيادة للتعظيم والتنويع ، فهي حياة عظيمة فريدة ، تمتاز عن حياة البشر وكأنها حياة مستقلة خاصة ، إذ إن من هم بالقتل نساء يعلم أنه سيقبض منه فإنه يرتدع وينزجر ويكف عن القتل فيسلم صاحبه منسما هو فيجيا ويحيا صاحبه .. تلك حياة عظيمة فريدة ..

(٢) - سورة البقرة آية ١٧٩ .

(١) سورة هود آية ٤٤ .

٧ - تنلو الآية الكريمة من لفظ، والقتل، المشعر بالوحشة، وإشارتها إلى تحقيق العدل بلفظ القصاص...

ومن شواهد إيجاز القصر أيضا قوله تعالى: «مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِمٍّ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ»<sup>(١)</sup>، أي: لا شفاعة ولا طاعة. فليس المراد تقي طاعة الشفيع بمعنى أن الشفيع يوجد ولكن لا يطاع، بل المراد أنه لا شفاعة أصلا... ومثله قول امرئ القيس:

على لاحب لا يشتدي بمناره إذا سانه العود النباطي جرجر<sup>(٢)</sup>

أي: لا منارة ولا اهتمام... وقول أوس بن حجر:

لا يفزع الأرنب أهواطا ولا ترى انضب بها بنجر<sup>(٣)</sup>

أي: لا أرنب ولا فزع، ولا انضب ولا انجحار... فقي هذه الشواهد

قد اتقى القيد والمقيد مما، والتقى موجه إلى القيد فقط، ولا يتقى عليك ماني هذا من إيجاز... وانظر إلى قول الشريف الرضي:

مالوا إلى شعب الرجال وأسندوا

أيدي الطعان إلى قلوب تخفق<sup>(٤)</sup>

فإنه لما أراد أن يصف هؤلاء القوم بالشجاعة في أثناء وصفهم بالفرام

غير من ذلك بقوله: وأسندوا أي الطعان إلى قلوب تخفق...

(١) سورة طه آية ٧٨ -

(٢) اللاحب: الطريق؛ والمنارة: العلامة تجعل على الطريق. وسانه: فعه، والسود: الجبل المسور والنباطي: الضخم وجرجر: ضيق ورغا، وإنما يرغو الجمل لعرفته يمد الطريق ومشتة السير فيه...

(٣) بنجر: يدخل جحره... يصف ملازة بأنها غير مطروقة النار...

(٤) شعب الرجال يضم الشين: خشبها، وميلهم إليها إشارة إلى ركوبهم عليها ورحيلهم لقتال وتخفق: تضطرب أمراق الأحية...

وقول أبي تمام :

وظلت نفسك طالبا إنصافها فوجب من مظلومة لم تظلم  
أراد : أكرهنا على تحمل الصعاب والمشاق فأنصفتها بذلك إذا وجبت لنا  
مجدا عريفا وذكرا حسنا ، فصارت بهذا الصنيع مظلومة لم تظلم ..

وقول الآخر :

وإن هو لم يحمل عن النفس ضيقها فليس إلى حسن الثناء سبيل  
فقد جمع في البيت الصفات الحميدة من شجاعة وسماحة ومرودة ونجدة  
وإغائه مملوف وغير ذلك ؛ لأن هذه الصفات من ضم النفس ، إذ تجد يحملها  
مشقة وعناء ..

ورسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد أوتي جوامع الكلم ، والكلام  
الجامع هو الذي تتسكأثر معانيه وتقل ألفاظه ، ومن جوامع كله عليه الصلاة  
والسلام : « لا ضرر ولا ضرار ، « إنكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند  
الطمع ، « إن الله لا يمل حتى تموتوا » « المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء  
وعودوا كل جسم ما اعتاد » فتلك الأفاظ قليلة حوت معاني كثيرة يطول بك  
القول لو وصفها والإحاطة بها .. ومن إيجاز الكتاب ، ما كتبه عمرو بن مسعدة  
إلى المأمون بشأن رجل يهمله أمره إذ قال في كتابه : « كتابي إليك كتاب  
واثق بمن كتب إليه معنى بمن كتب له ، ولن يضيع بين الثقة والعناية سامله ..

وما كتبه إليه أيضا يحثه على تهجيل أرزاق الجند : « كتابي إلى  
أمير المؤمنين ، ومن قبلي من قواده وسائر أجناده في الانقياد والطاعة على  
أحسن ما يكون جند تأخرت أرزاقهم ، وانقياد كفاة تراخت أعطياتهم ،  
فاختلت لذلك أحوالهم والثالث معه أمورهم » ولا يخفى عليك ما في الكتابين  
من معان غزيرة صيغت في عبارات قليلة والأفاظ موجزة ، وهذا هو شأن  
إيجاز القصر الذي يجري مجرى الأمثال في الجمع بين الإيجاز والجمال والقوة ..



انظر إلى : كتبه جعفر بن يحيى البرمكي ووقع به في كتاب رجل شكاً إليه بعض  
عماله : « قد كثر شاكروك وقال شاكروك فأما اعتدلت وإما اعتزلت .. »

• • •

أما إيجاز الحذف ، فقد عرفه البلاغيون بأنه : التعبير عن المعاني الكثيرة  
في عبارة قليلة وذلك بحذف شيء من التركيب مع عدم الإخلال بتلك المعاني ..  
ولا بد في كل حذف من وجود أمرين : داع يدعو إليه ، وقربة تدل على  
المحذوف وترشد إليه وتمينه .. والمحذوف إما أن يكون جزء كلمة ، أو كلمة  
أو جملة أو أكثر من جملة .. وإليك بيان ذلك :

حذف جزء الكلمة : كما في قوله تعالى : « أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ  
يَمْسَسْني بَشْرٌ وَلَمْ أَكُ سِنِيًّا »<sup>(١)</sup> ، فالأصل : ولم أكن بنياً وقد حذفت  
التون تخفيفاً .. وقوله عز وجل : « وَتَأَذَّرَا يَا مَالِكُ لَبِئْسَ عَلِيمًا رَبُّكَ  
قَالَ : إِنَّا كُنَّا مَّا كُنُونَ »<sup>(٢)</sup> ، في قراءة من قرأ بترخيم المنادي ، والأصل :  
يا مالك ، لحذفت الكاف إشارة إلى ما هم فيه من ألم وعذاب وضيق وحزن ..  
ومنه قول لبيد :

• درس المناسبات فإبان •

أراد : درس المنازل .. ومنه قول علقمة بن عبدة :

كان لإبريقهم ظبي على شرف مقدم بسبا السكتان ملثوم

أراد : بسباب السكتان .. وقول الحارث الجرمي :

قوسى هم قتلوا أمهم أخى فإذا رميت بصيوتى سهمى

أراد : يا أميمة ، فحذف حرف النداء ، ورخم المنادى فحذف منه

(٢) سورة الزخرف آية ٧٧ •

(١) سورة مريم آية ٢٠ •

التاء . . وارجع إلى باب المسند إليه في الجزء الأول من هذا الكتاب لتقف على الأسرار البلاغية السكامة وراء الحذف في هذه الشواهد .

حذف السكامة : وله صور كثيرة أهمها :

١ - حذف الحروف ، كحذف همزة الاستفهام في قوله تعالى : « مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَآمُّمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَنْزِلَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ مَوْ خَالِدٌ فِي النَّارِ » (١) ، إذ المراد : أمثل الجنة التي وعد المتقون كمن هو خالد في النار . . فحذفت الهمزة وفي حذفها زيادة تصوير لعناد المعاندين ومكابرة المكابرين الذين يسوزن بين الحق والباطل وبين من يتمسك بالبينة ومن يتبع هواه . . يقول اليمخشري : « فإن قلت ، : ما معنى قوله تعالى : « مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ » . كمن هو خالد في النار؟ ، قلت : هو كلام في صورة الإثبات ومعنى النفي والإنكار ، لا تطوائه تحت حكم كلام مصدر بحرف الإنكار ودخوله في حيزه وانخراطه في سلكه وهو قوله تعالى : « أَمَّنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْتِهِ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ » ، فكأنه قيل : أمثل الجنة كمن هو خالد في النار؟ ، أي : كمثال جزاء من هو خالد في النار، فإن قلت : فلم عرى من حرف الإنكار وما فائدة التعرّية؟ قلت : تعرّيته من حرف الإنكار فيها زيادة تصوير لمكابرة من يسوى بين المتمسك بالبينة والتابع لهواه، وأنه بمنزلة من يثبت التسوية بين الجنة التي تجرى فيها تلك الأنهار، وبين النار التي يسقى أهلها الحميم . . » (٢) ، ومنه قوله تعالى : « وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىٰ أَنْ تَسْجُدَ

(٢) فكشاف ٣/٥٣٣ .

(١) سورة محمد آية ١٥ .

سبي إسرائيل<sup>(١)</sup> ، إذ المراد : أو تلك نعمة .. ؟ وقوله عز وجل :  
« وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ  
إِمَامًا قَالَ : وَبَيْنَ ذُرِّيَّتِي<sup>(٢)</sup> ، أي : أو من ذريتي .. غُذِفَتِ الْمَرْءُ  
فِي الْمَوْضِعِ<sup>(٣)</sup> .. وكعُذِفَ ولا ، الذاتية كما في قوله تعالى : « قَالُوا : يَا نُوحُ  
تَمَتَّنَا فِي ذُرِّيَّتِكُمْ يُوسُفُ سَيِّئٌ تَسْكُونُ رِجْسًا أَوْ تَسْكُونُ مِنَ الْهَالِكِينَ<sup>(٤)</sup> ،  
أي : لا تنفعا .. وكعُذِفَ حرف الهداء كما في الآية السكرية : « يُّوسُفُ  
أَعْرَضَ عَنْ هَذَا ..<sup>(٥)</sup> .. وكافي البيت :

قوى هم قتلوا أميم أخى فإذا رميت يصيبني سهمى

إذ المراد : يا يوسف أعرض .. يا أميمة . فحذف حرف الهداء<sup>(٦)</sup> .

٢ - حذف المستند إليه أو المسند أو أحسنه متملقات الفعل كالمفعول  
والحال والجار والمجرور ، على نحو ما مر بك في تلك الأبواب .

٣ - حذف المضاف ، كما في قوله تعالى : « وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا  
وَالْبَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا<sup>(٧)</sup> ، أي أهل القرية وأصحاب البئر ، لحذف للمضاف  
في الموضعين ، وحذفه يشير إلى شهرة السرقة وذيرعها وكانهم يريدون : أن  
أمر سرقة قد اشتهر وذاع إلى حشد أنك لو سألت الجمادات لأجابت ،  
ولو سألت الحيوانات انطلقت وأخبرت .. ومنه قوله تعالى :  
« وَمِثْلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمِثْلِ الَّذِي بَنَعَ بِالْأَلْبَانِ دُعَاءً وَبَدَاءً<sup>(٨)</sup> »

- 
- (١) سورة الشعراء آية ٢٢ . (٢) سورة البقرة آية ١٢٤ .  
(٣) ارجع إلى أسرار هذا الحذف في رسالتنا الحذف في ضوء أساليب القرآن .  
(٤) سورة يوسف آية ٨٥ . (٥) سورة يوسف آية ٢٩ .  
(٦) ارجع إلى باب المستند إليه في الجزء الأول من هذا الكتاب  
(٧) سورة يوسف آية ٨٢ - (٨) سورة البقرة آية ١٧٦ .

إذ المراد . ومثل داعي الذين كفروا كمثل الذي ينطق بما لا يسمع ، فحذف المضاف وهو داعي ، رفعا لشأنه وتزجيرا له عن أن يقرن في اللفظ بهذا الذي ينطق بما لا يسمع وأن يضاف إلى الذين كفروا . . وحذف المضاف يقع كثيرا في النظم الكريم على نحو ما ترى في الآيات السكرية :  
 « وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ » ، أى : في سبيل الله « حَرِّمْنَا عَلَيْكُمْ طَيِّبَاتٍ يَأْتِي لَهَا » أى : تناول طيبات . « لَيْسَ كَانَ بَرْجُوا اللَّهِ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ » ،  
 أى : رحمة الله ونعيم اليوم الآخر . « إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا » ،  
 أى : من مذابه وقد ظهرت هذه الإضافات في الآية السكرية « وَبَرْجُونَ رَحْمَةً وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنْ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ تَحْذُرًا » . ومعه قوله عز وجل :  
 « فَذَلِكَ الَّذِي كُنْتُمْ تُؤْتُونَ » أى : في مرادها .

٤ - حذف المضاف إليه : كافي قوله تعالى : « وَوَعَدْنَا نُوحِي ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَيْنَاكُمْ بِثُغْرِ » (١) ، أى : بعشر ليال ، وقوله تعالى : « اللَّهُ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ يَمْدُ » (٢) ، أى : من قبل الغاب ومن بعده .  
 ٥ - حذف للوصوف : كافي قوله تعالى . « وَعَيْنُهُمْ قَامِرَاتُ الْعُرْفِ أَنْزَابًا » (٣) ، أى : حور قامرات العرف . وقوله عز وجل : « إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ » (٤) ، أى : وعمل صالحا فاكتمى بالصفة عن الموصوف في الآيتين لذيوع الصفة وشهرتها .

٦ - حذف الصفة : كافي قوله تعالى : « أَمَا السَّيْفِيَّةُ فَسَكَاتٌ لِمَتَارِكِينَ يَمْتَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَزْدَتْ أَنْ أَعْيَبَهَا وَكَانَ ذَرَاهُمُ إِلَيْكَ بِأَخْذِ كُلِّ

(١) سورة الأعراف آية ١٤٢ .

(٢) سورة ص آية ٥٢ .

(٣) سورة الروم آية ٤ .

(٤) سورة مريم آية ٦٠ .

سَيُؤْتِيهِمْ فَعْسَبًا<sup>(١)</sup> ، أى : يأخذ كل سفينة صالحة ، بدليل قوله : « فأردت أن أعيها .. » ، والحذف هنا يرحى بجهروت هذا الملك وإفساده وشدة ظلمه ، فنصبه ليس قاصراً على ألم الملح من السفن ، بل تجاوزه إلى غير الصالح ، فعنايته هى الغصب والاستيلاء ، فالحذف فى الآية بصور مدى طغيان الملك وشدة ظلمه ..

٧ - حذف القسم : كقوله تعالى : « كَيْنَ أَمْ يَنْتَقِرِ التَّائِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ » وَالرَّاجِعُونَ فِي الْمَدِينَةِ كَأَنفِرَ بِنَتِكَ يَوْمَ تُمْ لَا يُجَادُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا<sup>(٢)</sup> ؛ أى : تالله لئن لم ينقذ .. وقوله عز وجل : « كَوَاتِنَ أَمْ يَفْتَلُ مَا أَمْرُهُ لَبُؤَعَجَنُّ وَآيَسُكُونَ نَا مِنْ الْعَصَاوِينَ »<sup>(٣)</sup> أى : والله لئن لم يفعل ، لحذف القسم فى الموضعين .

٨ - حذف جواب القسم : كقوله تعالى : « وَالنَّجْرِيَّ وَالْيَالَ عَشِيرَ وَالشَّعِيمِ وَالْوَزِيرِ وَاللَّيْلِ إِذَا يَشْرُ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ »<sup>(٤)</sup> ؛ فقد حذف جواب القسم لوضوحه وبيانه ، وتقديره : لاهتن .

٩ - حذف الشرط : كقوله تعالى : « قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ »<sup>(٥)</sup> ، وقوله عز وجل : « فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا »<sup>(٦)</sup> والتقدير : فإن تتبعونى يحببكم الله . فإن تتبعوا هدى الله صراطاً سويًا .

١٠ - حذف جواب الشرط : كقوله تعالى : « وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ أَعْلَمْ كُمْ تُرْجَعُونَ »<sup>(٧)</sup> ، أى : أعرضوا ،

(٢) سورة الاحزاب آية ٦٥ .

(٤) سورة الحجر آية ٥١-٥٠ .

(٦) سورة مريم آية ٤٣ .

(١) سورة السجدة آية ٧١ .

(٣) سورة يوسف آية ٢٢ .

(٥) سورة آل عمران آية ٣١ .

(٧) سورة يس آية ٤٥ .

بدايل قوله بـ : « وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ » وهذا الحذف يشير إلى أنه كان ينبغي لهم أن يستجيبوا ويقبلوا الصبح فيحتموا التقوى ، وما كان ينبغي لهم الإعراض والتولى ؛ وكان عليه من اللفظ ينبغي بضرورة الفخلى عنه وإسقاطه من الأذعان والسارعة إلى قبول الهداية والحق . . . ومنه قوله تعالى : « وَسَيَقُولُ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَىٰ الْبَلَدِ زُجْرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا : سَلَامٌ عَلَيْكُمْ صَدَقْتُمْ فَأَدْخَلُوهُمْهَا خَالِدِينَ »<sup>(١)</sup>؛ والتقدير : حتى إذا جاءوها وقد فتحت أبوابها سعدوا وحصلوا على النعم المقم الذي لا يحيط به الوصف . . . وبلاغة حذف الجواب هنا تكمن في أن النفس تذهب في تقدير الجواب المحذوف كل مذهب ، وفي الدلالة على أنه شيء لا يحيط به الوصف ولا تنسج له العبارة . . . وتأمل ما وراء هذه الراية ، وفتحت ، من تكريم وتشريف طوؤلاء الذين اتقوا ، فقد فتحت لهم أبواب الجنة قبل أن يأتوها تكريماً لهم وتعظيماً لشأنهم ، ثم انظر إلى وصف الذين كفروا : « وَسَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُجْرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا »<sup>(٢)</sup> نجد أن ، فتحت ، قد جاءت بدون واو فهي جواب ، إذا ، ، ويجبها بدون الواو يشير إلى شدة مراجعتهم بالعذاب ، فأبواب جهنم ، مخلقة لا تفتح إلا عند وصولهم إليها ، إذا جاءوها فتحت أبوابها ، حتى توأجهم بصنوف العذاب والأوان الآلام . . . أما أبواب الجنة فتفتح قبل مجيء الذين اتقوا ونجحوا قبل وصولهم وتعد ، تذكر بما لهم ، تعظيماً « نَجَاتٍ عَدَنَ مُفْتَحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ »<sup>(٣)</sup> . . . ومنه قوله تعالى : « زُكُوفُ تَرَىٰ إِذِ الْمَجْرُمُونَ فَكُلُوا مِنْهُمْ عِقَابٌ رَبِّهِمْ »<sup>(٤)</sup> . . . وقوله جل وعلا :

(١) - سورة الزمر آية ٧٣ . : (٢) سورة الزمر آية ٧٤ . : (٣)

(٤) سورة السجدة آية ٩٣ . : (٣) سورة ص آية ٥٠ .

« وَتَوَّاتَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ »<sup>(١)</sup> . والتقدير : رأيت أمراً عظيماً وشيئاً عظيماً لا يحيط به الوصف ، فقد حذف الجواب هنا تصدقاً إلى إزادة التهرب والتفطع . . ومنه قوله تعالى : « وَتَوَّاتَرُوا أَنْ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمٌ بِهِ الْمَوْتَىٰ سَبَّحَ اللَّهُ الْأَمْزُ جَمِيعاً »<sup>(٢)</sup> ، والتقدير : لو أن قرآننا أوتي تلك القوة الخارقة لكان هذا القرآن ، لحذف جوابه لو ، هنا يشير إلى وضوحه وظهوره وانصراف الأذمان إليه بمجرد التلفظ بجملة الشرط . .

١١ - حذف جواب الاستفهام : كافي قوله تعالى : « وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً فَنَّارٌ بِمَنْظُورٍ إِلَىٰ بَعْضِ آلِ يَرَأَكُمْ مِنْ أَخَدٍ ؟ ثُمَّ انصَرَفُوا وَاصْرَفَ اللَّهُ قَوْلَهُمْ »<sup>(٣)</sup> ، فعذف جواب الاستفهام وتقديره : « لا يرانا من أحد » بدليل قوله : « ثم انصرفوا » ، لأنهم لم ينصرفوا إلا بعد تأكدهم من أنه لا أحد يراهم ، والحذف هنا يشير إلى حذرهم ومبلغ حيطتهم وكان الجواب كان همساً في الأذان وليس أصواتاً مسموعة .

١٢ - حذف للمطوف : كافي الآية الكريمة : « لَا يَسْتَوِي مَن يَسْتَوِي مَن أَنْتَقَىٰ مِنَ قَبْلِ النَّتْعِ وَقَاتَلَ أَوْلِيكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْتَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا »<sup>(٤)</sup> ، أي : لا يستوي من أنتق من قبل النتع وقاتل ومن أنتق من بعده وقاتل ، فعذف المطوف دلالة ما بعده عليه .

حذف الجملة : والمراد بالجملة ، الجملة النسبانية التي تفيد معنى مستقلاً ولا تكون جزءاً من كلام آخر ، ولهذا لا يدخل فيها حذف المنطوق

(٢) - سورة الزمذ آية ٣١ .

(٤) - سورة الحديد آية ١٠ .

(١) - سورة الانعام آية ٢٧ .

(٣) - سورة التوبة آية ١٢٧ .

وحذف الأجوبة : جواب القسم وجواب الشرط وجواب الاستفهام ؛ لأنها وإن كانت جملة فهي لا تستقل بالإفادة ، بل هي . . . من كلام آخر ومن أجل هذا عدناها من قبيل حذف الكلمة . . . ومن حاشي الجلالة قوله تعالى : « وَإِذْ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ نُحُورًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اسْكُنُوا فِي الْمَدْيَنَ وَلَا يُخَبِّرْكُمْ بِهَذِهِ الْحَيَّةِ لِيَتَّخِذَ الْفٰسِقُونَ » (١) ، والتقدير : فغرب فانا نجرت ، فحذفت جملة : ضرب ، وحذفنا يشير إلى سرعة إجابة موسى . عليه السلام . . . وامتثاله لأمر ربه . . . ومنه قوله تعالى : « لِيُحِقَّ الْحَقُّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ » (٢) ، والمعنى : فعل بما فعل من كسر قوة أهل الشرك ، ليحقيق الحق ويبطل الباطل . . . وقوله جل وعلا : « وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ » (٣) ، فحذفت جملة الحال والتقدير : وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل وهما يقولان : ربنا تقل منا . . . وهذا الحذف يصور لنا المشهد حيا بارزا ، مشاهدا وكأنك تراه الآن ، وتشاهد إبراهيم وإسماعيل وهما يدعوان بهذا الدعاء ، فدكم في الانتقال هنا من الخبر إلى الدعاء من إعجاز فني بارز يمكن وراء طي جملة الحال (٤) . .

ومنه قول أبي الطيب :

أبي الزمان بنوه في شيبته فسرهم وأتيناها على الهرم  
أى : وأتيناها على الهرم فساءنا ، والحذف في البيت بظني بما في نفس  
الشاعر من ضيق وألم لإدبار الدهر عنه وعدم تحقيق ما يصبو إليه من  
مجد وآمال . .

(١) سورة البقرة آية ٦٠ (٥) - سورة الأنفال آية ٨ .

(٢) سورة البقرة آية ١٢٧ .

(٤) انظر التصوير الفني في القرآن ص ٥٩ .



هذف أكثر من جملة : كما في قوله تعالى : وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمْ مَا آذَى كَرِ  
بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ . يوسفُ أيها الصديقُ أُنَبِّئُكَ  
في سِتِّعِ بَيِّنَاتٍ <sup>(١)</sup> . والتقدير : فأرسلون إلى يوسف لاسعيره الرؤيا فأرسلوه  
إليه فأتاه وقال له : يوسف أسأ الصديق أُنَبِّئُكَ . . . ومثله قوله تعالى : وَقُلْنَا  
اذهبنا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا فذمهم ذمهم تَدْوِيرًا <sup>(٢)</sup> ، والتقدير :  
ذاتهم فأبلغهم الرسالة . وكذبوهما فذمناهم . . . ويكثر هذا الحذف في النظم  
القرآني ولا سيما في ميدان القصص حيث يستغنى عن التفصيلات الجزئية التي  
تعرف من السياق وتهم من قرائن الأحوال ، ففي تخطيطها وصول إلى العناصر  
الجوهرية في القصة وإبرازها جمالية واضحة ، وفي تخطيطها أيضا حيث للدخاطب  
وتحريك لمشاعره وإثارة لذهنه ، إذ يفهم تلك المشاهد المطوية ويقف عليها  
من خلال تأمله وتدبره أحداث القصة ووقوفه عليها سباقها وقرائن أحوالها . .

قِرَائِنُ الْحَذْفِ : ولا بد في الحذف من قرينة تدل على المحذوف ، وترشد  
إليه وتعيّنه ، وإلا كان الحذف عبثا وضربا من الهديان إذ يؤدي عندئذ إلى  
اللبس والإشكال وعدم فهم المراد . . . وقرائن الحذف قد تكون لغوية ،  
كما في قوله تعالى : وَاللَّائِي يَلْمِزْنَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ <sup>(٣)</sup> ، إِنْ  
أَرْتَبِعْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةً أَشْهُرٍ <sup>(٤)</sup> ، وَاللَّائِي لَمْ يَحْضُنَّ وَأُولَاتُ الْأَسْتَحْضَاءِ  
أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ <sup>(٥)</sup> ، فقد حذف خبر اللاتي لم يحضن ، ؛ لدلالة خبر  
و اللاتي يسنن ، عليه وتعيينه له ، والتقدير : واللاتي لم يحضن فعدهن ثلاثة  
أشهر كذلك . . . ومن ذلك قوله جل وعلا : وَإِنْ كُذِّبُوا فَقَدْ كَدَّبْتُمْ

(٢) - سورة الفرقان آية ٣٦ .

(١) - سورة يوسف آية ٤٥ ، ٤٦ .

(٣) - سورة الطلاق آية ٤ .

رُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ» (١) ، فقد حذف جواب الشرط  
وتقديره : وإن يكذبوك فاصبر . ودلت عليه القرينة اللفظية وهي : « لقد  
لذبت رسل من قبلك ، فهذه الجملة ليست هي جواب الشرط وإنما هي صلة  
لجواب الشرط المحذوف ، وفيها تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم كقول  
لا يحزن لإعراضهم واتكذيبهم . .

ومما قواه تعالى : « لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ  
وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَكْبَرُ مِنْ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَاتَلُوا » (٢)  
قد يدل المذكور : « من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا ، على المحذوف  
والتقدير : لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقابل . ومن أنفق من  
بعده وقاتل . . . هذا ولا يشترط في المحذوف أن يكون من جنس  
المذكور ، بل الذي ينبغي مراعاته أن يدل المذكور على المحذوف دلالة  
واضحة بيّنة ، ولذا لا أرى عيباً في بيت عروة بن الورد :

عجبت هم إذ يمتلون نفوسهم ومقتلهم عند الوشى كان أعزرا  
إذ حذف الجار والمجرور من القتل الأول لدلالة « عند الوشى » عليه ،  
دلالة بنية ظاهرة ، والتقدير : إذ يمتلون نفوسهم في السلم . . ولا في قول  
الحارث بن حلزة :

والعيش خير في ظلال النوك من عيش كذا  
أراد : والعيش الناعم في ظلال الحق خير من العيش الشاق في ظلال  
العقل ، حذف « الناعم » لدلالة « كذا » عليه ، وحذف العقل لدلالة « النوك »  
عليه . . ولا في قول الآخر :

أعاذل عاجل ما اشتبهى أحب من الأكثر الريث  
أراد : عاجل ما اشتبهى مع القلة أحب من الأكثر المبطيء ، لهذا ، لفظ

(٢) - سورة الحديد آية ١٠ .

(١) - سورة طه آية ٤ .

والقلة ، ، لدلالة قوله : « الاكثر ، عليه ، .. » وبرى كثير من البلاغيين أن المحذوف يابى أن يكون من جنس المذكور وإذا عدوا الحذف ، في الآيات المذكورة ، محلا بالمعنى ومفسداله ، لأن المذكور ليس من جنس المحذوف ، فهو غير واف في الدلالة عليه ، ولا أرى - كما بينت - إخلالا في الآيات ، بل أرى أن القرينة اللفظية فيها قد دلت على المحذوف دلالة واضحة وافية . وهذا هو ما ينبغي أن نعتد به وبمورد عليه ، ولا يشترط في القرينة اللفظية أن تكون من جنس ما حذفه ، ..

انظر إلى قول المتن السابق :

أنى الزمان بشره في شبيبته فسرهم وأبنائه على الهرم

تجد أن قوله : ، فسرهم ، قد دل على المحذوف وتقديره : فدأنا ، دلالة واضحة بيغة وهو ليس من جنسه كما ترى .. وخسب قوله تعالى : « وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْبَةً أَمْرًا نَا مُتْرِكًا فَتَمَّوْا بِهَا » (١) إذ المعنى : والله أعلم .. أمرناهم بالطاعة ففعلوا ، فقد حذفوا الطاعة ، لدلالة قوله : « ففعلوا ، عليها ، هو ليس من جنسها .. »

وبهذا يتضح لك أن القرينة اللفظية لا يشترط فيها أن تكون من جنس المحذوف ، بل يشترط أن تكون واضحة الدلالة عليه سواء أكانت من جنسه أم من غير جنسه (٢) ..

وقد تكون القرينة معنوية ، تفهم من السياق وقرائن الأحوال دون أن يصرح في العبارة بما يدل على المحذوف .. كما في قوله جل وهلا :

(١) سورة الإسراء آية ١٦ .

(٢) ارجع إلى الحذف في ضوء أساليب القرآن .

وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (١١) ، قاله في - واقع أعلم - وجاء أمر ربك ، لأن المثل لا يجوز عن - الرب ، بل الذي يأتي هو أمره أو عذابه أو بأسه وهو ذلك ، ومثله قوله تعالى : « حَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلُلٍ مِنْ الْغَمَامِ (١٢) ، أَمْ : حل ينظرون إلا أن يأتيهم عذاب الله أو أمره . ومن ذلك قوله تعالى : « حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ السَّيِّئَاتُ الَّتِي كَانَتْ لِأَبَائِكُمْ وَآلِهَتِكُمْ الْفَاحِشَاتِ (١٣) ،

أى : حرم عليكم تناول هذه الأشياء ؛ لأن التحريم يتعلق بالأفعال لا بالذرات وكذا القول في الآيات الكريمة : « حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ (١٤) ، أى : كاحبون ، « قَالَتْ فَذَا بَأْسٌ الَّذِي كُنْتُمْ تُبَدِّلُونَ (١٥) ، أى : في حبه أو مرادته ، وسياق الآيات الكريمة ينطق بالمحذوف . « وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْبِلَادِ امْرَأَةٌ تَلْزَمُكُمْ بَدُوعًا فَتَأْتِيكُمْ فَتَمْسُكُمْ وَقَوْلُكُمْ مَنَاسِكُمْ (١٦) ، ولا يعد هذا من قبيل القرينة للفظية . لأنه ليس مذكورا في نفس الآية ، والمخاطب يحتاج إلى مراجعة جاء بلة للسياق وتدبره حتى يقف على المحذوف . ومن ذلك قوله تعالى : « وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْمَيْمَةَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا (١٧) ، أى : سل أهل القرية التي كنا فيها وأصحاب الميم . . . لأن السؤال لا يوجه إلا إلى ذوى العقول والتمييز . . وقوله من قائلنا : « قَالُوا : أَوْ تَنَالِمُ قَتَالًا لَا تَبْعَتَاكُمْ (١٨) ، أى : لو سلم أن المسكين مكان قتال ، لأهم كانوا أخير الناس بالحرب وفنون القتال فكيف يقولون : إنهم لا يعرفونها ؟ لا بد إذا من حذف قدره المفسرون بقولهم : « كان قتال . . ومنها قولك لمن أعرس : بالرفاء والبنين ، ففندت الحال على المحذوف

- |                        |                           |
|------------------------|---------------------------|
| (١) سورة الفجر آية ٢٢  | (٢) سورة البقرة آية ٢١٠   |
| (٣) سورة المائدة آية ٣ | (٤) سورة النساء آية ٣٣    |
| (٥) سورة يوسف آية ٣٢   | (٦) سورة يوسف آية ٣٠      |
| (٧) سورة يوسف آية ٨٢   | (٨) سورة آل عمران آية ١٦٢ |

وتقديره : بالرفاء واليمين أعربت .. إلى غير ذلك من القرآن التي تدل على  
المحذوف وترشد إليه ...

• • •

الإطناب .. معناه وأنواعه : والإطناب في اللغة : صدر أجنب ، يقال :  
أطنب في كلامه ، إذا بالغ فيه وطول ذبوله . وفي عرف البلاغيين معناه :  
زيادة اللفظ على المعنى لفائدة ، أو عرض المعنى في عبارة زائدة بحيث تحقق  
الزيادة فائدة ، كما في قوله عز وجل : « رَبُّنِي وَحَنُّ الْعَظْمِ مِثِّي وَاشْتَمَلُ  
الرَّأْسُ شَيْبًا » (١) ، فقد أراد ذكرها - عليه السلام - أن يخبر بكبره وقدم  
سنه ، لجمل الألفاظ زائدة على المعاني لفائدة وهي : إظهار ضعفه ، وتأكيد  
الوهن ، لأنك لو قلت : رب إني تكبرت ، أفاد ذلك الإخبار بتقدم العمر  
فقط ، دون ظهور الضعف ، إذ نفس التكبر مع تقدم سنك قويا نشيطا ،  
أما الآيات فقد أخبرت عن هذا المعنى ، تقدم السن ، بوهن العظام ، واشتعال  
الشيب ، لينظروا لنا بجانب تقدم سنه ، ظلا زيادة في الألفاظ - كما ترى -  
إنما هي لفائدة .. ومنه قوله عز وجل : « وَمَا تَلَكَ بِبَيْبِيكَ يَا مُوسَى  
قَالَ : مِمَّ عَصَايَ أَتَوَكَّلُ عَلَيْهِمْ وَأَغْشَىٰ بِهَا قَلْبِي غَنَمِي وَلِي فِيهَا آرِبٌ  
أُخْرَىٰ » (٢) ، فقد كان يكفي في الجواب أن يقول موسى - عليه السلام - :  
عصا ، ولكنه أطنب وفصل فأضاف العصا إليه وذكر وظائفها بعضها مفصلا :  
« أتوكأ عليها وأغش بها على غنمي » ، وبعضها مجملا : « ولي فيها آرب أخرى »  
ولعله كان يطمع في أن يسأل عن هذه المآرب فيجيب عنها وهذا يمتد الحديث  
ويطول ؛ لأنه في مقام رب العزة ، وهو مقام يحلو فيه الإطناب ، لأنه مقام  
تعظيم وتشريف ، فالزيادة في الجواب - كما ترى - تحقق فائدة ..

(١) سورة مريم آية ٤ :

(٢) سورة طه آية ١٧ ، ١٨ :

فإذا لم تحقق الزيادة قائمة في الكلام كانت تطويلاً أو حشواً ، وذلك  
أنها إذا كانت غير متعينة ، كالترادفين مثل : الكذب والمين ، والنأى  
والبعد ، وأقوى وأقفر ، ونوم ونعاس ، وحظ ونصيب . . سميت الزيادة  
تطويلاً . . من ذلك قول عيسى بن الرقاع :

وقد دنت الأديم لرامشيه وألقى قولها كذباً وميناً (١)

فالكذب والمين بمعنى واحد ولا يتغير المعنى بإسقاط أحدهما . .  
وقول عنتره :

حيبت من ظلل تقادم عهده أقوى وأقفر بعد أم الهيثم

فأقوى وأقفر بمعنى واحد ، ولا يتغير المعنى بإسقاط أيهما شئت . . .  
وكقول الخبطية :

نالت أمانة لا تجرع قعات لها إن المزاء وإن الصبر قد غلبا  
هلا التست لنا إن كنت صادقة مالا نعيش به في الناس أو نشباً (٢)

فالمزاء والصبر بمعنى واحد وكذا المال والنشب . . وكقول الآخر :

ألا حبذا هند وأرض بها هند وهند أتى بن دوئها النأى والبعد

فالنأى والبعد بمعنى واحد ، وإذا أسقطت إحدى الكلمتين لا يتغير  
المعنى ، أي أنه لم يتعين أي الكلمتين هو الزائد . . .  
هذا والحكم بزيادة كلمة من الكلمات وخلوها عن الفائدة مرتبط بالمقام والحال  
التي قيلت في جوهر الكلمة ، وعندما تتأمل الآيات المذكورة لا تستطيع أن

(١) قد دنت : قطعت ، والناعل المستر يعود إلى الزباء ملكة تدمر ولا أديم :  
الجلد والزاهشان : مرقان في باطن الذراع والضمير المضاف إليه يعود بلذيمة بن الإبرش  
ملك الحيرة وأصنهما مشهورة . .

(٢) للنشب بفتح النون والشين : المال الأصيل ويطلق أيضاً على القمار ، يقال : نشب  
ونشبة ومنشبة .

تحمك بزيادة إحدى الكلمتين كما قال البلاغيون؛ لأن المقام في الآيات يقتضى التأكيد، ومن شأن الترادف أن يفيد التأكيد، ثم إن الكلمات المترادفة لا تفيد معنى واحداً، بل ذكر كثير من العلماء أن كل لفظ من الألفاظ المترادفة له ظلال جانبية وإفادات جزئية تختلف عن الآخر . . . ولذا لا نستطيع القول بأن أحد اللفظين المترادفين في الآيات المذكورة زائد، بل إنه يؤكد الآخر والمقام - كما ذكرت - قد اقتضيه هذا التأكيد . . .

وإذا كانت الزيادة متعمدة سميت حشواً، والحشو نوعان :

١ - حشو يفسد به المعنى كقول المتنبي :

ولا فضل فيها للشجاعة والندى وصبر الندى لولا لقاء شعوب (١)

فكلمة : والندى، في البيت حشو أفسد المعنى، إذ المراد لا فضل في الحياة للشجاعة والصبر والندى لولا الموت واعتقاد الشجاع والصابر والجواد أهم ملاقو الموت، وهذا صحيح بالنسبة للشجاعة والصبر؛ فاسد بالنسبة للندى، إذ الشجاع لو علم أنه غلده لن يصيبه الموت، إسكان إقدامه. وشجاعته لأفضل فيهما، لأنه أقبل على البطولة وهو على يقين بأن الموت لن يصيبه، وكذا الصابر عندما يعلم أنه لن يموت، يكون خيره لأفضل فيه، وإنما تظهر مزية الشجاعة والصبر عندما يعلم صاحبهما أن الموت أمامه ثم يقبل أو يصبر فمتأكد يكون للإقدام مزية وللصبر فضل . . .

أما الندى فتظهر مزيته ويبدو فضله إذا علم صاحبه أنه غلده وإن يموت، لأن عليه بأن الموت لن يلقاه، يدعوه إلى الإمساك وادخار المال كي ينتفع به إذ هو غلده، وإذا جاد به عندئذ ظهر لجوده فضل وبدت له مزيته، أما إذا علم أن الموت أمامه وسيلقاؤه لا محالة، فهذا يدعوه إلى البذل والعطاء،

(١) شعوباً يفتح الشين، عام جالس للنية وهي الموت وقد جر بالكسرة من أجل الروي لأنه مما لا ينصرف بجره بالفتح.

ولا فضل للندي عندئذ ، إذ يقول لو عرتب في بذل المال وإنفاقه : كيف  
لا أبذل ما لا أبقى له ولا أبقى بأثني سأتمتع به ؟ ولذا يقول طرفة بن العبد :  
إلا أينذا اللاتمي أحضر الوفي وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي  
فإن كنت لا تستطيع دفع منفي فدعني أبادرها بما ملكت يدي  
ويقول مهبوب الديلمي :

فكل إن أكلت وأطعم أخاك فلا الزاد بقي ولا الآكل

فالشجاعة والصبر لو لا الموت لم يمهدا ، والندي بالضد ، ولذا كانت كلمة  
الندي في البيت حشواً مفسداً للمعنى ، وقد اعتذر للشاعر بأنه يريد بذل النفس  
لأبذل المال ، على حد قول مسلم بن الوليد :

يجود بالنفس إن ضن الجواد بها

والجود بالنفس أقصى غاية الجود

ورد هذا الاعتذار بأن لفظ ، الندي ، لا يكاد يستعمل في بذل النهر  
وإن استعمل فعل وجه ، الإضافه ، أما مطلقاً فلا يفيد إلا بذل المال .

٢ - حشو لا يفسد به المعنى ، كما في قول زهير :

وأعلم علم اليوم والأمس قبله واستغنى عن علم ما في بغداد عني

فكلمة ، قبله ، مستغنى عنها فهي حشو ، ولكن ذكرها لا يفسد المعنى  
ومثله قول الآخر في رثاء أخ له :

ذرت أخى فعاودنى صدام الرأس والوصب

فلفظ الرأس في البيت حشو لا فائدة فيه ، لأن الصدام لا يكون إلا في  
الرأس ، وليس . يفسد المعنى ، ويؤخذ على الشاعر أيضاً ، أن مقام الرثاء  
لا يناسبه ذكر الصدام وألم الرأس ، بل الملاثم له ، ألم القلب واحتراقه ..  
ومنه قول أبي عدي العجلي الأموي :



نحن الرؤوس وما الرؤوس إذا سمعت  
في المجد الأقوام كالآذان

فقوله : « للأقوام ، حشو لا فائدة فيه وهو شير مفسد للمعنى .  
وقول البوصيري :

أمن تذكر جيران بلدى سلم مرجت دمهأ جرى من مقله بدم<sup>(١)</sup>

فقوله : « من مقله ، حشو لا فائدة فيه ، لأن الدمع لا يجري إلا من  
العين ، وهو حشو غير مفيد للمعنى .. وقول المتنبي ،

وخفوق قلب لو رأيت لهيبه يا جنتى لرأيت فيه جهنم

فقوله : « يا جنتى ، حشو غير مفيد للمعنى ، وقد استحسنته البعض لإفادته  
معنى لطيفا حيث طابق الشاعر بينه وبين « جهنم » ..

هذا - وكما ذكرت لك - ينبغي أنت تعلم أن الحكيم بزيادة كلمة وعدم  
فائدتها ، تابع للمقام والحال التي قيلت في جوها الكلمة ، ولانستطيع أن  
تقطع بعدم الفائدة إلا إذا أحطت بالسباق وعرفت قرائن أحواله ، وعندما  
تأمل الأبيات المذكورة والتي استشهد بها البلاغيون للحشو غير المفيد  
يتضح لك أن تلك الكلمات التي حكوا زيادتها وحشوها ، قد أفادت معنى  
اقتضاه المقام .. تأمل : « دمهأ جرى من مقله .. » وأعلم علم اليوم والامس  
قبله .. « طردنى صداع الرأس .. » وما الرؤوس إذا سمعت في المجد  
للأقوام .. « تجد أن تلك الكلمات : « مقله ، قبله ، الرأس ، الأقوام ، قد  
أفادت تأكيداً كيداً اقتضاه المقام ، وهذا التأكيد لا يفاد بطيها ، ولذا لانواق  
البلاغيين في قولهم بأنهم حشو ولا فائدة فيها .. ونحن نقول : دقنة بقى  
ورأيت بهبنى وسمعت بهأذى ووطأته بقدمى ، ولا يقول أحد إن تلك الكلمات :

(١) ذو سلم : مكان على طريق البصرة إلى مكة ..

بمعى ، يعنى بأذى ، بهدى ، « زائدة ، لأنها أفادت ناكدا اقتضاه المقام ،  
 وانقرأ قوله هز وجل : « إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ  
 مَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّئًا وَهُوَ رِندَةُ اللَّهِ عَظِيمٌ » (١) ، وقوله  
 تعالى : « مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ  
 الْغَالِيَةِ تَفَاهِيرُونَ مِنْكُمْ أَنْتُمْ أَنْتُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكَ  
 قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ » (٢) ، وقوله  
 جل وعلا : « قَدْ تَبَغَّرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ  
 فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ كَآسَافًا مِنْ قَوْعِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْمَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ » (٣) .

تجد أن التاق لا يكون إلا بالالسة ، والقول لا يكون إلا من الفم ،  
 والقلب لا يكون إلا بالخوف ، والسقف لا يكون إلا من فوق ، ولا يقول  
 قائل : إن هذه الالفاظ زائدة وليس وراءها فائدة ، لأن المقام قد اقتضاه  
 والمعنى قد تطلبها ، فالآية الأولى مسوقة الرد على أهل الإفك وإنكار ما قالوه  
 وخاضوا فيه ، فقد رموا بقاحشة الرنا إلى من هي ظاهرة العفاف والستر وهذا  
 افتراء عظيم وإثم كبير ، فالمقام إذا يقتضى أن يسجل عليهم ما خاضوا فيه ،  
 وأنه قد خرج من أفواههم وانبعثت به ألسنتهم ، ليكون في ذلك مبالغة في  
 الإنكار والرد .. وقل مثل هذا في الآية الثانية فهي مسوقة لإنكار الظهار  
 وإنكار التسوية بين الأبناء والأدعياء وإفادة أن من يفعل هذا فيسوى  
 بين الزوجة والام في التحريم وبين ابنة ومولاه في الحقوق يكون كن يجمع  
 قلبين في جوف واحد ، وقد اقتضى هذا أن يؤكد الكلام بذكر الجوف ..  
 وتأمل إشار التعبير بلفظ « لرجل » ، وما يكن وراءه من شدة المبالغة في  
 الإنكار ، وذلك أن المرأة قد يتصور وجود قلبين في جوفها ، أما للرجل  
 فلا يمكن أن يتصور وجود قلبين في جوفه بحال من الأحوال ..

(٢) سورة الأحزاب آية ٤ :

(١) سورة النور آية ١٥ .

(٣) سورة النحل آية ٢٦ .

والآية الثالثة مسوقة للتخريف والترهيب وهذا يقتضى تأكيد ما حل بمن  
مكروا قبلهم ، فقد أتى الله بآياتهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم  
وأتمام العذاب من حيث لا يشعرون ، فسكّمة دمن فوقهم ، أفادت من  
التوبيخ والتخريف ما لا يفيد طيباً . . .

وبهذا يتضح لك أن الأمر يحتاج إلى مراجعة دقيقة للسياق والوقوف  
على قرآن أو آية . فالنظرة السريعة العاجلة تجعلك تظن أن السكّمة رائدة  
ولامعنى لها في النظم فرب حشو، وإن كان عند التأمل ومراجعة السياق مراجعة  
دقيقة واعية يظهر لك أن المقام قد اقتضاها وأن هنالك معنى . وفقاً يمكن  
وراءها ولو طويت لما أورد ذلك المعنى .

• • •

أفواع الإطناب وما يمكن وراءها من دقائق بلاغية :

ويقع الإطناب في الكلام على أنواع مختلفة أهمها مايلي :

١ - الإيضاح بعد الإجمال : وهو أن يجعل المعنى وبهم ثم يفصل ويبين  
فيبدو في صورتين مختلفتين ، وعندئذ يقع في النفس أطيب موقوع ويمكن  
لديها أفضل تمسك ، لأن المعنى إذا أتى على سبيل الإجمال والإجمال تطلمت  
النفس وتشوقت إلى معرفته على سبيل التفصيل واليضاح ، فعندما يأتي هذا  
التفصيل وذاك الإيضاح ، يكون أشد وقماً وأقوى أثراً ؛ لأنه جاء والنفس  
عنده تبحث وإليه تتطلع وهم يقولون : إن الشيء إذا نيل بعد طلب ومشقة  
وبحث وتنقيب ، يكون أوقع في النفس وأشد تأثيراً ، ويحدث لها بالوقوف  
عليه قوة ومثمة . . . من ذلك قوله تعالى : « وَتَضَيَّنَّا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنْ دَائِرَ  
هُوَ لَأَدْ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ » (١) فقد أجهت الآية ما تهى به إلى لوط - عليه

(١) سورة الحجر آية ٦٦ .

السلام .. وذلك الأمر ، ، ثم فصلته ، وبينته : ، أن دابر هؤلاء مقطوع ،  
مصباحين ، ، ففي الإبهام إثارة للمخاطب وتحريك لذكرك ، فيتطلع إلى إيضاح  
ما أبهم ، وعندئذ يأتي الإيضاح فيثبتر المعنى في ذهن المخاطب ويقع وقعه ،  
وفي هذا تفخيم وتحويل للعذاب الذي حل بهم ، لأنه ذكر مرتين ، من أجل طريق  
الإجمال والإبهام وسرة على طريق التفصيل والإيضاح ، ، الذي إذا ذكر مرتين  
كان آكد في الذهن وأشد تعلقاً والتصانغاً بالنفس . ومنه قوله تعالى : « فَوَسْوَسَ  
إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ : يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةٍ غُلْبَةٍ وَعَلَيْكَ لَآبِئْتِي » (١) ،  
ذكرت الوسوسة مجرمة نصلت بما بعدها وعندما أجلت اشتاقت النفس وتطلعت  
إلى معرفتها والوقوف عليها . فلما جاء البيان وقع في النفس موقفاً حسناً وكذا  
القول في قوله تعالى : « أَمَّا كُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ فَمَا تَعْلَمُونَ أَنَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَأَنْبِيَاءٍ  
وَعُيُونٍ » (٢) ، ذكر ما أمدم به مجرماً فتطلعت النفس إلى معرفته ، ثم فصل  
وبين فوقع في الأتس موقفاً . . . وقوله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ  
أَدُلُّكُمْ عَلَى مِجَارٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ . تَوَعَّدُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ  
وَمَا يَحْكُمُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْرٍ إِلَيْكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ » (٣) ، أجلت العبارة  
التي تنجي من العذاب ، ثم فصلت وبينت . . . ومن الإيضاح بعد الإبهام باب  
نعم وبئس نحو : نعم الرجل زيد وبئس الصديق عمرو ، وذلك على جعل كل  
من ، زيد وعمرو ، ، خيراً لبتداً محذوف ، أو مبتداً محذوف الخبر ، فوكون  
الأسلوب مكوفاً من جملتين إحداهما مبينة وفسرة الأخرى ، أما على جعل  
كل من ، زيد وعمرو ، مبتداً والجملة قبله خبر ، فليس مما نحن فيسسه ؛ لأن  
الأسلوب عندئذ يتكون من جملة واحدة . . . ومنه الترشيع وهو أن يؤتى

(١) سورة طه آية ١٢٠ . (٢) سورة الشعراء آية ١٣٢ - ١٣٤ .

(٣) سورة الصف آية ١١١ .

في صبح الكلام غالباً بمثنى مفسر بأصبعين أحدهما مطوف على الآخر ، كقوله  
صلى الله عليه وسلم : « يشب ابن آدم وتشب معه خصلتان الحرم وطول  
الأمل . » وقوله عليه الصلاة والسلام : « الحمر من هاتين الشجرتين : النخلة  
والعنب . » وقول صدق الله بن الممتز :

سقتني في ليل شبيه بشعرها شديدة خديها نغير رقيب  
فازلت في ليلين : شعر وظلمة وشمين : من خمر ووجه حبيب

وقد يكون المثنى في أول الكلام ، كقوله صلى الله عليه وسلم : « وهو رمان  
لا يشبهان : طالب علم وطالب مال ، وقد لا يكون مثنى بل جمعا ، كما في قول  
ابن رقيب :

ثلاثة تشرق الدنيا بهمجتها

شمس الضحى وأبو إسحاق والقمر

٣ - ذكر انطاس بعد العام أو العام بعد انطاس : فمن الأول قوله تعالى :  
« تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ . . . »<sup>(١)</sup>  
فالروح وهو جبريل عليه السلام ، قد ذكر مرتين ، مرة مندرجاً تحت العام  
وهو الملائكة ومرزوحده ، وكأنه جنس آخر غير جنس الملائكة المطوف  
عليهم ، وهذا تكريم له وتعظيم لشأنه ، وفي الآية إطناب طريقه ذكر الخاص  
بعد العام والغرض منه التنويه بشأن الخاص حيث ينحصر مرتين . .  
ومنه قوله عز وجل : « حَادِثُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَى »<sup>(٢)</sup> ،  
فالصلاة الوسطى داخلة في عموم الصلوات ، وقد خصت بالذكر بعد العام تذكيراً  
إلى منزلتها وزيادة قضاها . . وقوله جل وعلا : « وَتَتَكَلَّمُ مِنْكُمْ أُمَّةٌ  
يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْعُرْفِ وَيُنهَوْنَ عَنِ الْفُسْكَرِ . . »<sup>(٣)</sup> ،

(٢) - سورة البقرة آية ٢٣٨ .

(١) - سورة النحل آية ٤ .

(٣) - سورة آل عمران آية ١٠٤ .

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر داخلان في عموم الدعوة إلى الخير ،  
ولكنهما نخصا بالذكر بعد العام إشارة إلى مكاتهما من الشرف والفضل . .  
ومن الثاني قوله تعالى : « رَبِّهِ أَفْخِرُ بِي وَلَوْلَا الَّذِي دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا  
وَاللَّهُ مَتِينٌ وَالْمُؤْمِنَاتِ . . » (١) ، فالؤمنون والمؤمنات لفظان عامان يدخل  
فيهما من ذكر قبل : « لِي وَلَوْلَا الَّذِي دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا » ، والسر البلاغي  
الكامن وراء ذكر العام بعد الخاص هو العناية بشأن الخاص لذكره  
مرتين ، مرة بلفظه ، ومرة مندرجا تحت العام . .

٣ - التكرار : ويأتي لأغراض كثيرة ، منها إبراز المعنى وتقريره في  
النفوس ، كإتي قوله تعالى : « كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ » (٢)  
فقد أكد الإنذار بتكراره ليكون أبلغ تحذيرا ، وأشد تحذيفا ، وفي  
المعطف بالحرف « ثم » ، ما ينبئ بأن الإنذار الثاني أقوى وأشد من الإنذار  
الأول ، حيث نزل بعد المرتبة منزلة البعد الزمي فمعطف ثم ، وفي هذا دلالة  
على التدرج في الارتقاء . . ومن ذلك قوله جل وسلا : « فَإِنْ مَعَ الْعُسْرِ  
يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا » (٣) ، فقد أفاد التكرار تأكيد المعنى وتقريره في  
النفوس . . ومنها استعماله المخاطب وترغيبه في قبول النصيح والإرشاد ، كما في  
قوله تعالى : « وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِيكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ  
يَا قَوْمِ إِنَّمَا هُذِيَ السَّبِيلُ الَّذِي كُنْتُمْ تُتَّبِعُونَ وَإِنْ أَتَيْتُمْ إِلَّا شُرَكَاءَ  
فِي تَعْبَادِي فَاتَّبِعُوهُمْ لَئِنَّكُمْ لَهُمْ مَشَارِكٌ فِي مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ » (٤) ،  
ووراء حرف النداء « يا » الموضوع لنداء بعبدة تعظيم لهم وتشريف ورفع  
لمنزاتهم ، وفي إضافة القوم إليه « يا قوم » ، ما يبيد دل شك ويزيل كل  
ارتباب في نصحه وإخلاصه لهم . . ومنها التذكير بنعم الله التي لا تحصى

(٢) سورة النسكاآ آية ٣ ، ٤ .

(٤) سورة غافر آية ٢٨ ، ٣٩ .

(١) سورة نوح آية ٢٨ .

(٢) سورة النمرج آية ٥٦ ، ٥٧ .

ولاتمد ، كما في قوله تعالى : « قَبْأَيُّ آيَاتِهِ بُكْرًا تُسَكِّدُ بِهِ » (١) ، فقد ذكر  
جل وعلا نعمه نعمه بعد نعمه في هذه السورة الكريمة ، وعقب كل نعمه بهذا  
الاستفهام الذي يفيد التنبيه إلى نعمه الكريمة والتذكير بها ، فإن قيل فدعنا  
بهذا الاستفهام ما ليس بنعمة كما في قوله تعالى : « بُرْسَلُ عَلَيْنَا شُواظًا  
مِنْ نَارٍ وَنَحَاسٍ فَلَا تَنْتَصِرَانِ » (٢) ، وقوله جل وعلا : « هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي  
يُكَذَّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ . يُطَوَّفُونَ فِيهَا وَبَيْنَ جَهَنَّمَ أَنْ » (٣) ، قلت :  
العذاب وجهنم وإن لم يكونا من آلاء الله تعالى ، فإن ذكرهما ووصفهما على  
طريق الزجر عن المعاصي والترغيب في الطاعات ، يمد من الآلاء والنعم ،  
لأن التحذير من المعصية والزجر عنها نعمه منه تعالى ، إذ ينجم عن التحذير  
والزجر ابتعاد المؤمن عن المعاصي وعدم اقترابه منها (٤) . . .

ومن أغراض التكرار المبالغة في التحذير والتنبيه ، كما في قوله تعالى :  
« وَبَلِّغْهُمْ نَبَأَهُمُ الْيَوْمِ الَّذِي لَمْ يُكذِّبُوا فِيهِ » (٥) ؛ فقد كررت هذه الآية الكريمة في سورة  
المرسلات عقب جملة من القصص والتذكير بنعمه تعالى حيث أعقب كل قصة  
بهذا الوعيد ، ويل بومئذ الكاذبين ، وفي هذا ما فيه من التنبيه والتحذير . .  
ومنها الحث على التذكر والتدبر وأخذ العظة والبرهان كما في قوله تعالى :  
« وَاقْضِ لِلَّذِينَ لَدَىٰكَ مِنَ الْقُرْآنِ حَقَّهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ » (٦) حيث كررت هذه  
الآية في سورة القمر عقب كل قصة من قصص الأمم السابقة التي كذبت  
وأعرضت عن رسل ربها ، فقد أخبرت عنهم السورة الكريمة وأبرزت نوع  
العذاب الذي حاق بكل أمة ، وأنبئت كل قصة هذه الآية الكريمة : « وَلَقَدْ  
يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْرِكٍ » ، حثا على العظة والاعتبار والتأمل

---

(١) سورة الرحمن آية ١٢ . (٢) سورة الرحمن آية ٣٥ .  
(٣) سورة الرحمن آية ٤٣ ، ٤٤ . (٤) انظر الإيضاح ١٢٧/٢ .  
(٥) سورة المرسلات آية ١٥ . (٦) سورة القمر آية ١٧ .

والتدبر .. ومنها أن يكرر اللفظ اطول في الكلام كما في قوله تعالى :  
« ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنَّا مِن بَعْدِ مَا كُفِنُوا ثُمَّ جَاءُوا وَصَّيْرُوا  
إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا تَنفُورٌ رَّجِيمٌ » (١) ، وقوله جل وعلا : « ثُمَّ إِنَّ  
رَبَّكَ لِلَّذِينَ حَمَلُوا الشُّعْرَ بِمِمَّا أَنزَلْنَا مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَحْمِلُوا إِنَّ  
رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا تَنفُورٌ رَّجِيمٌ » (٢) ، فقد كرر : « إِنَّ رَبَّكَ »  
في الآيتين الكرّيمتين لطول الكلام بين اسم إن ، وربك ، وبين خبرها  
« لتنفور » ، وفيه أيضا تأكيد لمعنى الربوبية وإبراز لمعنى « الرب » المتفضل  
بالإنعام والمغفرة .

٤ - الإيغال : وهو ختم الكلام شعرا أو نثرا بما يفيد فائدة يتم المعنى  
بدونها ، كما في قول الخنساء :

وإن صخرنا لتأثم الهداة به كأنه علم في رأسه نار (٣)

فقولها : « في رأسه نار ، إطناب ، لأنها شبيهت أخاها ، صخرأ ، بالعلم  
وهو الجبل المرتفع المعروف ووجه التشبه هو الاهتداء بكل ، وقد تم التشبيه  
عند قولها : « كأنه علم » ، فختمت البيت بما يفيد قوة المبالغة في التشبيه ،  
إذا النار في رأس الجبل تزيد وضوحا وانكشافا وهذا أدمى لنظام الهداية  
وكالها .. ومثله قول ذي الرمة :

قف العيس في أطلسلالية فاسال

رسوما كأخلاق الرداء المتسلل

(١) سورة النحل آية ١١٠ .

(٢) سورة النحل آية ١١٩ .

(٣) تأم : تتعدى والهداة : الذين يهدون فناس وإذا كانت الهداة تأثم به فنن

باب أدلى الهدون بهم ..



أظن الذي يجدى عليك سؤاها دمرها كتبذير الجمان المفصل (١)  
فقد تم التشبيه في البيت الاول عند قوله : دمرها كأخلاق الرداء ،  
وفي الثاني عند قوله : دمرها كتبذير الجمان ، فاختم البيتين بما يفيد زيادة  
المبالغة في التشبيه ، هو قوله : المسلسل والمفصل ..

ومنه قول امرئ القيس :

كان عيون الوحش حول خباتنا ، وأرحلنا الجرع الذي لم ينقب (٢)

حيث تم له التشبيه عند قوله : الجرع ، فاختم البيت بما يفيد تحقيق  
التشبيه ، لأن الجرع إذا كان غير مثقوب كان أشبه بعيون الوحش ، وقوله :  
الذي لم ينقب إيغال أفاد تحقيق التشبيه رجعله دقيقا تماما ومثله قوله أيضا :

حملت رديليا كان سنانه سما طيب لم يتصل بدخان (٣)

حيث أتى على التشبيه عند قوله : كان سنانه سما طيب ، ثم اختم البيت  
بإيغال أفاد دقة التشبيه وزيادة تحقيقه ، وهو قوله : لم يتصل بدخان ، لأن  
سنان الرمح أكثر شها بضوء اللهب الذي لم يتصل بدخانته . وقول زهير  
ابن أبي سلى :

(١) اللبس : الإبل يحاط بها صمدا - واد حريف ، اردها : أعبس ، والأطال :  
جميع طلال وهو ما شخص من آثار الديار بخلاف الرسوم ، والأخلاق جمع خلق وهو  
وهو البالي ، والمسلسل : الردي اللسع ، ويجدى : يعطى ويبيد ، وعالد الوصول محذوف  
والتبذير يجدى به ، والتبذير : التهرب ، والجمان المفصل : الأواقي المنظم ..  
(٢) الوحش : الراد به الظباء التي يمسيدونها ويرمون أعينها حول خباتهم .  
والخباء : ما كان من وبر أو صوف لاشهر وقام على عمودين أو ثلاثة ، وما أركه :  
لبيت ، والأرحل جمع رحل وهو المنزل والمأوى ، والجرع : خرز فيه بياض رسواد  
على شكل دوائر .

(٣) الرديني : رمح منسوب إلى رديية وهي امرأة كانت تقوم الرماح ، وسنا  
اللهب : ضرؤه .. وسنان الرمح : حديدته ، وجهها : أسنة ، وسحيت يدك  
لصقاتها رملاتها ..

كان فئات العيون في كل منزل نزان به حب الفنا لم يحطم (١)  
فقد أتى على التشبيه بقوله ، حب الفنا ، ثم اختتم البيت بما يعيد دقة  
التشبيه وزيادة تحمقه ، لأن حب الفنا أحمر الظاهر أبيض الباطن فهو لا يشبه  
الصوف الأحمر إلا إذا لم يحطم ، فقوله : « لم يحطم ، إيغال حسن .  
ومنه قول الأعشى :

كناطح صخرة يوماً ليفلقها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل (٢)

حيث تم له المعنى بقوله : « وأوهى قرنه » ، ثم اختتم البيت ، إيغال حسن  
وهو قوله ، الوعل ، لأن الوعل ينحط من قمة الجبل على قرنه فلا يضره ..

ومن الإيغال في العظم الكرم قوله تعالى : « وجاء من أقصى المدينة  
رجل يستنمى قال : يا قوم اتبعوا المرسلين . اتبعوا من لا ينالكم  
أجراً وهم مهتدون . . » (٣) ، وقوله جل وعلا : « وهم مهتدون » إيغال  
إذ المعنى قد تم بدونه لاعتداء الرسل طعاماً ، والقرص منه زيادة الترغيب والحث  
على اتباعهم والانتداء بهم . . وقوله تعالى : « فَوَرَبُّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ  
لَتَلَوَّ بِذُنُوبِهِمْ مَا أَنْتُمْ بِتَالِفِينَ » (٤) ، وقوله : « مثل ما أنكم تظنون ، »  
إيغال أفاد زيادة التوكيد والمبالغة التي اقتضتها المقام .

٥ - التذييل : وهو تعقيب الجملة بجملة أخرى تشمل على معناها لإفادة  
التوكيد ، ويختلف التذييل عن الإيغال السابق من عدة جهات وهي :

(١) الفئات : اسم لما انثت ونقطع من الشيء . والعيون : الصوف المصبوغ .  
والفنا : حب اللعلب ، شبه فئات الصوف المصبوغ للذي زيات به المواجج بحب الفنا  
في حيرته قبل محطيه ؛ لأنه إذا حطم تزول حيرته . .

(٢) الوعل : ليس الجبل . وجمعه : وعل وواعل ووعل ، والآتي : وعله .

(٣) - سورة يس ٢٠ ، ٢١ . (٤) سورة الذاريات آية ٢٣ .

- ١ - أن الإيغال يكون بالجملة وبغير الجملة، كما رأيت في شواهد ، أما التذييل فلا يكون إلا بجملة ، كما سترى ..
- ٢ - الإيغال يفيد التوكيد وغيره من الأغراض التي يأتي لها ، أما التذييل فهو للتوكيد خاصة ...
- ٣ - التذييل يكون في آخر الكلام وفي أثنائه ، أما الإيغال فلا يكون إلا في آخر الكلام .

والتذييل ضربان : تذييل يحرى بحرى المثل وتذييل لا يحرى بحرى المثل ، فالأول هو أن يقصد بالجملة الثانية حكم مستقل عما قبله ، بمعنى أن جملة التذييل تفيد معنى يمكن استقلالها بإفادته عما قبلها ، كما في قوله تعالى :  
« وَتَلَّ جَاءَ الْكَلْبُ وَزَهْوَى الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَعُوقًا . » (١) ،  
فقوله : « إن الباطل كان زهوقا » ، تذييل أتى به اتنا كبد الجملة قبله ، وهو جار مجرى المثل بمعنى أن الجملة الثانية مستقلة معناها عن الجملة الأولى ، وجاربه على الألسنة كما تجرى الأمثال التي كثر استعمالها ونشأ ، فهي لا تحتاج في إعادة معناها إلى الجملة السابقة .. ومن هذا الضرب قول النابغة الذبياني :

ولست بمسئوب أخا لا لئمه      على شعث أي الرجال المهذب (٢)

فقوله : « أي الرجال المهذب » ؟ تذييل جرى مجرى المثل ، حيث جرى على الألسنة مستقلا عما قبله .. ومثله قول المطيئة :

تزدري عطى عطى على الحد ماله      ومن يعط أمان المسكارم يحمده

فالشطر الثاني تذييل للشطر الأول ، خرج مخرج المثل ..

---

(١) سورة الإسراء آية ٨١ .

(٢) لا تله ؛ لا تضمه . والشعث في الأصل انشار شعر الرأس وتذيره فتسكث

أوساخه والمراد به هنا العيب على سبيل الاحتعارة ، والاستهزام في البيت استهزام  
زنسكارى بمعنى لا يوجد . . .

وانشائي وهو التذليل الذي لم يجر مجرى المثل ، فهو ما لا يستعمل معناه ، بل  
يعرف على ما قبله ، كما قوله تعالى : « وَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ مَثَلًا لِّلْعَرِيمِ  
وَبَدَّلْنَا لَهُمْ مَجَنَّبَيْهِمْ جَنَّاتِينَ ذَاتِ نَارٍ أَكْلٍ حَظِيظٍ وَأَنْبُلٍ وَفِيهَا مِنْ سِدْرٍ  
قَلِيلٍ . ذَلِكَ جَزَاءُكُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ يُجَازَى إِلَّا السَّكَورُ . . . » (١) ،  
فقوله : « وهل يجازى إلا السكور » ، تذليل غير جار مجرى المثل ، لأن  
معناه لا يفهم إلا بما قبله . . . ومنه قول الخاسي :

فدعوا نزال فكنت أول نازل      وعلام أركبه إذا لم أنزل

فقوله : « وعلام أركبه إذا لم أنزل » ، تذليل غير جار مجرى المثل لأن أهم  
معناه متوقف على ما قبله . . . ومثله قول ابن نباتة السعدي :  
لم يبق جردك لي شئاً أؤمله      تركتني أصحاب الدنيا بلا أمل

وقد اجتمع التذليلان في قوله تعالى : « إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ  
أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُبْتَائُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ  
وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِمْ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْآنِ أَنْ يَتَمَنَّوْا  
يَقْتُلُوا مِنَ اللَّهِ . . . » (٢) ، فقوله : « وعدا عليه حقا » ، تذليل غير جار مجرى  
المثل لاحتياجه في فهم معناه إلى ما قبله ، وقوله « ومن أوفى بعهده من الله » ،  
تذليل خرج مخرج المثل السائر لتحقيق وتأكيد ما تقدمه ، فهو تذليل  
ثان للتذليل الأول . . . وكذا اجتمع الضربان في قوله تعالى : « وَمَا جَعَلْنَا  
لِلْبَشَرِ مِنْ قَبْلِكَ الْخَلْقَ أَضْيَاقًا وَمِمَّنْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِنْ نَفْسٍ ذَائِقَةٍ  
لِلْمَوْتِ » (٣) . قوله : « أنبان مت فهم الخالدين » ، تذليل غير جار مجرى المثل

(٢) - سورة التوبة آية ١١١ .

(١) سورة سبا ١٦ ، ١٧ .

(٣) سورة الأنبياء آية ٣٤ ، ٣٥ .

إذ يتوقف فهم معناه على ما قبله ، وقوله : « كل نفس ذائقة الموت ، تذييل  
جرى مجرى المثل ، لجريانه على الألسنة وعدم توقف فهم معناه على ما قبله ،  
٦ - التكيل : ويسمى أيضاً بالاحتراس وهو أن يؤتى في كلام يوم  
خلاف المقصود بما يدفع ذلك التوم ، كما في قول طرفة بن العبد :

فسقى ديارك - غير مفسدها - صوب الربيع رديمة نهوى

فقوله : « غير مفسدها ، احتراس عن المطر المسترسل الذي يسبب  
الخراب والدمار ، لأن الديمة هي المطر المسترسل ، ونهوى بمعنى أميل ، والمطر  
إذا كثر وزاد عن حده سبب الخراب والدمار ، فدفع الشاعر هذا التوم  
بقوله : « غير مفسدها ، » ومن أجل هذا عيب قول الشاعر :

ألا يا أحمى يا دارى على البلى ولا زال منهلاً بحرمانك القطر

وقيل : لا عيب في البيت ، لأن الدعاء أقربنة على عدم إرادة الضر ،  
وللشاعر أن يكتب بالدعاء فلا يحترس ، وألا يكتب به فيعزم إليه الاحتراس .  
ومنه قول عبد الله بن المعتز في وصف الخيل :

وخيل طواها السير حتى كأنها أبايب سم من قبا الخلط ذئيل  
صبيبا عليها - ظالمين - سياطنا فطارت بها أيدى سراع وأرجل

فقوله : « ظالمين ، احتراس ، حيث دفع به ما قد يتوهم من أنها كانت  
بطيئة في المشى ، ثقيلة في السير ، لا تجرى وتسرع إلا بالضرب واستعمال  
السياط ، وهذا خلاف المقصود ، لأن المقام مقام مدح ومنه قول الحماني :

رهنت يدي بالعجز عن شكر بره وما فرق شكرى للشكور مزيد

فالشطر الثاني من البيت احتراس ، لأنه لما صرح في الشطر الأول بعجزه  
عن شكر بره ، وربما يتوهم متوهم أنه لم يقم بشيء من الشكر ، فدفع هذا التوم  
بالشطر الثاني الذي أفاد أن شكره ليس للشكور وهو المبالغ في الشكر زيادة عليه .

ومنه قول كعب بن سعد الغنوي من تصديقه له في رثاء أخيه أبي المغوار :

حليم إذا ما الحلم زين أهله مع الحلم في عين العدو مهيب

فإنه لو اقتصر على وصفه بالحلم لا وهم أن حله عن عجز ، ولذا احتسب بقوله : « إذا ما الحلم زين أهله » فأزال هذا الوهم ، ثم أكد الاحتراس بذلك التذييل : « مع الحلم في عين العدو مهيب » .  
ومنه قول السمومل بن عاديا :

وما مات مئاً سيّد في ارأشه ولا طلّ منا حيث كان قتيل<sup>(١)</sup>

فقد وصف قومه بشمول القتل لإيام وأنه لم يميت واحداً منهم على فراشه ، وهذا الوصف يوم ضعفهم وقلة شجاعتهم ، فأزال هذا الوهم بالشطر الثاني الذي وصفهم بالاعتصار من قائلهم . .

ومنه قول المتنبي :

أشد من الرياح الهوج بطشاً وأسرع في النسدي منها هبوباً  
فإنه لو اقتصر على وصفه بشدة البطش ، لا وهم ذلك أنه عنف كاه ، ولا لطف عنده ، فأزال هذا الوهم بوصفه بالسباحة والندى . ولم يتجاوز في الوصفين صفة الريح التي شبه بها .

ومما جاء من هذا النوع في النظم الكريم قوله تعالى : « لَا يَسْتَوِي  
الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ - خَيْرٌ أُولَى الضَّرَرِ - وَالْجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ  
بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ » .<sup>(٢)</sup> ، فقوله جل وعلا : « غير أولى الضرر » ،  
احتراس يدفع توهم أن القاعد بمذر داخل في مفهوم عدم الاستواء المذكور .  
وقوله تعالى : « وَأَدْخِلْ بِدُكِّكَ فِي جَبْهَتِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُودٍ » .<sup>(٣)</sup>

(١) طال : يعني أهدر دمه ولم ياتس له . .

(٢) -سورة النمل آية ١٢ .

(٣) -سورة النساء آية ٩٥ .

فقوله : د من غير سوء ، احتباس من نحو اليون واليهود . . .  
هذا ولا يخفى عليك بالنظر في الشواهد المذكورة ان الاحتباس قد  
يتوسط الكلام ، وقد يقع في آخره .

٧ - التثميم : وهو أن يؤتى في كلام لا يرمي بخلاف المقصود بفضله  
مثل المفعول أو الحال أو الجار والمجرور ، ونحو ذلك مما ليس بجملة مستقلة ،  
ولا ركنا من أركان الكلام ، وذلك لإفادة نكتة بلاغية كما في قوله تعالى :  
« وَيُطْعِمُونَ الطَّامِمْ عَلَى سُبُورٍ مَشْكُونَةٍ رَيبًا وَأَجْرًا » (١)  
وقوله جمل وعلا : « وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى . . . » (٢)  
وقوله عز وجل : « لَنْ نُنَاقِلَكَ الْيَرَّةَ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ . . . » (٣) ، فإن  
قوله عز من قائل : « على حبه » ، « مما تحبون » ، فائدة ، وتركها لا يجعل  
الكلام موهما بخلاف المقصود ، وقد أتى بها في النظم الكريم لنكتة بلاغية  
وهي إفادة المبالغة في مدح هؤلاء الذين يؤثرون على أنفسهم ويطعمون  
وينفقون ما لا قد أجبره وطعاما قد اشتهره وأرادوه . . . وقيل إن الضمير  
في قوله : « على حبه » . لله عز وجل لا للمال ، أى : على حب الله ، وعندئذ  
فلا إطناب في الآيتين ، لأن الإنفاق لا يمدح شرعا إلا إذا كان ابتغاء  
وجه الله ، لا لربا ، ونحوه ، فالجار والمجرور « على حبه » صار عندئذ مراداه  
لا زائدا على أصل الكلام .

ومنه قول زهير :

من يلقى يرما على علاته هرما يلقى السباحة منه والندى خلقا (٤)

(١) سورة الإنسان آية ٨ (٢) - سورة البقرة آية ١٧٧ .

(٣) سورة آل عمران آية ٩٢ .

(٤) على علاته : العلات جمع لله والمراد بها ما يثوبه من الله ذات بيد والعمود

فقوله : « على علاقته ، تتميم حسن أفاد المبالغة في المديح ..  
وقول الآخر :

إني على ماترين من كبرى أعرف من ابن توكل الكنف

يريد أنه داهية ، لأن الكنف توكل من أسفلها ويشق أكلها من أعلاها ،  
ولذا يكنى عن الداهية بقوطم ؛ يعرف من ابن توكل الكنف ، ويضرب هذا  
القول مثلاً للإنسان الذي يعرف ، داخل الأمور ، وكيف يصل إلى المكونات  
داخل الإنسان ، فقول الشاعر : « على ماترين من كبرى ، تتميم جميل تصد  
به المبالغة فيها وصف به نفسه .

ويتضح لك مما سبق أن التتيم يختلف عن الإيغال من جهتين :

١ - التتيم مفيد بكونه فضلة ، والإيغال لا يتقيد بهدا ..

٢ - التتيم يكون في وسط الكلام وفي آخره ، أما الإيغال فلا يكون  
إلا في آخر الكلام .. كما يختلف التتيم عن التكميل من جهتين أيضاً :

١ - التكميل يدفع به توهم غير المراد ، والتتيم لا يدفع به إيهام وإعما  
يؤتى به لئلا يتبادر بلاغية أخرى ..

٢ - التتيم مفيد بكونه فضلة ، والتكميل لا يتقيد بذلك ..

٨ - الاعتراض : وهو أن يؤتى في أثناء الكلام الواحد أو بين كلامين  
متصلين في المعنى بأن يكون تائيهما تائيداً أو لها أو بياناً له أو بدلاً أو معطوفاً ،  
بجملة أو أكثر لا محل لها من الإعراب لئلا تنكته سوى دفع الإيهام ، وذلك كالتنزيه  
في قوله تعالى : « وَرَبُّهُمْ لَعَلَّ الْبَنَاتِ - سُبْحَانَ رَبِّهِمْ - وَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ » (١)  
بجملة « سبحانه » جملة اعتراضية والغرض منها : تنزيه تعالى عن اتخاذ



البيئات ... و د سبحانه ، جملة ؛ لأنها واقعة موقع المصدر الذي هو التزوية  
والعنى : أنزهه تنزيها . . . وكالتعظيم في قوله جل وعلا : « فَلَا أُقْسِمُ  
بِمَوَاسِعِ النَّجُومِ وَإِنَّهُ لَلْقَسَمِ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ إِنَّهُ أَعْرَضَ أَنْ يَكْرِيمَ » (١)  
فقد اعترض بين القسم وجوابه بقوله : « وإِنَّهُ لَقَسَمِ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ » ،  
وداخل هذا الاعتراض اعتراض آخر بين الصفة والموصوف وهو ، لو تعلمون ،  
وقد أريد بالاعتراضين تعظيم القسم وتفخيم أمره ، وفي ذلك تعظيم للقسم  
عليه وهو القرآن الكريم ، وتنويه برفعة شأنه .

وكالتقرير في قوله تعالى : « قَالُوا : تَأْتِيهِمْ لَيْلٌ مَكِينَةٌ يُنْفِثُونَ  
فِي الْأَرْضِ » (٢) جملة « لَيْلٌ مَكِينَةٌ » جملة معترضة بين القسم والجواب  
لتقرير علم المخاطبين بالبراءة من الفساد والبعد عن نعمة السرقة . . .  
وكالدعاء في قول الشاعر :

إِنِّ الْغَمَّانِ - وَبَلَّغْتَا - قَدْ أَحْوَجْتَا سَمِي إِلَى تَرْحَانِ .

ينظر الشاعر بتقديم منه وضعف سنده حتى قد صار يحتاج إلى من يكرر  
له القول ليسمع ، وجملة : « وَبَلَّغْتَا » جملة معترضة أريد بها الدعاء للمخاطب  
بطول العمر ، وإثارة عطفه على الشاعر .

وكالتصريح ما هو المقصود في قول كثير عزة :

لَوْ أَنَّ الْبَاخِلِينَ - وَأَنْتَ مِنْهُمْ - رَأَيْتَ لَعَامِدِ النَّاسِ الْمَطَالَا

فقوله : « وَأَنْتَ مِنْهُمْ » جملة اعتراضية أريد بها التصريح بما هو مقصود  
من ذمها ، وتأكيده بصراف الهم إلىها .  
والتنبيه كما في قول الشاعر :

وَأَعْلَمُ - فَعَلِمَ الْمَرْءُ يَتَنَمَّهُ - أَنْ سَوْفَ يَأْتِي كُلُّ مَا قَدَرَا

(١) - سورة الواقعة آية ٧٥ - ٧٧ . (٢) - سورة يوسف آية ٧٣ .

لجملة : ودعلم المرء بنفعه ، جملة معترضة ، الغرض منها التنبيه على فضل العلم ونفعه لصاحبه . . . ومثله قول الآخر :  
فلا هجره يبدو - وفي اليأس راحة -  
ولا رمله يبدو لنا فنكاره

لجملة : ، وفي اليأس راحة ، ، اعتراضية ، أريد بها التنبيه إلى سبب طابعه الطهر ، وذلك لأن طلب هجر الحبيب وتمنى وقوعه أمر فيه غرابة ، فبين الشاعر بالجملة الاعتراضية أنه لم يتمن هذا إلا بعد اليأس وانقطاع الأمل من وصله : ، وفي اليأس راحة ، .  
وكالاستعطاف في قول المتنبي :

وخفوق قلب لو رأيت لحيبه - يا جنز - رأيت فيه جهنم

فقوله : ، يا جنتي ، جملة اعتراضية ، لأنها بمعنى : أدمر ، والغرض منها الاستعطاف والاستلطاف وما جاء بأكثر من جملة قوله تعالى : « وَوَصِيئًا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ - حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَذَا عَلَىٰ وَجْهِ مَعْتَدٍ - أَنْ يَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ » تفسير انوله : « وصينا » ، وقوله « حملته أمه وهذا على وجه وفصاله في عامين » اعتراض بينهما ، وقد أريد به تأكيد التوصية بالأم والتذكير بحقها العظيم على الأبناء لما عانتهم وقاسته من آلام . . . وقوله : « وجل : » قالت رَبُّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَئِن كَانَ لِأُنْثَىٰ وَلِأُنْثَىٰ تَسْتَكْبِرُ . . . »<sup>(١)</sup> ، نقوله جل وعلا : « والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأُنْثَى » ، اعتراض وقع بين قولى امرأة عمران يفيد تأكيد ما أخبرت به . . . وقوله تعالى : « إِذَا تَطَهَّرْتَ فَأَتَوْهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ

الله . إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين . يسأؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم . . . (١) ، فتوله : ، يسأؤكم حرث لكم ، بيان لقوله « فأتوا من حيث أمركم الله » ، وقد اعترض بينهما بقوله عن وجل : « إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين » ، والغرض من هذا الاعتراض : الترهيب فيما أمر الله به والتنفير عما نهى عنه ، إذ الغرض الأصلي في الإيمان هو طلب الذيل ، لا قضاء الشهوة ، فلا تأتوا من إلا من حيث يتأتى من الإيمان تحقيق هذا الغرض ، وفي الاعتراض بما ذكر ترغيب في الأمر وتنفير من النهي .

هذا ويتضح لك من الشواهد المذكورة أن الاعتراض قد يأتي بفيد الواو والفاء ، وقد يأتي بإحداهما فتسمى - الواو أو الفاء ، عندئذ واو الاعتراض أو فاء الاعتراض ، وتختلف واو الاعتراض . عن واو العطف أو الحال ، والتعريف بين تلك الواوات ، قد يكون بينا واضحا وقد يدق ويغمض بحيث يحتاج إلى مزيد من التأمل والتدبر ، انظر إلى قوله تعالى : « وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن دُونِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ . ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ . . . » (٢) ، نجد أن الواو في قوله : « وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ » ، صالحة لأن تكون واو الحال ولأن تكون اعتراضية ، لأنه إذا قصد تعييد الاتخاذ بالجملة ، كانت الواو صالحة والمعنى : ثم اتخذتم العجل حال كونكم ظالمين ياخذونه ، وإذا قصد استقلال جملة : « أَنْتُمْ ظَالِمُونَ » عن الاتخاذ ، كانت الواو اعتراضية والمعنى : ثم اتخذتم العجل وأنتم قوم عادتمكم الظلم ، فتسكون جملة اعتراضية أتى بها تأكيد الظالمين ولم يقصد بها الارتباط بالاتخاذ المذكور . . . ولذا نجد أن تعريف واو الحال ومثلها واو العطف ، من واو الاعتراض ، قد يدق ويغمض بحيث يحتاج منك إلى مزيد من التأمل ومراجعة السياق .

(١) سورة البقرة آية ٢١٢ ، ٢٢٣ . (٢) سورة البقرة آية ٥١ - ٥٢ .

وما ينبغي أن تقف عليه وتعلمه ، أن الإطناب ليس مقصودا على تلك  
 الأرواح التي ذكرناها ، بل قد يقع بغيرها ، فنمقوماته : مقادير الذكر  
 التي مرت بك في أحوال المسند والمسنود إليه ومتعلقات الفعل . ومنها ما يكون  
 بالإفاضة في جواب الاستفهام حيث يقتضى المقام الإطناب وامتداد القول ،  
 كما رأينا في قوله تعالى : « وَمَا تَلَكَ بِبَيْتِكَ يَا مُوسَى . قَالَ : هِيَ مَسَايَ  
 أَنْوَسًا عَلَيْهَا زَاهِسٌ بِهَا قَلَى غَفَسِي وَإِي فِيهَا مَسَارِبٌ أُخْرَى . . . » (١) .  
 وكما في قوله تعالى : « وَائْتَلُ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنْهُمْ . إِذْ قَالَ لِأَيُّهَا وَقَوْمِي :  
 مَا تَعْبُدُونَ . قَالُوا : نَعْبُدُ أَحْسَانًا مَنظُلًا لَهَا عَاكِفِينَ . . . » (٢) ، فقد كان  
 يمكن أن يقال في الجواب . « أحسانا » ، ولكنهم أطنبوا فذكروا كلمة :  
 « نعيد » ثم أضافوا : « فنظّل لها عاكفين » ، ليظهروا ابتهاجهم بعبادتها ،  
 واختارهم بالمراظية على تلك العبادة ، ويريدون بهذا الإطناب أن يرداد  
 غيظ السائل وهو لإبراهيم عليه السلام . . . ومن الإطناب زيادة بعض  
 الأحرف في النظم لتحقيق غرض من الأغراض البلاغية ، كزيادة « أن » بعد  
 « إنما » في قوله تعالى : « فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْفَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ  
 بِصِرَاطٍ . . . » (٣) ، فزيادة « أن » بعد « إنما » الآية السكرية ، دلّت على أن الجوى  
 لم يكن على الفور بل كان هناك تراخ وتباطؤ ، بعد ما كان بين يوسف وأبيه  
 عليهما السلام ، وكذا قوله تعالى : « فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ  
 عَدُوٌّ لَهُمْ قَالَ : يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ نَعْبُدَ كَمَا عَبَدتُّمْ أَنْفُسًا بِالْأَنْسِ . . . » (٤)  
 فقد زبدت « أن » بعد « لما » ، للدلالة على أن موسى عليه السلام لم يسارع إلى  
 قتل الثاني كما سارع إلى قتل الأول . . .

وكزيادة « ما » بعد « إذا » في نحو قوله تعالى : « وَالَّذِينَ يَحْتَلِبُونَ

(٢) سورة قشمراد آية ٢٢ - ٢٦ .

(٤) سورة القصص آية ١٩ .

(١) سورة طه آية ١٨ .

(٣) سورة يوسف آية ٩٦ .

كَبَارِ الْإِنَّمِ وَالنَّوَاحِشِ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَكْفُرُونَ .. ه (١) ، فزيادة  
د ما ، في الآية الكريمة دلت على ندرة حدوث الغضب من دولا . فهم  
لا يغضبون إلا قليلا وإذا ما غضبوا هم يكفرون ويهدون عن أنفسهم . . .  
وفي قول الشاعر :

إذا ما غضبنا غضبنا مضرية

هتكنا حجاب الشمس أو قطرت دما

دلت زيادة د ما ، على أنهم لا يغضبون إلا حين يوجب الحزم أن  
يغضبوا ، فهم يكفرون كثيرا ولا يغضبون إلا نادرا ، وحين يضطرم الغير إلى  
الغضب ينتقمون شر انتقام ، فغضبتهم إنما هي غضبة الجلبم . . . ومن  
الإطناب زيادة بعض السجلات التي يفيد زيادتها تأكيدا اقتضاء المقام ،  
على نحو ما رأينا في مثل قولهم رأيتهم بعيني وسمعتهم بأذني وقلته بضمي . . .  
وقوله تعالى : « إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِالسِّتْرِ وَالْهَيْبَةِ يَا مَعْزُومَاتُ اتَّخِذْنَ الْعَقْلَ وَأَعْتَدْنَ لِلْغَايِبِ مَا يَأْتِيكُنَّ مِنَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدِينَ » (٢) ، وقوله تعالى :  
« مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَرْزَاقَكُمْ إِلَّا أَنْ يَنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِنْ سَمَاءٍ رِزْقًا فَذُرُّوا حَتَّى يَأْتِيَكُمُ الْيَقِينُ » (٣) ، وقوله تعالى :  
« قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ نَارًا فَتُحَرِّقُهَا اللَّهُ فِي أَبْوَابِ الْحَدِيدِ أُولَئِكَ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ » (٤) ، وقوله تعالى :  
« قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ نَارًا فَتُحَرِّقُهَا اللَّهُ فِي أَبْوَابِ الْحَدِيدِ أُولَئِكَ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ » (٥) ، وقوله تعالى :

فالرؤية لا تكون إلا بالعين والسمع لا يكون إلا بالأذن والقول  
لا يكون إلا بالفم والألسنة ، والقلب لا يوجد إلا في الجوف والذئف

(٢) - سورة النور آية ١٥ .

(٤) - سورة النحل آية ٢٦ .

(١) - سورة الشورى آية ٣٧ .

(٣) - سورة الأحزاب آية ٤ .

لا يكون إلا من فرق ، وقد زبدت تلك الكلمات لإفادة التوكيد الذي اقتضاه  
المقام على نحو ما وضحت لك فيما سبق .

وهذا يتبين لك أن الإطناب ليس مقصودا على تلك الأنواع المذكورة ،  
بل يتعداها إلى كل زيادة في النظم أفادت معنى يقتضيه المقام ويتطلبه .

• • •

## المساواة

قالوا في تعريفها : إنها تأدية المعنى المراد بعبارة مساوية له ، بأن تكون  
الألفاظ على قدر المعاني ، لا يزيد بعضها عن بعض ، ولا ينقص . . . . وقد  
أخذوا من متعارف الأوساط مقايسا يقيسون عليه الكلام ، فالكلام إذا  
قل عن متعارف الأوساط كان إيجازا ، وإذا زاد عنه كان إطنابا ، وإذا جاء  
على حد متعارف الأوساط فهو المساواة وهي في باب البلاغة لا تحمد ولا تنم .  
واستشهدوا لما بنحو قوله تعالى : « وَلَا يَحْبِقُ الْكُفْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ »<sup>(١)</sup>  
وقوله عز وجل : « وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ  
حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ . . . »<sup>(٢)</sup> ، وقول الرسول - عليه الصلاة  
والسلام - : « الحلال بين والحرام بين وبينهما مشبهات » وقول النابتة الديبائي :

فإنك كالليل الذي هو مدركي      وإن خلت أن المتأى عنك واسع

وقول طرفة بن العبد :

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا      وبأتوك بالآخبار من لم تزود

وقول زهير :

وهما ما يكن عند امرئ من خليقة      وإن خالها تخفى على الناس تعلم

(٢) سورة الأنعام آية ٦٨ .

(١) سورة فاطر آية ٤٣ .

هذا ولم تسل هذه الشواهد التي استشهد بها البلاغيون للمساواة ، لأنك عند التأمل تجد ما راجعة إما إلى الإيجاز أو إلى الإطناب ، فذلك في الآية الأولى إذ رجعت إلى سياقها في النظم الكريم : « استكباراً في الأرضِ وَمَسْكُورَ السَّيِّءِ وَلَا يَحْمِقُ الْمَسْكُورُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ » تراها قد وامت تذييلاً ، والتذييل - كما عرفت - من أرواح الإطناب ، ثم إنها أسلوب قصر ، والقصر من الإيجاز ، وقوله تعالى : « وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا . . . » الآية ، وقول الرسول - صلى الله عليه وسلم . « الحلال بين والحرام بين وبينهما مشبهات ، لا يخنق عليك وجوعهما إلى إيجاز القصر ، لأن المعاني التي تكون في الآية الكريمة والحديث الشريف معان كثيرة غريبة ، والمناظرة قليلة - كما ترى - وهذا هو إيجاز القصر الذي مر بك . . . وتجد الشطر الثاني من بيت النابغة : « وإن خلت أن المتأني عنك واسع ، تذييلاً غير جار مجرى المثل ، كما تجد في الشطر الأول من بيت طرفة إيجازاً يحذف الجار والمجرور والتقدير : ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً به . . . وفي بيت زهير تجد قوله : « وإن خالها تخنق على النامر ، اعتراضاً بين الشرط وجوابه .

وهكذا تستطيع أن ترجع ما استشهد به البلاغيون للمساواة ، إما إلى الإيجاز وإما إلى الإطناب ، فالأولى أن تجعل المساواة قاصرة على كلام الأوساط لأنها نادرة الوقوع في التعبيرات الجيدة والكلام البليغ ، ولأن البلاغيين قد جعلوها خالية من جميع الاعتبارات البلاغية وقالوا : إنها لا نحمد ولا نذم في باب البلاغة .

ثم بحمد الله تعالى في ٢٨ من ربيع الآخر سنة ١٤٠٧ هـ .

الموافق ٢٩ من ديسمبر سنة ١٩٨٦ م .

والحمد لله أولاً وآخراً . . . وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .





## أهم مراجع الكتاب

- ١ - الإتيقان في علوم القرآن للسيروطى طابعة الحلبي ١٣٩٨ هـ .
- ٢ - أسرار البلاغة لعبد القاهر . ط : دار الطباعة المحمدية ١٣٩٢ هـ  
ث : محمد عبد المنعم خفاجي .
- ٣ - الأسلوب للدكتور أحمد الشايب . طبعة السعادة . الطبعة الخامسة .
- ٤ - أساليب الاستفهام في القرآن الكريم من الواجهة البلاغية للدكتور  
بسيوني عبد الفتاح محطوط بالأزهر (رسائل) .
- ٥ - إعجاز القرآن للباقلاني . ط : دار المعارف ١٩٧٧ م : السيد صقر .
- ٦ - أمالي المرتضى ط : الحلبي ١٣٧٣ هـ : محمد أبو الفضل إبراهيم .
- ٧ - الإيضاح للقروي وبها مشه البنية للصعدي ، ط : / بيبي ١٣٩٢ هـ .
- ٨ - البرهان في علوم القرآن للزركشي ، ط : دار إحياء الكتب العربية  
١٩٥٧ م : محمد أبو الفضل .
- ٩ - البلاغة القرآنية في تفسير الكشاف للدكتور محمد أبو موسى ، ط :  
دار الفكر العربي .
- ١٠ - البيان والتبيين للجاحظ ، ط : الخانجي ، ت : عبد السلام هارون .
- ١١ - تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ، ط الحلبي ١٣٧٣ هـ .
- ١٢ - تنزيه القرآن عن المطاعن لعبد الجبار ، ط : دار النهضة - بيروت .
- ١٣ - ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، ط : دار المعارف ١٩٧٦ م .
- ١٤ - جبهة أشعار العرب لأنى زيد القرشي ، ط : جامعة الإمام  
محمد بن سعود ، ت : محمد الداشمي .
- ١٥ - حاشية الشهاب الخفاجي على البيضاوي ، ط : دار الطباعة الخديوية .
- ١٦ - الحيوان للجاحظ ، ط : الساسي ١٩٥٠ م .

١٧ - الخصائص لابن جنى ، ط : دار الهسيدي بيروت ، ت : محمد  
عل النجار .

١٨ - خصائص التراكيب للدكتور محمد أبو رمسى ، ط : دار التضامن  
١٩٨٠ م

١٩ - دلائل الإعجاز لعبد القاهر ، ط : الفجالةت : محمد عبد المنعم خلفا جى .

٢٠ - دلائل التراكيب للدكتور محمد أبو رمسى ، دار المعلم ١٣٩٩ هـ .

٢١ - روح المعاني الألوسى ط : دار إحياء التراث العربى بيروت .

٢٢ - سر الفضاحة لابن سنان الخفاجى ، ط : الخانجى ، ت : على فودة .

٢٣ - شروح التلخيص .

٢٤ - شرح المعلمات للوزنى ، ط : المطبعة التجارية ١٩٧١ م .

٢٥ - الشعر والشعراء لابن قتيبة ، ط : دار المعارف ١٩٦٧ م ، ت :

أحمد شاكر .

٢٦ - الصحابي لأحمد بن فارس ، ط : المؤيد ١٣١٨ هـ .

٢٧ - الصناعتين لأبي هلال العسكري ، ط : الحلبي ١٩٧١ م .

٢٨ - طبقات فحول الشعراء لابن سلام ، ط : المدني ، ت : الأستاذ

محمد شاكر .

٢٩ - الطراز ليحيى بن حمزة العلوى ، ط : المنتطف ١٣٢٢ هـ .

٣٠ - عقود الجنان للسيوطى ، المطبعة الشرقية ١٣٠٥ هـ .

٣١ - العمدة لابن شيبان ، ط : دار الجليل ، ت : محمد محي الدين .

٣٢ - عبار الشعر لابن طباطبا ، ط : شركة فن الطباعة ١٩٥٦ م .

٣٣ - الكتاب لسبويه ، ط : الهيئة المصرية ١٩٧٧ م ، ت : هيد السلام

هارون .

٣٤ - الكشاف للزمخشري ، ط : الحلبي ١٣٩٨ هـ .

٣٥ - الكامل للبرد ، ط : مؤسسة مصر ١٩٥٦ م ، ت : محمد أبو الفضل .

٣٦ - لسان العرب لابن منظور ، ط : دار المعارف .

- ٢٧ - متشابه القرآن لعبد الجبار ، ط : دار النصر ١٩٦٩ م ، ت :  
مدنان زرزور .
- ٢٨ - المثل السائر لابن الاثير ، ط : الحلبي ، ت : محمد محي الدين .
- ٢٩ - مجمع الأمثال للميداني مطبعة السعادة ١٣٧٩ هـ ت محمد محي الدين .
- ٤٠ - مجاز القرآن لأبي عبيدة ، ط : الخانجي ، ت : محمد فؤاد .
- ٤١ - معاني القرآن للفراء ، ط : الهيئة المصرية ١٩٨٠ م .
- ٤٢ - المطول لسعد الدين التفتازاني .
- ٤٣ - معاهد التنصيص على شراهد التلخيص للمباني ، ط : السعادة ، ت :  
محمد محي الدين .
- ٤٤ - المغني للقاضي عبد الجبار ج ١٦ في إعجاز القرآن ، ط : وزارة  
الثقافة .
- ٤٥ - معنى اليب لابن هشام مطبعة المدني ، ت : محمد محي الدين .
- ٤٦ - مفتاح العلوم للسكاكي . ط : الحلبي ١٣٥٦ هـ .
- ٤٧ - المفصليات للضبي ط : دار المعارف ، الطبعة الخامسة ، ت :  
محمد شاكر .
- ٤٨ - قمتنى الخيال بين البلاغة القديمة والنقد الحديث للدكتور إبراهيم  
الخولي ، مخطوط ط : بالأزهر ( رسائل ) .
- ٤٩ - من أسرار التعبير القرآني للدكتور محمد أبو موسى ، ط : دار الفكر  
العربي ١٣٩٦ هـ .
- ٥٠ - من بلاغة النظام العربي للدكتور عبد العزيز عرفة ، ط : دار الطباعة  
المحمدية ١٤٠٢ هـ .
- ٥١ - مناهج تجديد لأمين الخولي ، ط : دار المعرفة ١٩٦١ م .
- ٥٢ - الموطأ للإمام مالك ، ط : الحلبي ١٣٧٠ هـ .
- ٥٣ - المرآة الأمدى ، ط : المعارف ١٣٨٠ هـ ، ت : السيد صقر .
- ٥٤ - النبأ العظيم للدكتور محمد عبد الله دراز مطبعة السعادة ١٣٨٩ هـ .

- ٥٥ - النقد الأدبي الحديث للدكتور محمد غنيمى دلال ، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧١ م .
- ٥٦ - النقد الأدبي لسيد قطب . ط دار الفكر العربى ١٩٥٤ م .
- ٥٧ - النقد المنهجي عند العرب للدكتور محمد مندور ط : نهضة مصر ١٩٧٢ م .
- ٥٨ - نقد الشعر لقدامة ، ط : مطبعة أنصار السنة ١٩٤٩ م كال مصطفي .
- ٥٩ - نقد الفخر ( البرهان فى وجوه البيان ) لابن وهب ، مطبعة مصر ١٩٢٩ م ت : طه حسين وعبد الحميد العبادى .
- ٦٠ - نهاية الإيجاز فى دراية الإيجاز لارازى . مطبعة الآداب ١٣١٧ هـ .
- ٦١ - الوساطة بين المتنبي وخصومه لعلى بن عبد العزيز الجرجاني . ط : الحلبي ت : محمد أبو الفضل .
- ٦٢ - يتيمة الدهر للزمالبي ، ط : الصاوى ١٩٢٤ م .

## محتويات الجزء الثاني

الصفحة	الموضوع
٤ - ١	مقدمة :
٧٦ - ٥	الفصل الأول : أماليب القصر :
	المزايا البلاغية لأساليب القصر - معناه - إجمال لما ذكره البلاغيون
٨ - ٥	في القصر
	القصر الحقيقي والقصر الإضافي : الفرق بينهما - القصر الحقيقي
	التحقيقي والحقيقي الادعائي - إمكان قصر الموصوف على الصفة
	قصر الحقيقية تحقيقاً - أنواع القصر الإضافي - قصر القلب -
	قصر الأفراد - قصر التعمين - بيان المراد بجمال المخاطب التي تحدد
١٩ - ٨	نوع القصر الإضافي
	قصر الصفة على الموصوف والموصوف على الصفة : المراد بالصفة -
	المراد بالموصوف - ضوابط معرفة الصفة والموصوف - قصر
	الموصوف على الصفة أبلغ من قصر الصفة على الموصوف - الفرق
٢٨ - ١٩	بين القصر الحقيقي الادعائي والقصر الإضافي
	طارق القصر : العطف بلا وبل ولاكن - آراء البلاغيين في دلالة
	هذه الأدوات على القصر - التني والاستثناء - تقديم المستثنى على
	المستثنى منه - وجه دلالة التني والاستثناء على القصر - الاستثناء
	التام - اجتماع العطف بلا والتني والاستثناء - إنما - وجه دلالاتها
	على القصر - هل تفيد : أنما ، القصر - التقديم - ضمير الفصل -
٥٥ - ٢٨	تعريف أحد الطرفين ، بال ، الجنسية :
	أوجه الاختلاف بين طرق القصر : الطرق التي تدل على القصر
	دلالة وضعية - الطرق التي تدل على القصر دلالة غير وضعية -

الصفحة	الموضوع
٥٦ - ٧٦	ما ينص فيها على المثبت والمنفي معا وما ينص فيها على المنفي أو المثبت فقط - اجتماع طرفين من طرق القصر - الفرق بين دلالة والنفي والاستثناء - تحديد موقع المقصور والمقصور عليه - جمال التعريض بإنشاء :
٧٧ - ١٦٥	الفصل الثاني : أساليب الإنشاء : الفرق بين الأسلوب الإنشائي والأسلوب الخبري - الإنشاء الطلبي وغير الطلبي - الفرق بينهما - إهمال البلاغيين دراسة أساليب الإنشاء غير الطلبي :
٧٧ - ٨٣	أسلوب الأمر : صيغته - مفهومه - ما يستعمل فيه - المعاني البلاغية التي يفيدها أسلوب الأمر ووجه الدلالة عليها :
٨٣ - ١٠١	أسلوب النهي : صيغته - مفهومه - المعاني البلاغية التي يفيدها أساليب الاستفهام : معنى الاستفهام - أدواته - معنى كل أداة - ما يطلب به التصور أو التصديق وما يطلب به أحدهما فقط - بناء الجملة بعد هل والهمزة - خصائص هل - مناقشة ما ذكره البلاغيون في بيان هذه الخصائص - الفرق بين هل وهمزة التصديق - المعاني البلاغية للاستفهام ووجه الدلالة عليها :
١٠١ - ١١٠	النداء : معناه - أدواته - دلالاته على الطلب - نداء الهميد نداء القريب - نداء القريب نداء الهميد - أغراضه البلاغية - تقوى أساليب الأمر والنهي والاستفهام بالنداء :
١١٠ - ١٤٤	النداء : معناه - الفرق بينه وبين الترجي - أدواته الموضوعية له -
١٤٤ - ١٥٥	النداء : معناه - الفرق بينه وبين الترجي - أدواته الموضوعية له -
١٥٥ - ١٦١	النداء : معناه - الفرق بينه وبين الترجي - أدواته الموضوعية له -
١٦١ - ١٦٥	النداء : معناه - الفرق بينه وبين الترجي - أدواته الموضوعية له -

الصفحة	الموضوع
١٦٦ - ٢٢٢	فصل الثالث : الفصل والوصل :
	قوة هذا الباب - العطف بنير الواو وما وراءه من دقائق - عطف المفردات - مناقشة ما يراه البعض في المفردات وأنها تعطف الواو إذا كانت متجانسة متناسية - عطف الصفات - عطف
١٦٦ - ١٧٧	لصفة علم الموصوف والحال على صاحبها - مناقشات :
١٧٧ - ١٨٥	وصل وفصل الجمل التي لها محل من الإعراب :
	مواضع الفصل بين الجمل : كمال الاتصال - كمال الانقطاع بلا إبهام - شبهة كمال الاتصال - شبهة كمال الانقطاع - الفصل لعدم الاشتراك في القيد :
١٨٥ - ٢١٨	مواضع الوصل بين الجمل : التوسط بين السكاليين - كمال الانقطاع مع الإبهام :
٢١٨ - ٢٢٠	الجامع بين الجملتين - محسنات الوصل - فررق في الجملة الحالية
٢٢٠ - ٢٢٢	لفصل الرابع : الإيجاز والإطناب .
٢٢٦ - ٢٧٧	لغة تاريخية - مقامات الإيجاز - مقامات الإطناب :
٢٣٣ - ٢٣٤	إيجاز : معناه - أنواعه - إيجاز القصر - تحليلات :
٢٣٤ - ٢٣٩	إيجاز الحذف : معناه حذف جزء الكلمة - حذف الكلمة - حذف الجملة - حذف الجمل - قرأتين الحذف :
٢٣٩ - ٢٥١	إطناب : معناه - الفرق بينه وبين التطويل والحشو - نوعا لحشو - مناقشة ما قاله البلاغيون في الحشو والتطويل :
٢٥١ - ٢٥٧	نواع الإطناب : الإيضاح بعد الإبهام - باب نعم وبئس - توشيح - ذكر الخاص بعد العام - ذكر العام بعد الخاص :
٢٥٧ - ٢٦٠	تكرار وأغراضه - الإيغال : معناه وروده في الشعر والنثر - تنذيل : أنواعه - الفرق بينه وبين الإيغال :
٢٦٠ - ٢٦٦	تكميل - التتيم - الفرق بينهما - الفرق بين التتيم والإيغال -









To: [www.al-mostafa.com](http://www.al-mostafa.com)